أنابيس نن

دلتا فينوس

رواية

ترجمة : علي عبد الامير

أنايس نن

دلتا فينوس

ترجمة علي عبد الأمير صالح

أناييس نن : الكاتبة والإنسانة

ولدت أناييس نن في الحادي والعشرين من شباط (فبراير) ١٩٠٣، بإحدى ضواحي باريس. والدتها المغنية روزا كولميل. ووالدها عازف البيانو والموسيقي الإسباني جواكين نن. كان والداها من عائلتين أرستقراطيتين وكانت مسيرتهما الموسيقية قد مكنتهما من مصاحبة أروع الفنانين في زمنهما.

بعد أن انفصل والداها، انتقلت أمها إلى مدينة نيويورك صحبة أناييس وأخويها.

كان أداؤها المدرسي ضعيفاً، وكانت تؤثر أن تثقف نفسها عبر الكتب المتوفرة في المكتبة العامة. وحين انتقد أحد المعلمين أسلوب كتابتها كونه طناناً ومتكلفاً، هجرت نن التي كان عمرها آنذاك ستة عشر عاماً المدرسة بصورة نهائية.

في العام ١٩٢٣ تزوجت من هوغ باركر غولر وفي السنة التالية انتقلا إلى باريس، وفي فرنسا تابع غولر مسيرته المصرفية وتابعتْ نن ولعلها بالكتابة.

عملتْ في مستهل حياتها راقصة وموديلاً للرسامين والنحاتين . كتبت الرواية، القصة القصيرة، المقالة، النقد، و أولاً وقبل كل شيء اليوميات.

اشتهرت أناييس بنشرها ليومياتها التي غطت حقبةً زمنية أمدها أربعة عقود من القرن العشرين، حيث بدأت بتدوين يومياتها عندما كانت في الحادية عشرة من عمرها.

دونت نن سبعة مجلدات من اليوميات طبعتْ في المدة بين ١٩٦٦-١٩٨١ .

كما نالت نن التثمين والتقييم عن كتاباتها الإيروسية. كانت هي أول امرأة تكشف حقيقة هذا الحقل الفريد.

كانت صديقة لشخصيات أدبية بارزة، بضمنها هنري ميللر، أدموند ولسن، غور فيدال، جونا بارنيس، جيمس آجي، ولورنس داريل.

في كانون الأول (ديسمبر) ١٩٣١ تعرّفت إلى الكاتب هنري ميللر. كان هذا يحيا في عالم تحت أرضي يختلف عن أي من العوالم التي عرفتها نن حتى ذلك الحين. كان رفاقه هم قطاع الطرق، المومسات ومدمنو العقاقير في باريس. كان ميللر يحيا مع زوجته جون حياة الدرجات القصوى، وبدا لـ نن أنهما كانا في منتهى الحيوية بطريقة ما لم تكن فيها كذلك.

ما إن دخلتْ نن هذا العالم حتى شعرتْ أن حياتها الخاصة كانت خانقة جداً، وهي الفنانة مرهفة الإحساس التي ضاقت ذرعاً بدورها كزوجة لمصرفي.

في العام ١٩٣٢ سعتْ إلى حل صراعاتها الداخلية عبر المعالجة مع المحلل النفسي الباريسي البارز رينيه اليندي، وفي مابعد مع أوتو رانك. في النهاية درست على يد رانك وعملت في مؤسسته الخاصة في نيويورك.

تأثرت بعمق بكتاب من أمثال د.ه. لورنس، ، بروست، وبخاصة رواية جونا بارنيس "نايتوود".

أعمالها الروائية والقصصية تكشف تأثرها العميق بالسوريالية... كما تأثرتْ هي بتجارب كتاب حداثويين مثل د.ه.لورنس وفرجينيا وولف، اللذين استخدما السرد التعبيري وسرد تيار الوعي.

عانت نن طويلاً من العثور على ناشر لكتبها.

بعد وفاتها بالسرطان في سنة ١٩٧٧ قفزت كتبها إلى أعلى المبيعات. في العام ١٩٧٣ حازت لقب الدكتوراه الفخرية من كلية فيلادلفيا للفن. من رواياتها المهمة: "شتاء الخديعة" ، "بيت السفاح"، "جاسوس في بيت الحب"، "تحت ناقوس زجاجي".

تقول أنابيس نن في أحد كتبها: "إن لم تتنفس عبر الكتابة، إن لم تصرخ في الكتابة، أو تغني في الكتابة، إذاً لاتكتب؛ لأن ثقافتنا ليستْ بحاجة إلى هكذا كتابة".

كما تقول:"ارمِ أحلامكَ في الفضاء كما ترمي طائرة ورقية، فأنتَ لاتعرف ما الذي ستعود به، حياةً جديدةً، صديقاً جديداً، حباً جديداً، بلداً جديداً".

المترجم

علي عبد الامير صالح

مقدمة *

[نيسان (أبريل ١٩٤٠).]

منح جامع كتب هنري ميللر مائة دولاراً شهرياً كي يكتب قصصاً مثيرة للشهوة الجنسية. بدا ذلك أشبه بعقاب دانتي [١] كي يحكم على هنري أن يكتب إيروتيكا بثمن دولار للصفحة الواحدة. ثار هو بطبيعة الحال لأن مزاجه في تلك الآونة كان مضاداً للأدب الرابيلي [٢]، لأن الكتابة بحسب الطلب كانتْ وظيفة مخصية، لأنه إذا كتبَ وثمة من يختلس النظر من ثقب الباب فذلك كفيل بأن يجرد مغامراته الخيالية من كل عفويتها ومتعتها.

[كانون الأول (ديسمبر)، ١٩٤٠]

روى لي هنري عن جامع الكتب. كانا في بعض الأحيان يتناولان الغداء معاً. اشترى هو مخطوطةً من هنري وبعدئذ اقترح عليه أن يكتب شيئاً ما لواحدٍ من أقدم وأغنى زبائنه. لم يكنْ بوسعه أن يتحدث الكثير عن زبونه هذا عدا كونه مولعاً بالأيروتيكا.

بدأ هنري رحلته بمرح، وهزل. إخترع قصصاً جامحةً ضحكنا

* تتعرف من "يوميات أنايس نن"، المجلد الثالث.

عليها. دخل إليها كتجربة، وبدت هي يسيرة في بادئ الأمر. إنما بعد برهةٍ من الزمن أورثته الكآبة والملل. لم يشأ أن يمس أيَّ موضوع خطط للكتابة عنه في عمله الحقيقي، لذا كان محكوماً عليه أن يفرض اختراعاته ويكره مزاجه.

لم يتلقَ أي كلمة شكر من الزبون الدائم الغريب. من الطبيعي أنه لم يشأ أن يكشف عن هويته. إلا أن هنري شرع يضايق الجامع. هل يوجد مثل هذا الزبون الدائم حقاً؟ هل كانتْ تلك الصفحات لجامع الكتب نفسه، كي تضاعف حياته الكئيبة؟ هل كان الاثنان شخصاً واحداً والشخص نفسه؟ هنري وأنا ناقشنا هذا الموضوع بإسهاب، حائرين ومستغرقين في التفكير.

في ما يتعلق بهذه المسألة، أعلن جامع الكتب أن زبونه آتٍ إلى نيويورك وأن هنري ميللر سيلتقيه. إنما بشكل أو بآخر هذا اللقاء لم يحدث أبداً. كان جامع الكتب مسرفاً في وصفه للطريقة التي أرسل بها المخطوطات بوساطة البريد الجوي، كم كانت كلفتها، التفاصيل الصغيرة قُصد منها إضفاء الواقعية على الادعاءات التي قدمها بشأن وجود زبونه.

ذات يوم طلب نسخةً من "ربيع أسود" مع إهداء.

قال هنري: "لكنكَ أخبرتني على ما أعتقد أنه اقتنى كتبي كلها، طبعات موقعة؟"

"فقد هو نسخته من [ربيع أسود ".]

" لمن أهدي نسختي؟" قال هنري ببراءة.

"قل فقط [إلى صديق نبيل]، ووقع اسمك."

بعد مضي أسابيع قلائل احتاج هنري إلى نسخة من "ربيع أسود" ولم يكنْ بالمستطاع العثور على أي واحدة. قرر أن يستعير نسخة جامع الكتب. ذهب إلى المكتب. أخبره السكرتير أن ينتظر. شرع يتفحص المؤلفات في خزانة الكتب. رأى نسخةً من "ربيع أسود". سحبها. كانت تلك هي النسخة التي أهداها إلى [صديق نبيل.]

حين دخل جامع الكتب، أخبره هنري بهذا الأمر، ضاحكاً. في دعابة جيدة متساوية، فسر الجامع: "أو،نعم، الرجل العجوز أمسى برماً جداً بحيث إنني أرسلتُ له نسختي الخاصة بينما كنتُ أنتظر الحصول على هذه النسخة الموقعة من قبلك، عازماً على إستبدالهما فيما بعد عندما يقبل هو إلى نيويورك ثانيةً."

قال لي هنري عندما التقينا: "إنني حائر أكثر من أي وقت مضى."

حين سأل هنري ما هو رد فعل الزبون الدائم على كتابته، أجاب الجامع: "أو، أنه يحب كل شيء. هي مدهشة بكل ما في الكلمة من معنى. لكنه يحبها أكثر عندما تكون سردية، روي القصص لاغير، من دون تحليل ولا فلسفة.".

حينما كان هنري يحتاج إلى المال لتغطية نفقات سفره يقترح عليّ أن أكتب شيئاً ما في غضون ذلك. شعرتُ أنني لا أود أن أقدم شيئاً أصيلاً، وقررتُ أن أبدع مزيجاً من قصص سمعتها مع ابتكارات من جعبتي، مدعيةً أنها كانت من يوميات امرأة. لم ألتقِ جامع الكتب. كان يلزمه أن يقرأ صفحاتي ويجعلني أعرف ما رأيه بها. اليوم تلقيتُ اتصالاً هاتفياً. قال لي صوت: "إنها كتابة رائعة. إنما اتركي الشعر

ووصف الأشياء كلها إلا الجنس. ركزي على الجنس."

هكذا بدأتُ الكتابة بلغة وقحة، كي أغدو غير مألوفة، مبدعة، وبالغتُ كثيراً بحيث ظننتُ أنه سيدرك أنني كنتْ أصف النشاط الجنسي بصورة كاريكاتورية. إنما لم يكنْ ثمة احتجاج. أمضيتْ أياماً معدودات في المكتبة أدرس الـ "كاما سوترا" (٣)، مصغيةً إلى مغامرات الأصدقاء الموغلة في التطرف.

"القليل من الشعر"، قال الصوت عبر سماعة الهاتف. "كوني دقيقة."

إنما هل ثمة أحد خبر المتعة الناجمة عن قراءة وصف سريري؟ ألا يعرف الرجل العجوز كي تحمل الكلماتُ الألوان والأصوات إلى داخل الطبيعة البشرية؟

كل صباح بعد الفطور كنتُ أجلس كي أكتب حصتي من الأيروتيكا. ذات صباح كتبتُ على الآلة الطابعة: "كان ثمة مغامر هنغاري..." منحته ميزاتٍ كثيرةً: الجمال، الأناقة، التناسق، الجاذبية، مواهب ممثل، معرفة بلغات عدة، ميل للخداع، ميل لتخليص نفسه من الصعوبات، وميل لتجنب الاستمرار والمسؤولية.

ثمة نداء هاتفي آخر: "الرجل العجوز مسرور. ركزي على الجنس. اتركي الشعر."

أسس هذا وباءً من "المجلات" الإيروسية. الجميع جعلوا يكتبون تجاربهم الجنسية. تجارب ملفقة، مسموعة بالمصادفة، بُحث عنها في كتاب كرافت إيبنغ (٤) والكتب الطبية. كانت لنا حوارات كوميدية. كنا نروي قصةً ويتوجب على بقيتنا أن يقرروا ما إذا كان صحيحة أم لا. أو

معقولة ظاهرياً. هل هذه قصة مقبولة ظاهرياً؟ روبرت دنكان يقدم تجربةً كي يختبر اختراعاتنا كي يؤكد أو يلغي فانتازياتنا. كنا جميعاً بحاجة إلى المال، لذا أسهمنا كلنا في جهد مشترك ألا وهو كتابة القصص.

كنتُ متيقنةً من أن الرجل العجوز لايعرف شيئاً عن السعادات البالغة، النشوات، الأصداء المذهلة للقاءات الجنسية. كانت رسالته هي حذف الشعر.. الجنس السريري المحروم من كل دفء الحب ـ جعل الحواس كلها تعمل كالأوركسترا؛ اللمس، السمع، البصر، الذوق؛ كل المصاحبات الباعثة على الشعور بالنشاط والخفة، موسيقى الخلفية، الأمزجة، الجو، الاختلافات ـ أرغمته كلها على اللجوء إلى كل ما هو مثير للشهوة الجنسية من الأدب.

كان بوسعنا أن نكبح أسراراً أفضل من أن نرويها له، غير أن هكذا أسرار كان غير راغب في الإصغاء إليها. لكن ذات يوم حين يبلغ مرحلة الإشباع سأروي له كيف أنه جعلنا نوعاً ما نفقد اهتماماتنا بالعاطفة من خلال تسلط الإيماءات الخالية من عواطفها عليه، وكيف أننا شتمناه، لأنه تقريباً جعلنا نكرس أنفسنا للعفة، لأن ما أراد منا أن نستثنيه هو ميزتنا الخاصة المثيرة للشهوة الجنسية ـ أي الشعر.

تسلمتُ مائة دولاراً عن الايروتيكا خاصتي. غونزالو كان يحتاج إلى نقد لتسديد أجرة طبيب الأسنان، هيلبا كانت بحاجة إلى مرآة من أجل رقصها، وهنري احتاج إلى المال لتغطية نفقات سفره. غونزالو حكى لي قصة الباسكي وبيجو ودونتها من أجل جامع الكتب.

قائمة الهاتف لم تُدفعْ. شبكة الصعوبات الإقتصادية كانت تطبق عليّ. الجميع المحيطون بي غير مسؤولين عن، وغير واعين بـ الضياع والخيبة. أنجزتُ ثلاثين صفحةً من الإيروتيكا.

أفقتُ من جديد على إدراكي بعدم إمتلاكي فلس واحد وهاتفتُ جامع الكتب. هل سمع من زبونه الثري عن آخر مخطوطة بعثتُها له؟ لا، لم يسمعْ، لكنه سيأخذ المخطوطة التي أنهيتها تواً ويدفع لي عنها. تعين على هنري أن يزور طبيباً. غونزالو كان بحاجة إلى النظارات. روبرت أقبل مع ب. وطلب مني النقود كي يذهب إلى السينما، السخام القادم من النافذة الكائنة فوق الباب سقط على ورقتي المطبوعة و على عملي. أقبل روبرت وأخذ بعيداً علبة ورقي المطبوع.

ألم يتعب الرجل العجوز من الأدب الإباحي؟ ألن تقع معجزة؟ بدأتُ أتخيله يقول: "اعطني كل ما تكتبه هي، أريده كله، أحبه كله. سوف أبعث إليها هديةً كبيرةً، شيكاً ضخماً عن جميع الكتابات التي أنجزتها".

كسرتْ آلتي الطابعة. بمائة دولار في جيبي إستعدتُ تفاؤلي. قلتُ لـ هنري: "جامع الكتب يقول إنه يحب النساء البسيطات، غير الميالات إلى الدرس والتأمل والتفكير ـ لكنه دعاني إلى الغداء".

كان لي إحساس أن علبة باندورا [٥] ضمتْ أسرار حسية المرأة المختلفة جداً عن حسية الرجل، وبسبب ذلك فإن لغة الرجل غير كافية. لغة الجنس لم تُبتكر بعد. لغة الحواس لم تُستكشفْ حتى الآن. د.ه. لورنس شرع يمنح الغريزة لغةً، حاول أن يفلت مما هو سريري، علمي، لغة تستولي على ما يشعر به الجسد.

[تشرين الأول (أكتوبر)، ١٩٤١]

حينما أقبل هنري أدلى بتصريحاتٍ متناقضة. كونه يستطيع أن يعيش على لاشيء، كونه يشعر بأنه في حالٍ جيدة جداً بحيث أن بوسعه حتى أن يفوز بوظيفة ما، أن كماله منعه من كتابة السناريوهات في هوليوود. في الختام قلتُ: "وماذا عن الكمال المتعلق بكتابة ايروتيكا من أجل المال؟".

قهقهه، هنري، اعترف بالمفارقة، بالتناقضات، ضحك وصرف النظر عن الموضوع.

فرنسا لها تقليد من الكتابة الأدبية المثيرة للشهوات الجنسية، بإسلوب جميل، وأنيق. حين شرعتُ أولاً في الكتابة لجامع الكتب حسبتُ أن ثمة تقليداً مشابهاً هنا، إلا أنني لم أجدْ شيئاً على الإطلاق. كل ما رأيته كان أشياءً رديئة النوع، مدونة من قبل كُتاب الدرجة الثانية. بدا لي أن ما من كاتب ممتاز حتى الآن حاول أن يجرب كتابة ايروتيكا.

أخبرتُ جورج باركر كيف كانت تكتب كاريسا كروسبي، روبرت، فيرجينيا أدميرال وآخرون. راق ذلك لإحساس الدعابة خاصته. فكرة كوني مديرة بيت الدعارة الأدبي هذا المقتنع بتفوق ذوقه، الذي تم إقصاء السوقية عنه.

ضاحكةً، قلتُ: "أجهز الورق والكاربون، أعطي المخطوطة غفلةً من الاسم، أني أحمي غفلية الجميع."

شعر جورج باركر أن هذا أكثر هزلاً وإيحاءً من استجداء، استعارة أو تملق وجبات الطعام من الأصدقاء.

جمعتُ الشعراء من حولي وكتبنا جميعاً إيروتيكا جميلة. بما أنه

حُكم علينا أن نركز فقط على الإنغماس في الشهوات الحسية، كانت لنا إنفجارات عنيفة من الشعر. أضحتْ كتابة إيروتيكا طريقاً إلى القداسة وليس إلى الفسوق.

هارفي بريت، روبرت دنكان، جورج باركر، كاريسا كروسبي، كشفنا جميعاً مهاراتنا في عملٍ دالٍ على البراعة، مزودين الرجل العجوز بوفرةٍ هائلةٍ من الهناءات الفاسدة، بحيث توسل الآن طالباً المزيد منها.

المثليون كتبوا كما لو كانوا نساءً. الجبناء كتبوا عن طقوس اللهو والرقص المعربد. الباردون جنسياً عن الإشباع المسعور للغريزة. أما الأكثر شاعرية فانغمسوا في بوهيمية خالصة، والأكثر نقاءً في الإنحرافات الجنسية. كنا مسكونين بحكاياتٍ عجائبية لم يكن بمستطاعنا أن نرويها. كنا نجلس بهيئة حلقة، متخيلين هذا الرجل العجوز، متحدثين عن مقدار كرهنا له، لأنه لم يسمح لنا أن نمزج بين النشاط الجنسي والشعور، الحسية والعاطفة.

[كانون الأول (ديسمبر، ١٩٤١)]

كان جورج باركر يحيا في فقر مدقع. كان يريد أن يكتب المزيد من الإيروتيكا.

دوّن خمساً وثمانين صفحةً. اعتقد جامع الكتب أنها في غاية السوريالية. أحببتُ صفحاته تلك. كانت مشاهد الجماع التي وصفها غير مرتبة ورائعة. الحب بين أراجيح الرياضيين.

أنفق أول مبلغ من النقود على الشراب، ولم يكنْ بمستطاعي أن أعيره شيئاً سوى الورق والكاربون. جورج باركر، الشاعر الإنكليزي

الممتاز، يكتب إيروتيكا كي يحتسي الشراب، بالضبط على غرار أوتريبو [١] الذي رسم اللوحات مقابل زجاجة نبيذ. أخذتُ أفكر في العجوز التي كنا جميعاً نبغضه. قررتُ أن أكتب له، أخاطبه بصورة مباشرة، أخبره عن مشاعرنا.

"عزيزي جامع الكتب: نحن نبغضك. الجنس يفقد كل قوته وسحره، حين يصبح صريحاً، ميكانيكياً، مبالغاً به، حين يصبح هاجساً ميكانيكياً. يغدو مصدر إزعاج. علمتنا أكثر من أي شخص آخر عرفته كم هو شيء خاطئ أن لا نمزجه مع العاطفة، الجوع، الرغبة، الشبق، الأهواء، النزوات، الصلات الشخصية، مع علاقات أعمق تغير لونه، نكهته، إيقاعاته، قوته.

"أنتَ لاتعرف ماذا تفقد من خلال فحصك المجهري للنشاط الجنسي مقابل إقصاء الوجوه التي هي الوقود الذي يشغله. الوجه الفكري، الخيالي، الرومانسي، العاطفي. هذا هو الذي يهب الجنس صفاته المميزة المدهشة، تحولاته الحاذقة، عناصره المثيرة للشهوة الجنسية. أنتَ تقلص عالم أحاسيسك، أنك تذبله، تجوّعه، تفرّغ دمه.

"إذا غذيتَ حياتك الجنسية بكل الإثارات والمغامرات التي يحققها الحب في الحسية، ستكون أكثر الرجال فحولةً في العالم. إن مصدر القوة الجنسية هو الفضول، الهيام. إنك تشاهد لهبها الصغير يخبو من جراء الخنق. الجنس لاينمو في الرتابة. من دون إحساس، اختراعات، أمزجه، من دون مفاجآت في الفراش. الجنس يجب أن يمتزج بالدموع، بالضحك، بالكلمات، بالوعود، بالإنفجارات العاطفية، بالغيرة، بالحسد، بكل توابل الخوف، بالسفر عبر البلدان الأجنبية، بالوجوه الجديدة، بالروايات،

ال ـص، الأحلام، الفانتازيات، بالموسيقى، بالرقص، بالأفيون، والخمر.
"كم تفقد من خلال منظار الأفق هذا على طرف عضو ذكورتك، يكون بوسعك أن تتمتع بحريم ذوات معجزات متميزة ولن تتكرر ...طاً؟ ما من شعرتين متشابهتين، لكنك لا تدعنا نبدد الكلمات على شعرة؛ وما من رائحتين متشابهتين، أما إذا تكلمنا بتفصيل في لشأن تصرخ قائلاً [احذفوا]الشعر. ما من بشرتين ببنية واحدة، الضياء نفسه، والحرارة نفسها، ولا حتى الظلال، ولا الإيماءة؛ ذلك عاشق، أي عاشق، حين يثيره حب حقيقي يكون بوسعه أن يطوف سلة الكاملة لقرون من تقاليد الحب..يا له من مجال، يالها من تغيرات العمر، يالها من أشكال مختلفة للنضج والبراءة، للإنحراف و الفن...

"جلسنا متحلقين على مدى ساعات عدة، وساءلنا أنفسنا كيف تبدو أنت. إذا كنتَ أغلقتَ حواسك على الحرير، الضوء، اللون الرائحة، الشخصية، المزاج، فلابد أنكَ الآن ذبلتَ كلياً. ثمة حواس صغيرة كثيرة جداً، كلها تجري كالروافد لتصب في الجدول الرئيس للجنس، مغذيةً إياه. وحدها النبضة المتحدة للجنس والقلب معاً التى تستطيع أن تخلق النشوة."

ملحق

في الوقت الذي كنا فيه جميعاً نكتب إيروتيكا بسعر دولار للصفحة الواحدة، أدركتُ أنه على مدى قرون عدة كان لنا فقط نموذج واحد لهذا الجنس الأدبي ـ كتابة الرجال. كنتُ قبل الآن أعي الاختلاف بين المعالجة الذكورية والمعالجة الأنثوية للتجربة الجنسية. عرفتُ أن ثمة تفاوتاً كبيراً بين وضوح هنري ميللر وغموضاتي ـ بين نظرته الهزلية، الرابلية للجنس ووصوفاتي الشاعرية للصلات الجنسية في الأجزاء غير المنشورة من اليوميات. كما كتبتُ في الجزء الثالث من (اليوميات)، كان لي إحساس أن صندوق باندورا يحتوي على أسرار حسية المرأة، وهي مختلفة كل الإختلاف عن أسرار حسية الرجل والتي كانت لغة الرجل غير كافية لها.

النساء، في إعتقادي، أكثر ميلاً لأن يدمجن الجنس مع العاطفة، مع الحب، وكي يفردن رجلاً واحداً فإنه بالأحرى يكون غير مميز. أمسى هذا واضحاً بالنسبة لي حينما كتبتُ الروايات و (اليوميات)، ورأيتُ ذلك حتى بجلاء أكثر عندما شرعتُ أعطي الدروس. لكن بالرغم من أن موقف النساء من الجنس كان مختلفاً جداً عن موقف الرجال، فمازلنا حتى الآن لم نتعلمْ كيفية الكتابة عنه.

هنا في الإيروتيكا كتبتُ كي أسلي، بإلحاح من زبون دائم طلب مني.

أن "أترك الشعر". في إعتقادي أن أسلوبي مستمد من قراءاتي لأعمال الرجال. لهذا السبب شعرتُ طويلاً أنني سوّيتُ ذاتي الأنوثية. نحيتُ الايروتيكا جانباً. أعدتُ قراءتها طوال هذه السنوات الأخيرة، أرى أن صوتي الخاص لم يقمع كلياً. في فقرات عديدة استخدمت بصورة بدهية لغة امرأة، ناظرةً إلى التجربة الجنسية من وجهة نظر امرأة. قررتُ أخيراً أن أطلق سراح الأيروتيكا للنشر لأنها تكشف الجهود الإبتدائية لإمرأة في عالمٍ كان مُلكاً للرجال.

إذا كانت الطبعة غير المهذبة لـ (اليوميات) نشرتْ في أي وقت مضى، فإن وجهة النظر الأنوثية هذه ستكون راسخة بصورة أكثر جلاءً. سوف تكشف أن النساء (وأنا في [اليوميات])لم يفصلن الجنس عن الإحساس، عن حب الرجل السليم، المعافى.

أنابيس نن

لوس أنجلس

أيلول (سبتمبر)، ١٩٧٦ .

المغامر الهنغاري

كان ثمة مغامر هنغاري له جمال مدهش، سحر لا يخطئ، تناسق، قدرات ممثل متمرس، ثقافة، معرفة بلغات عدة، سلوك أرستقراطي. تحت هذه الصفات كلها كان ثمة ميل للخداع، للإفلات من الصعوبات، للتنقل بخفة وانسيابية في داخل وخارج البلدان.

سافر بإسلوبٍ متسم بالمبالغة الحمقاء، مع خمسة عشر صندوق ثياب من أروع الملابس، مع دانيين (٧). مظهره الخارجي الدال على السلطة جعله ينال لقب البارون. كان البارون يُرى في أفخم الفنادق وأكثرها ترفاً، في أمكنة الأرواء وسباقات الخيل، في جولاتٍ حول العالم، في رحلات قصيرة إلى مصر، وسفرات عبر الصحراء وفي أعماق أفريقيا. في الأمكنة كلها كان مركز جذب النساء ومحط أنظارهن. مثل أكثر الممثلين تمتعاً بالمواهب المتعددة، كان يتنقل من دور إلى دور كي يرضي ذائقة كل واحدة منهن. كان أكثر الراقصين أناقةً، أكثر شركاء الغداء نشاطاً وحيوية، أكثر المضيفين إنحطاطاً وجهاً لوجه؛ كان بوسعه أن يبحر في سفينة، أن يمتطي صهوة جواد، ويقود سيارة. كان يعرف المدن كلها كما لو أنه سكن هناك طوال حياته كلها. كان يعرف كل أفراد

المجتمع الراقي. كان رجلاً لاغنى عنه. عندما كان يحتاج إلى المال يتزوج امرأةً ثريةً، يسرقها ويغادر إلى بلد آخر. في معظم الأحيان لم تكنْ النسوة يثرن غضباً أو يرفعن شكوى إلى الشرطة. الأسابيع أو الشهور القلائل التي متعهن فيها بصفته زوجاً كانت تترك لديهن إحساساً أقوى من صدمة فقدان نقودهن. على مدى لحظة واحدة عرفن ماذا يعني أن يحيا المرء بأجنحة قوية، وأن يحلق فوق رؤوس الأشخاص متوسطي المقدرة.

أخذهن عالياً جداً، دوَّرهن بسرعة هائلة في سلسلة أسحاره، ذلك أن رحيله كان ما يزال يعمل شيئاً من الهرب. بدا ذلك طبيعياً بعض الشيء، ما من شريكة تستطيع أن تتبع إندفاعاته القوية المتصلة الشبيهة بإندفاعات نسر عظيم.

المغامر الحر، الذي لايمكن القبض عليه، بينما كان يقفز هكذا من غصن ذهبي إلى آخر، هوى نوعاً ما في فخ، فخ الغرام البشري، حينما التقى ذات ليلة الراقصة البرازيلية أنيتا في مسرح بيروفي (نسبة إلى بيرو). عيناها المطولتان لم تكونا تغمضان مثلما تفعل عيون النساء الأخريات، بل كانت مثل عيون النمور، الأسود الأمريكية والأسود البريطانية، الجفنان يلتقيان بكسل وبطء؛ وتبدوان كلتاهما مخيطتين قليلاً إلى الأنف، مما جعلهما ضيقتين، وبنظرة داعرة، زائغة تهبط منها أشبه بنظرة امرأة لاتريد أن ترى ماذا يُفعل لجسدها. هذا كله منحها سيماء امرأة قمت بمضاجعتها، الأمر الذي أثار البارون حالما التقاها. حينما ذهب إلى خلف ستارة المسرح ليلتقيها، كانت ترتدي ثيابها وسط وفرةٍ من الأزاهير؛ ومن أجل بهجة معجبيها الذين جلسوا حولها، كانت

تصبغ عضو أنوثتها بأحمر شفاهها من دون أن تسمح لهم أن يومئوا إيماءةً واحدةً نحوها.

حين دخل البارون رفعتْ رأسها حصراً وابتسمت له. كانت تضع إحدى قدميها على طاولة صغيرة، ثوبها البرازيلي المحكم كان منحسراً، وبيديها المزينتين بالجواهر تابعتْ صبغ عضو أنوثتها ثانيةً، ضاحكة على إثارة الرجال المحيطين بها.

كان عضو أنوثتها أشبه بزهرة مستنبت زجاجي ضخمة، أكبر من أي عضو رآه البارون من قبل، والشعر المحيط به غزير ومجعد، أسود لامع. كانت تلك هي الشفاه التي حمرتها كما لو كانت فماً، بصورةٍ متقنة بحيث أصبحتْ أشبه بزهور كاميليا حمراء كالدم، فتحتهما بالقوة، كاشفةً البرعم الداخلي المغلق، قلب الزهرة، رقيق البشرة، والأكثر شحوباً.

لم يستطع البارون أن يقنعها بتناول العشاء معه. كان ظهورها على الخشبة مجرد المقدمة لعملها في المسرح. الآن تابعتْ دورها الذي إشتهرت بسببه عبر أمريكا الجنوبية كلها، عندما امتلأت مقصورات المسرح، العميقة، المظلمة، نصف مسدلة الستائر برجال المجتمع الراقي من بلدان العالم كافة. النساء لم يكن يأتين إلى برنامج المنوعات المسرحي الخفيف الراقي هذا.

كانتْ ألبست نفسها كلياً ثانيةً الزي النسائي الكامل الذي لبسته على الخشبة من أجل أغنياتها البرازيلية. لكنها لم تلبسْ شالاً. كان فستانها من دون حمالتي كتف، وثدياها المكتنزان مضغوطين بوساطة الزي ضيق الخصر، نتئا إلى الأعلى، مقدمين نفسهما تقريباً بكل تماميتهما للعين.

في هذا اللباس، بينما تواصلت بقية فقرات العرض، قامتْ بجولتها حول مقصورات المسرح. هناك، بحسب الطلب، جثت أمام رجل، فتحتْ أزرار سرواله، أخذتْ عضو ذكورته بين يديها المرصعتين بالجواهر، وببراعة لمس، وخبرة، قلما أظهرتْ نساء رقيقات مثيلاً لهما، مصته إلى أن شعر بالرضا. كانت يداها نشيطتين كفمها.

الدغدغة تقريباً جردتْ جميع الرجال من عقولهم. مرونة يديها؛ تباين الإيقاعات؛ التغير من مسكة يد للقضيب كله إلى أرق لمسة لرأسه، من العجن القوي للأجزاء كلها إلى أرق تمشيط للشعر المحيط به - كل هذا قامت به امرأة جميلة وشهوانية بصورةٍ استثنائية بينما كان انتباه الجمهور منصرفاً نحو الخشبة. رؤية القضيب يدخل في فمها الكبير بين أسنانها اللامعة، بينما ثدياها يعلوان ينخفضان بصورةٍ إيقاعية، منح الرجال سروراً كانوا يدفعون لقاءه مالاً سخياً.

وجودها على الخشبة هيأهم لظهورها في مقصورات المسرح. أثارتهم بفمها، بعينيها، بثدييها. وكي تشبع رغباتهم، صحبة الموسيقى والأضواء والغناء في مقصورة مسرح معتمة، نصف مسدلة الستائر فوق الجمهور، كان شكلاً مثيراً بصورة استثنائية من المتعة واللهو.

البارون تقريباً هوى في حب أنيتا ومكث معها زمناً أطول من أي زمن أمضاه مع أي امرأة كانت. وقعتْ هي في أسر غرامه وحملت له طفلين.

إنما بعد سنوات قلائل فتر حبه لها وتعطلتْ عاطفته من جديد. كانتْ العادة جد قوية؛ عادة التحرر والتغيير.

سافر إلى روما واستأجر (سويتاً) في الـ(غراند هوتيل). حدث أن

(السويت) كان متاخماً لـ (سويت) السفير الإسباني، الذي كان يعـ
زوجته وابنتيه الصغيرتين. البارون سحرهم، أيضاً. زوجة السفير أعجـ
به. ربطت بينهم صداقة ومودة وكان هو مسروراً جداً مع الطفلتين، اللتين
كانتا لاتعرفان كيف تسليان نفسيهما في هذا الفندق، أمسى ذلك
عادة البنتين الصغيرتين، فكانتا تنهضان صباحاً، تذهبان لزيارة البا
وإيقاظه من نومه مع الضحك والمضايقة، الأمرين اللذين لم يكن يسمح
لهما بأن يجودا بهما على أبيهما وأمهما الأكثر وقاراً.

إحدى الفتاتين كانتْ في نحو العاشرة، الأخرى في الثانية عـ
كانت كلتاهما جميلة، وبعيون كبيرة سود كالمخمل، شعر حريري طـ
وبشرة ذهبية كانتا ترتديان ثوبين أبيضين قصيرين وجوارب بيـ
قصيرة. زاعقتين، الفتاتان الصغيرتان كانتا تدخلان راكضتين حجرة
البارون وبصورة عابثة ترميان نفسيهما فوق سريره الكبير. ...
يضايقهما، يلاطفهما.

الآن البارون، على غرار رجال كثيرين، كان يستيقظ دوماً وعضو
ذكورته في حالة حساسة بصورة مميزة... الواقع، كان في حالة جد سريعة
التأثر. لم يكنْ له الوقت الكافي كي ينهض من فراشه ويهدئ، حالته
بوساطة التبول. قبل أن يكون بمستطاعه فعل هذا الأمر كانتْ الفتاتان
الصغيرتان تجتازان البلاط اللامع وترميان نفسيهما فوقه، وفوق عضو
ذكورته البارز، الذي كان يخفيه نوعاً ما اللحاف الكبير الأزرق الباهت.

الفتاتان الصغيرتان لم تكونا تباليان كيف كانت تنورتاهما
تطيران وسيقانهما الرشيقة، سيقان راقصة، تتشابك وتسقط فوق عضو
ذكورته الممتد مستقيماً في اللحاف. ضاحكتين، كانتا تدوران فوقه،

تجلسان فوقه، تعاملانه كما لو كان جواداً، تجلسان منفرجاتا السيقان وتضغطان نفسيهما عليه، حاثتين إياه على أن يهز السرير بحركةٍ من جسده. مع هذا كله، كانتا تقبلانه، تسحبان شعره، وتتحاوران معه حوارات طفولية. بهجة البارون في كونه يعامل هكذا تتحول تدريجياً إلى تشويق مفرط.

إحدى الفتاتين كانت تضطجع على بطنها، وكل ماكان ينبغي له أن يفعله هو أن يتحرك قليلاً تجاهها كي يصل إلى ذروته. هكذا فعل هو هذا بصورةٍ عابثة، كما لو أنه قصد أن يدفع أخيراً عن السرير. قال: "إني متيقن من أنك ستقعين من على السرير إذا ما دفعتك بهذه الطريقة".

"لن أقع من السرير"، قالت البنت الصغيرة، ماسكةً إياه عبر الأغطية بينما كان يتحرك كما لو أنه يجبرها على أن تتدحرج على جانب السرير. ضاحكاً، دفع جسدها إلى الأعلى، لكنها إضطجعتْ قريباً منه، ساقاها الصغيرتان، سروالها التحتي الصغير، كل شيء، يحتك به في سعيها إلى عدم الإنزلاق، وواصل هو تصرفاته الغريبة بينما كانا يطلقان الضحكات. بعدها، الفتاة الثانية، راغبةً في معادلة قوة اللعبة، جلستْ منفرجة الساقين فوقه أمام الفتاة الأخرى، والآن أمسى بمستطاعه أن يتحرك كذلك بجموح أكثر من ثقل الاثنتين فوقه. عضو ذكورته، المختبئ في اللحاف السميك، ارتفع رويداً رويداً من جديد بين السيقان الصغيرة، وهكذا بلغ ذروة التهيج الجنسي، ذروة ذات قوة قلما عرف مثيلةً لها، مستسلماً للمعركة، التي كسبتها الفتاتان بسلوك لم تتوقعاه أبداً.

في مرة أخرى حين جاءتا لتلعبان معه وضع يديه تحت اللحاف، بعدئذ رفعه بسبابته وتحداهما أن تمسكاها. وهكذا بلهفة عظيمة، شرعتا تلاحقان الإصبع، الذي إختفى وعاد إلى الظهور في أجزاءٍ مختلفة من السرير، ممسكتين به بقوة بأيديهما. بعد لحظة لم يكنْ الإصبع بل عضو الذكورة هو الذي أمسكتا به المرة تلو المرة.وساعياً إلى تخليصه، جعلهما تقبضان عليه بقوة أكثر من أي وقت مضى. كان يختفي تحت الأغطية تماماً، وآخذاً عضو ذكورته بيده وفجأةً دفعه عالياً نحوهما كي تمسكانه.

تظاهر بكونه حيواناً، ساعياً إلى الامساك بهما وعضهما، في بعض الأحيان قرب الأمكنة التي كان يريدها، ونالتا سروراً كبيراً في هذا. مع "الحيوان" لعبتا أيضاً لعبة (الغميضة). كان على "الحيوان" أن ينبثق لهما من زاوية مخفية. توارى في الخزانة على الأرضية وغطى نفسه بالثياب. إحدى الفتاتين الصغيرتين فتحتْ الخزانة.كان بوسعه أن يرى ما تحت ثوبها، أمسك بها وعضها بعبث في فخذيها.

مثيرةً جداً كانت الألعاب، كبيراً جداً كان اشتباك المعركة وكذلك حماسة الفتاتين الصغيرتين في اللعب. ذلك أن يده في أحوالٍ كثيرةٍ جداً كانت تمضي إلى كل الأمكنة التي أراد أن تمضي إليها. في الختام سافر البارون ثانيةً، إلا أن أرجوحة البهلوان العالية خاصته جعلتْ تقفز من قدر إلى قدر متدهورةً حين أضحى مطلبه الجنسي أقوى من مطلبه للمال والسلطة. بدا كما لو أن قوة توقه إلى النساء لم تعدْ خاضعة للسيطرة. كان متلهفاً لأن يخلص نفسه من زوجاته، كي يتابع بحثه عن الإحساس عبر أرجاء العالم.

ذات يوم سمع أن الراقصة البرازيلية التي أعزم بها ماتت بسبب

جرعة زائدة من الأفيون. إبنتاهما كبرتا حتى بلغتا سن الخامسة عشرة والسادسة عشرة وأرادتا أن يتولى أبوهما رعايتهما. بعث إليهما. كان يومذاك يسكن في نيويورك مع زوجة أنجبتْ منه ابناً. لم تكنْ المرأة مسرورة بفكرة وصول البنتين. كانت تغار على ابنها، الذي لم يتجاوز الرابعة عشرة. بعد رحلاته كلها يريد البارون الآن بيتاً وراحةً من المصاعب والحجج. كان له راهناً زوجةً يحبها نوعاً ما وثلاثة أطفال. فكرة لقائه بابنتيه أثارتْ إهتمامه ثانيةً. استقبلهما بإظهارات كبيرة للعاطفة. إحداهما كانت جميلة، الأخرى أقل جمالاً إلا أنها مثيرة. كانتا رُبيتا كي تشهدا حياة أمهما ولم تكونا مكبوتتين أو مفرطتي الاحتشام. جمال أبيهما ترك فيهما انطباعا قوياً. هو، من ناحية أخرى، ذكر بألعابه مع الفتاتين الصغيرتين في روما، فقط ابنتاه كانتا أكبر قليلا، وهذا أضاف جاذبيةً أكبر للموقف.

منحتا سريراً كبيراً، وفي مابعد، حينما كانتا ماتزالان تتحدثان عن رحلتهما البحرية ولقائهما بوالدهما ثانيةً، دخل الحجرة كي يتمنى لهما ليلةً هانئة. تمدد إلى جانبهما وقبلهما. بادلتاه القبلات. إلا أنه بينما كان يقبلهما مرر يديه على طول جسديهما اللذين كان بوسعه أن يتحسسهما عبر ثوبي نومهما.

المداعبات أدخلتْ البهجة إلى فؤاديهما. "كم أنتما جميلتان. كلتاكما. أنا فخور جداً بكما. لا أستطيع أن أدعكما تنامان وحدكما. مر زمن طويل جداً منذ أن رأيتكما." هذا ما قاله لهما.

أمسك بهما بطريقةٍ أبوية، ورأساهما على صدره، مداعباً إياهما بحماية، جعهما تنامان، كل واحدة على أحد جانبيه. جسماهما الفتيان،

اليافعان ونهودهما الصغيرة التي ما كادتْ تتكون، أثرتْ فيه بحيث لم يستطع أن يغمض جفنيه. لاطف إحداهما ومن ثم الأخرى بحركات أشبه بحركات القط، كي لايقلق نومهما، إنما بعد لحظةٍ من الزمن أمستْ رغبته عنيفةً جداً، بحيث أوقظ إحداهما واعتلاها ومن ثم اغتصبها. الأخرى هي أيضاً لم تفلت منه. قاومتا وبكتا قليلاً، لكنهما شاهدتا كثيراً جداً من هذا خلال حياتهما مع أمهما ولم تثورا غضباً.

غير أن هذه لم تكنْ حالةً طبيعية من سفاح القربى، لأن الضراوة الجنسية للبارون كانت تتزايد وأمست هاجساً قوياً مقلقاً. إن شعوره بالإشباع لم يحرره، ولم يهدئه. كان الإشباع أشبه بمهيج. من ابنتيه كان يذهب إلى زوجته ويمتلكها.

كان يخشى أن تهجره ابنتاه، تفران هرباً، لذا تجسس عليهما وعملياً سجنهما.

زوجته اكتشفتْ هذا وغضبت غضباً عنيفاً. إلا أن البارون أصبح الآن أشبه برجل مجنون. لم يعد يبالي بهندامه، بأناقته، بمغامراته، بقدره. مكث في البيت وفكر فقط في اللحظة التي يمتلك فيها ابنتيه معاً. علمهما كل الملاطفات التي يمكن أن يتخيلها المرء. تعلمتا أن تقبل إحداهما الأخرى في حضوره إلى أن يشعر بإثارة كافية كي يمتلكهما. إلا أن هاجسه، إسرافاته، بدأت ترهق كاهليهما. زوجته هجرته. ذات ليلة حين غادر ابنتيه، تجول في أنحاء شقته، وهو مايزال فريسةً للرغبة، للانفعالات الايروسية والفانتازيات. كان أنهك الفتاتين. استسلمتا للرقاد. وهي ذي الآن رغبته الجامحة تعذبه من جديد. أصابه العمى من جرائها. فتح الباب المؤدي إلى غرفة ابنه كان هذا ينام نوماً هادئاً،

مضطجعاً على ظهره، وفمه مفتوح قليلاً. راقبه البارون، مفتوناً. قضيبه الصلب استمر في تعذيبه. جلب (ستولاً) ووضعه قرب السرير. ركع عليه ووضع قضيبه على فم ابنه. استيقظ الابن مختنقاً وصُعق به. الفتاتان أيضاً فاقتا من النوم.

ثورتهما على حماقة والدهما تعاظمتْ، وهجرتا البارون الذي صار الآن هرماً، مسعوراً.

ماتيلدا

كانت ماتيلدا صانعة قبعات في باريس ولم تكدْ تتجاوز العشرين عندما أغواها البارون. مع أن القصة الغرامية لم تدمْ أكثر من أسبوعين، بشكل من الأشكال في تلك الحقبة ا لزمنية القصيرة أصبحتْ هي، بفعل العدوى، مشربةً بفلسفته في الحياة وطريقته ذات الطبقات الخمس في حل المشاكل. خُدعتْ بشيءٍ ما ذكره البارون من دون قصد ذات ليلة: كون النساء الباريسيات مبجلات تبجيلاً عالياً في أمريكا الجنوبية بسبب خبرتهن في قضايا الغرام، وحيويتهن وذكائهن، وهن يختلفن اختلافاً كبيراً عن كثير من زوجات أمريكا الجنوبية، اللاتي ما زلن يعزن تقليد محو الذات والطاعة، هذا التقليد ضعف شخصياتهن وكان يُعزى، في الأرجح، إلى نفور الرجال من جعل زوجاتهم خليلات لهم. على غرار البارون، طوّرت ماتيلدا صيغةً تتعامل بها مع الحياة كونها سلسلةً من الأدوار - أي، تقول لنفسها في الصباح بينما هي تمشط شعرها الأشقر: "اليوم أريد أن أصبح هذه الشخصية أو تلك"، ومن ثم تبدأ رحلتها في تقمص تلك الشخصية.

ذات يوم صممتْ على رغبتها في أن تكون مندوبةً أنيقة لخياطة نسائية باريسية شهيرة وأن تغادر إلى بيرو. كل ماتعين عليها أن تفعله

هو أن تمثل الدور. لذا لبستْ هندامها بعناية فائقة. أظهرتْ نفسها بثقة غير اعتيادية عند منزل الخياطة النسائية، وتعهدتْ بأن تكون مندوبتها ومُنحت بطاقة سفينة مبحرة إلى ليما.

على ظهر السفينة، تصرفتْ وكأنها مبشرة بالأناقة فرنسية الجنسية. موهبتها الفطرية في تمييز الخمور الجيدة، العطور الجيدة، الخياطة النسائية الجيدة، هذه الموهبة أفردتها كسيدة رقة وتهذيب. كان ذوقها ذوق خبير في اختيار المآكل والخمور.

كانت لها مفاتن مثيرة عززتْ هذا الدور. كانت تضحك بصورة دائمة، مهما حدث لها. عندما تضيع حقيبة سفر، كانت تضحك. عندما يُداس على إصبع قدمها، كانت تضحك.

ضحكتها هي التي جذبت ممثل الأسطول الإسباني الجنسية، دالفيدو، الذي دعاها للجلوس إلى مائدة القبطان. دالفيدو بدا لطيفاً ببذلته المسائية، تصرف كما لو كان قبطاناً، وكانت له نوادر كثيرة يود أن يشاركه فيها أحد. في الليلة التالية أخذها إلى الرقص. كان يعي جيداً أن الرحلة ليست طويلةً بصورة كافية للمغازلة المألوفة. لذا شرع في الحال يغازل الخال الصغير على ذقن ماتيلدا. عند منتصف الليل سألها ما إذا كانت تحب تين الصبار. هي لم تذق طعمه من قبل. قال إنه يمتلك بعضاً منه في كابينته.

إلا أن ماتيلدا أرادتْ أن ترفع قيمتها من خلال الممانعة، وكانتْ متيقظة لكل مباغتة تفاجأ بها عندما ولجتْ الكابينة. كانتْ صدتْ بسهولة الأيدي الوقحة للرجال التي تمسها مساً خفيفاً في أثناء البيع، التربيتات المختلسة للمؤخرة من قبل أزواج زبوناتها، قرص حلمتيها من

قبل أصدقائها الذين يدعونها لمشاهدة الأفلام السينمائية. أي من هذه الأمور لم يثرها. كانت لها فكرة مبهمة إنما عنيدة مما يمكن أن يثيرها كانت تريد أن تتم مغازلتها بلغة غامضة. قررتْ هذا منذ مغامرتها الأولى، حين كانت فتاةً ذات ستة عشر ربيعاً.

ثمة كاتب، كان ذائع الصيت في باريسٍ، دخل مخزنها ذات يوم. لم يكنْ ينشد شراء قبعة. سألها ما إذا كانت تبيع أزاهير مضيئة سمع عنها من الآخرين، أزاهير تلمع في العتمة. قال، إنه يريدها، لامرأةٍ تلمع في العتمة. كان بوسعه أن يقسم أنه حين يصحبها إلى المسرح وتستريح هي في المقصورات المظلمة بفستانها المسائي، كان جلدها مضيئاً كأجمل قواقع البحر، يضيء بوهج وردي باهت. وكان يريد هذه الأزاهير لها كي تلبسها في شعرها.

ماتيلدا لم يكنْ بحوزتها ذلك النوع من الأزهار. لكن حالما غادر الرجل مضت لتنظر إلى صورتها في المرآة. هذا هو نوع الشعور الذي أرادتْ أن تلهمه. هل تقدر؟ وهجها لم يكنْ من ذلك النوع. كانتْ شبيهة بالنار أكثر مما هي شبيهة بالضياء. كانت عيناها متوهجتين، بنفسجيتي اللون. كان شعرها مصبوغاً باللون الأشقر إلا أنه أراق ظلاً نحاسياً من حولها. كان جلدها بلون النحاس، أيضاً، متيناً وليس شفافاً على الإطلاق. بدنها ملأ فساتينها بصورة محكمة، بغنى. لم تكنْ تلبس مشداً، إلى أن جسدها كان له هيئة النساء اللاتي يلبسنه. كانتْ تقوسه كي تجعل الثديين يبرزان للأمام وأليتيها ترتفعان للأعلى.

عاد الرجل. لكنه هذه المرة لم يطلبْ شيئاً ليشتريه. وقف يتطلع إليها، وجهه الطويل المنحوت بصورة فاتنة يبتسم، إيماءاته الأنيقة تؤدي

طقساً ما بينما هو يشعل سيجارة، وقال :"هذه المرة رجعتُ لأراكِ فقط.".

فؤاد ماتيلدا دق بسرعة كبيرة جداً بحيث شعرت أن هذه هي اللحظة التي توقعتها من سنوات عديدة خلتْ. كانت تقريباً قد وقفتْ على أطراف أصابعها كي تسمع بقية كلماته. شعرتْ كما لو أنها المرأة المضيئة المستريحة في المقصورة المظلمة تستقبل الأزاهير غير المألوفة. غير أن ما قاله الكاتب ذو الشعر الأشيب الصقيل بصوته الأرستقراطي هو :"حالما رأيتك، تصلب عضو ذكورتي".

كانتْ فجاجة الكلمات أشبه بإهانة. تخضبتْ بالاحمرار وصُعقت به. هذا المشهد تكرر في مناسبات عدة. وجدت ماتيلدا أنه حين كانت تظهر، كان الرجال يصمتون عادةً، محرومين من كل الميل للمغازلة الرومانسية. كلمات كهذه كانت تصدر منهم في كل مرة لمجرد رؤيتها. كان تأثيرها مباشراً جداً بحيث أن كل ما استطاعوا أن يعبروا عنه هو اضطرابهم الجسدي. بدلاً من أن تتقبل هذا بصفته تقديراً، امتعضت منه. هي الآن في كابينة الاسباني اللطيف، دالفيدو. كان دالفيدو يقشر لها تينات الصبار، ويتكلم. كانت ماتيلدا تستعيد ثقتها بنفسها. جالسةً على ذراع كرسي بفستانها المسائي المخملي الأحمر.

إلا أن تقشير التين توقف. هب دالفيدو واقفاً وقال: "لك خال صغير مغرٍ جداً على ذقنك." ظنتْ أنه سيحاول تقبيلها. لكنه لم يفعلْ. فك أزرار سرواله بسرعة، أخرج عضو ذكورته و بإيماءة رجل أباشي (٨) لبغي، قال، "اركعي".

وصعقتْ ماتيلدا ثانيةً، بعدها هرعتْ إلى الباب.

"لاتذهبي"، توسل إليها، "دفعتني إلى الجنون. انظري إلى حالة التي وضعتني فيها.. كنتُ أشبه بهذه الحال طوال المساء حين رقصتُ معك. لا تستطيعين أن تتركينني الآن." حاول أن يحضنها. بينما كانتْ تكافح للتملص منه، أتى على كل فستانها. توجّب عليها أن تغطي نفسها بكابها [٩] المسائي كي تعود إلى كابينتها.

حالما وصلتْ ماتيلدا إلى ليما، على أي حال، حققتْ حلمها. الرجال كانوا يقتربون منها بكلماتٍ متأنقة بلاغياً، مخفين نواياهم بسحر عظيم وزخارف لفظية. هذا الإستهلال للفعل الجنسي أرضاها. كانت تحب القليل من التملق. في ليما تلقتْ الكثير منه، كان ذلك جزءاً من الطقس. رُفعت على قاعدةٍ من الشعر لذا فإن وقوعها في العناق الأخير بدا في الأرجح شيئاً أقرب إلى أعجوبة. باعتْ من لياليها أكثر مما باعته من القبعات.

ليما في تلك الآونة كانتْ متأثرة بقوة بسكانها الصينيين الكثيرين. كان تدخين الأفيون سائداً. شبان أثرياء تنقلوا زمراً من مبغى إلى مبغى، أو كانوا يقضون لياليهم في أوكار الأفيون، حيث تتوفر المومسات، أو كانوا يستأجرون حجرات عارية تماماً في أحياء البغايا، حيث يكون في مستطاعهم تناول العقاقير بهيئة جماعات، وكانتْ بائعات الهوى يزرنهم هناك.

كان الشبان يحبون زيارة ماتيلدا. حولتْ هي مخزنها إلى مخدع، مليء بالكراسي الطويلة، بالدانتيلا، والساتان، الستائر، والوسائد. مارتينيز، وهو اريستقراطي بيروفي (من بيرو)، لقنها كيفية تدخين الأفيون. كان يأتي بأصدقائه إلى هناك كي يدخنوا. في بعض الأحيان

كانوا يمضون يومين أو ثلاثاً ناسين العالم، وأسرهم. كانت الستائر تبقى مسدلة. كان الجو معتماً، باعثاً على النوم. يتقاسمون ماتيلدا بينهم. الأفيون جعلهم شهوانيين أكثر من كونهم حسيين.كان بوسعهم أن يقضوا ساعات ملاطفين ساقيها. أحدهم كان يأخذ أحد ثدييها، الآخر يغوص بقبلاته في اللحم اللدن لعنقها، ضاغطاً عليها بشفتيه فقط، لأن الأفيون صعد الأحاسيس كلها. أي قبلة كان بوسعها أن تجعل الارتعاشات تسري في ثنايا جسدها.

ماتيلدا ترقد عارية على البلاط. الحركات كلها كانت بطيئة. الشبان الثلاثة أو الأربعة يرقدون وسط الوسائد. بكسلٍ يفتش اصبع عن عضو أنوثتها، يدخل فيه، يبقى هناك بين حافتي المهبل، من دون حراك. يد أخرى تفتش عنه، أيضاً، مقنعةً نفسها بدوائر حول عضو الأنوثة، باحثةً عن ثقب آخر.

يقدم رجل عضو ذكورته إلى فمها. تمصه ببطء شديد، العقار عظّم كل لمسة من اللمسات.

بعدها ربما يرقدون من دون حركة،على مدى ساعات، حالمين. صورة مثيرة للشهوة الجنسية تتشكل من جديد. مارتينيز رأى جسد امرأة، منتفخاً، عديم الرأس، امرأة بثديي امرأة بالينية [١٠]، بطن امرأة أفريقية، مؤخرة عالية لامرأة زنجية؛ كل هذا دمج نفسه في صورة جسد متحرك، جسد بدا مصنوعاً من المطاط. الثديان المشدودان ينتفخان نحو فمه، ويده تمتد إليهما، إنما بعدئذ أجزاء أخرى من الجسد تمتد هي الأخرى، تصبح بارزةً، تتدلى فوق جسده. الساقان تتباعدان بطريقة غير آدمية، مستحيلة، كما لو كانتا مقطوعتين عن المرأة، كي تتركا عضو

الأنوثة مكشوفاً، مفتوحاً، كما لو أن أحداً أخذ زهرة توليب في يده وفتحها تماماً بالقوة. عضو الأنوثة هذا كان متحركاً أيضاً، يتحرك كالمطاط، كما لو أن أيادي خفية مطته، أيادي فضولية أرادت أن تقطع أوصال الجسد كي تتغلغل إلى داخله. بعدئذ تستدير المؤخرة كلياً صوبه وتبدأ بفقدان شكلها، كما لو أنها مفصولة الأجزاء. كل حركة من الحركات أرادت أن تفتح الجسد كلياً إلى أن يتمزق. استبد الغضب بـ مارتينيز لأن أيادي أخرى كانت تمسك هذا الجسد. كان يجلس نصف جلوس ويفتش عن ثدي ماتيلدا، و إذا عثر على يدٍ فوقه، أو فمٍ يمصه، يفتش عن بطنها، كما لو أنها ماتزال الصورة التي لازمتْ حلمه الأفيوني، ومن ثم ينزل إلى أسفل جسدها كي يكون بمستطاعه أن يقبلها بين ساقيها المنفرجتين. كان سرور ماتيلدا في مداعبة الرجال عميقاً جداً، وأيديهم كانت تمر فوق جسدها وتلاطفها بصورة تامة جداً، بصورة مستمرة جداً، بحيث أنها نادراً ما نالتْ هزة الجماع. كانت تعي فقط هذه الحقيقة بعد رحيل الرجال. كانت تستيقظ من أحلامها الأفيونية وجسدها مايزال قلقاً، متململاً.

كانت تضطجع وهي تهذب أظفارها وتغطيها بالطلاء، تبرج نفسها تبرجاً دقيقاً من أجل المناسبات المستقبلية، تمشط شعرها الأشقر. جالسةً في الشمس، مستخدمةً حشوات قطن صغيرة من البيروكسيد، كانت تصبغ شعر عانتها كي يناسب بشرتها.

حين تختلي مع نفسها، تهجم عليها ذكريات الأيدي التي تسوح فوق جسدها. هي الآن تشعر أن يداً تحت ذراعها، تنزلق نازلةً إلى خصرها. تذكرتْ مارتينيز، طريقته في فتح عضو أنوثتها كما لو كان

برعماً، نقرات لسانه السريع تغطي المسافة بين شعر العانة إلى الإليتين، منتهية في النقرة الصغيرة في أسفل عمودها الفقري. كم كان مغرماً بهذه النقرة الصغيرة، التي أرشدتْ أصابعه ولسانه كي تتبع القوس المتجه إلى الأسفل لتختفي بين جبلي اللحم الممتلئين.

بينما هي تفكر في مارتينيز، كانت ماتيلدا تشعر أنها مشبوبة العاطفة وأنها غير قادرة على انتظار عودته. كانت تخفض بصرها ناظرةً إلى ساقيها. بسبب السكنى في داخل البنايات درحاً طويلاً من الزمن أصبحتا بيضاوين، مغريتين جداً، كالبشرة البيضاء كالطباشير للنساء الصينيات، الشحوب المرضي للمستنبت الزجاجي الذي كان الرجال، وبخاصة البيروفيين ذوي البشرة الداكنة، يحبونه. تطلعتْ إلى بطنها، كانت من دون عيب، من دون خط واحد ما كان يجب أن يكون هناك. شعر العانة لمع الآن أحمر ـ ذهبياً في الشمس.

"كيف أبدو له؟" ساءلتْ نفسها. نهضتْ وجلبت مرآةً طويلةً نحو النافذة. أوقفتها فوق البلاط على كرسي. ثم جلستْ أمامها على البساط، مواجهةً إياها، فتحتْ ساقيها ببطء. كان المشهد فاتناً. كانت البشرة خالية من العيوب، الفرج وردي وممتلئ. فكرت أنه أشبه بورقة نبتة الصمغ بحليبها السري الذي يستطيع ضغط الإصبع أن يجعله يدر، الرطوبة العطرة التي نشأت أشبه برطوبة قواقع البحر. هكذا ولدت فينوس من البحر وبها هذا اللباب الصغير من العسل المالح، المداعبات وحدها التي بوسعها أن تجعله يدر من الأعماق المخفية لجسدها.

ساءلت ماتيلدا نفسها ما إذا كان بمستطاعها أن تخرجه من لبه المبهم. بأصابعها فتحتْ الحافتين الصغيرتين للفرج، وشرعتْ تلاطفه

بنعومة أشبه بنعومة القط. لاطفته جيئةً وذهاباً كما فعل مارتينيز بأصابعه الداكنة الأكثر عصبية. تذكرتْ أصابعه الداكنة على جلدها، ذلك الاختلاف الصارخ مع لون بشرتها، وغلظتها بدتْ وكأنها تعد بإيذاء الجلد بدلاً من أن تثير المتعة من خلال لمستها. يا للرقة التي كان يمسه بها، فكرتْ. يا للطريقة التي يمسك بها الفرج بين أصابعه، كما لو أنه يلمس مخملاً. هي تمسكه الآن كما فعل هو، بسبابتها وإبهامها. بيدها الحرة الأخرى تابعتْ الملاطفات. أحستْ بالإحساس المثير الذي أحستْ به تحت أصابع مارتينيز. من مكانٍ ما طلع سائل مالح، مغطياً أجنحة عضو أنوثتها؛ بين هذه الأجنحة لمع السائل.

بعدئذ ودتْ ماتيلدا أن تعرف كيف كانت تبدو عندما أخبرها مارتينيز أن تنقلب على جنبها. إضطجعتْ على جنبها الأيسر وكشفتْ مؤخرتها للمرآة. أمسى بوسعها الآن أن ترى عضو أنثتها من الجانب الآخر. تحركتْ كما تحركتْ لـ مارتينيز. شاهدتْ يدها هي تظهر فوق التلة الصغيرة المتكونة بوساطة المؤخرة، التي بدأتْ تلاطفها. يدها الأخرى استقرت بين ساقيها وظهرتْ في المرآة من الخلف. هذه اليد لاطفتْ عضو أنوثتها جيئة وذهاباً. ثم أدخلتْ سبابةً وبدأت تحتك بها. الآن استولتْ عليها الرغبة كي تمتلك من كلتا الجهتين، وأدخلتْ سبابتها الأخرى في ثقب المؤخرة. الآن حين تحركتْ للأمام شعرتْ بإصبعها في المقدمة، وحين ترنحتْ إلى الوراء شعرتْ بالإصبع الآخر كما شعرتْ في بعض الأحيان حين لاطفها مارتينيز وأحد الأصدقاء معاً.

اقتراب هزة الجماع أثارها، ودخلتْ في إيماءات تشنجية، كما لو أنها تروم سحب الثمرة الأخيرة في غصن ما، تسحب، تسحب تسحب

الغصن كي تنزل كل شيء إلى هزة جماع جامحة بينما كانتْ تراقب نفسها في المرآة، مشاهدةً اليدين تتحركان، العسل يلتمع، عضو الأنوثة كله والمؤخرة يلمعان نديين بين ساقيها.

بعد أن رأتْ حركاتها في المرآة فهمتْ القصة التي رواها لها أحد البحارة ـ كيف أن البحارة على سطح سفينته صنعوا امرأةً من مطاط لأنفسهم كي يزجوا الوقت ويشبعوا الرغبات التي يحسون بها خلال الشهور الستة أو السبعة التي يقضونها في البحر. المرأة التي صنعوها كانت جميلة ووهبتهم صورةً خادعة كاملة. البحارة أغرموا بها. أخذوها معهم إلى الفراش. كانتْ صنعتْ بحيث أن كل ثقب يمكن أن يرضيهم. كانت لها الخاصية بحيث أن هندياً عجوزاً عزاها ذات مرة إلى زوجته الشابة: بعد زواجهما فوراً، أمستْ زوجته عشيقة كل الشبان في المزرعة. ربان السفينة استدعى الهندي العجوز كي يخبره بالسلوك المخزي لزوجته الشابة ونصحه أن يراقبها بصورةٍ أفضل. هز الهندي رأسه بريبة وأجاب قائلاً: "حسن، لا أفهم لماذا يلزمني أن أقلق رأسي كثيراً جداً. زوجتي غير مصنوعة من الصابون، هي لن تُبلى.".

هكذا كان الحال مع المرأة المصنوعة من المطاط. البحارة وجدوها لا تتعب، ومطواعاً ـ هي حقاً رفيقة عجيبة. لم تكنْ هناك غيرات، ولا نزاعات بينهم، وما من استئثار أو حيازة. كانت امرأة المطاط محبوبة جداً. لكن بالرغم من براءتها، وطبيعتها الطيبة المرنة، كرمها، صمتها، بالرغم من إخلاصها لبحارتها، منحتهم كلهم السفلس.

قهقهتْ ماتيلدا حين تذكرتْ البحار البيروفي الشاب الذي حكى لها هذه القصة، كيفية وصفه لإستلقائه فوقها (أي فوق المرأة المطاطية)،

كما لو كانتْ فراشاً مملوءً بالهواء، وكيف جعلته يرتد عنها غالباً بفعل المرونة التامة. ماتيلدا شعرتْ أنها بالضبط أشبه بهذه المرأة المطاطية حين تعاطتْ الأفيون. كم كان لذيذاً الشعور بالتهتك المطلق! كان شغلها الشاغل هو عد النقود التي يتركها لها أصدقاؤها.

أحدهم، أنطونيو، بدا غير راضٍ عن ترف حجرتها. كان يتوسل إليها دوماً أن تزوره. كان ملاكماً محترفاً وبدا شبيهاً بالرجل الذي يعرف كيف يجعل النساء يعملن من أجل رزقه. كان يملك في الوقت نفسه الأناقة الضرورية التي تجعل النساء فخورات به، سيماء مصقولة لرجل مترف وسلوك مهذب، هكذا يشعر المرء، بوسعه أن ينقلب إلى العنف في لحظة الضرورة. وفي عينيه كانت له نظرة القط الذي يثير رغبةً في الملاطفة إلا أنه لايحب أحداً، وهو لايشعر أبداً أنه يجب عليه الإستجابة للحوافز التي يوقظها.

كانت له خليلة تضاهيه جيداً، كانت موازية له في القوة والنشاط، قادرة على اللكمات بصورة قوية؛ امرأة حملت أنوثتها بفخر ولم تكن تطلب الشفقة من الرجال؛ امرأة حقيقية كانت تعرف أن مباراةً قويةً في الملاكمة هي محفز عجيب للدم (الشفقة وحدها التي تجفف الدم) وأن أفضل التسويات يمكن أن تأتي فقط بعد النزاع. كانت تعرف أن انطونيو عندما لايكون معها فهو عند المرأة الفرنسية يتعاطى الأفيون، لكنها لم تكن تعير ذلك إهتماماً كبيراً مثل عدم معرفتها مطلقاً بمكان وجوده. اليوم كان انتهى تواً من تمشيط شاربه برضا وكان يهيء نفسه لمأدبة أفيون.كي يسترضي خليلته أخذ يقرص أليتيها ويربت عليهما. كانت امرأة ذات مظهر غير مألوف يجري في عروقها شيء من الدم الأفريقي.

كـان ثدياها أعلى من أي ثديين رآهمـا من قـبل، مـوازيين تقـريبـاً لخط الكتف، وكانا مدورين وكبيرين تماماً. كان هذان الثديان هما اللذان جذباه أول مرة. كونهـما مـوضوعين بصورة مـثيرة جداً، قـريبين جداً من الفم، متـجهين للأعلى، بطريقةٍ ما أوقظا فيـه إستـجابة مباشرة. بدا كما لو أن عضو ذكورته له صلة خاصة مع هذين الثديين، وحالما أظهر نفسيهما في المبغى حيث وجدها، انتصب عضـو ذكورته كي يتـحداهمـا على شروط متساوية.

كل مرة يدخل فيـها الماخور، تنتـابه الحالة ذاتها. وفي الختام أخذ المرأة من الماخور وسكن معـها. في البداية كان بوسعـه فقط أن يضاجع ثدييـها. كان مسكوناً بهما، استـحوذا عليـه كـالهاجس المقلق. عندما يدخل عـضوه في فـمها يبدوان وكـأنهمـا يشيـران بجوع إليـه، وكان يريحه بين ثدييـها ممسكاً بهما بيده وضـاغطاً إياها على عضـوه. كانت الحلمتـان كبيرتين وكانتا تتصلبان كنواة ثمرة من فمه.

مستثارةً بمداعـباته، كان يتـرك نصف جسدها السـفلي مهمـلاً تماماً. سـاقـاها تهـتزان، تتـوسلان العنف، عـضـو الأنوثة ينفـتح، لكنه لم يعره إهتماماً. كان يملأ فمه بثدييها ويريح قضيبه هناك؛ كان يحب أن يرشهما بحـيامنه. بقـيـة جسـدها تتـمعج في الفراغ، سـاقـاها وعـضو أنوثـتـهـا يتـجعـدان كـورقة شجـرة في كل مداعـبة، السـاقـان تضربان الهـواء، وفي النهاية تضع يديها هناك وتستمني.

هذا الصباح بينما كان يهم بالمغادرة، كرر مداعباته. عض ثدييـها. قـدمتْ عـضـوها الأنوثي له لكنه لم يشـأ أن يأخذه. جعلهـا تركع أمامـه وتدخل عـضو ذكورته في فـمهـا. دعـكتْ ثدييـهـا بـه. غـالبـاً يجعلهـا هذا

تصل الذورة. ثم خرج وسار بروية إلى موقع ماتيلدا. ألفى الباب مفتوحاً جزئياً. ولج بخطواته الشبيهة بخطوات قط، التي لم تترك صوتاً على السجادة. وجد ماتيلدا مستلقية على البلاط أمام المرآة. كانت تستند على يديها وركبتيها تنظر بين ساقيها إلى المرآة.

قال: "لا تتحركي، ماتيلدا. أحب هذا الوضع."

أقعى فوقها كقط ضخم، ودخل قضيبه فيها. وهب ماتيلدا مالم يمنحه لعشيقته. ثقله جعلها أخيراً تغوص وتتمدد باسطةً ذراعيها وقدميها على البساط. رفع أليتيها بيديه وهوى فوقها المرة تلو المرة. بدا عضو ذكورته مصنوعاً من الحديد الحار. كان طويلاً وضيقاً، وحركه في الاتجاهات كلها، ووثب بداخلها بسرعة حركة لم تعرفها من قبل على الإطلاق. عجل إيماءاته أكثر فأكثر وقال بصوت أجش: "أبلغي الذورة الآن، أبلغي الذورة الآن، ابلغي، قلتُ لك. أعطني إياه كله، الآن. أعطني إياه. كما لم تفعلي من قبل. ادفعي نفسك الآن. "بهذه الكلمات شرعتْ تدفع نفسها باتجاهه، بإهتياج، وجاءتْ هزة الجماع أشبه ببرق يضربهما كليهما معاً.

الآخرون وجدوهما ما يزالان ملتحمين فوق البساط. ضحكوا على رؤية المرآة التي شهدتْ العناق. راحوا يهيئون غلايين الأفيون خاصتهم. كان التعب قد سيطر على ماتيلدا. مارتينيز بدا حلمه المتعلق بتلك المرأة المنتفخة، ذات الفرج المفتوح. انطونيو استعاد انتصابه وطلب من ماتيلدا أن تجلس فوقه، وفعلتْ هي.

عندما انتهت وليمة الأفيون هذه وغادر الجميع ما خلا أنطونيو، كرر الأخير طلبه أن ترافقه إلى وكره الخاص. كان رحم ماتيلدا مايزال

ملتهباً من جراء اختراقاتها القاسية وحركاته العنيفة، واستسلمتْ، لأنها ودت أن تكون معه كي يكرر هذا العناق.

سارا بصمت عبر الشوارع الصغيرة للمدينة الصينية. نساء من كل أنحاء العالم ابتسمن لهما من النوافذ المشرعة، وقفن على عتبات الدور يوجهن الدعوات لهما بالدخول. بعض الحجرات كانت مكشوفة للشوارع. ستارة فقط كانت تخفي الأسرّة. بوسع المرء أن يرى أزواجاً من الرجال والنساء ملتحمين في عناق حار. كانت هناك نساء سوريات يرتدين زيهن الوطني، نساء عربيات بجواهر تغطي أجسادهن نصف العارية، نساء يابانيات وصينيات يومئن بمكر، نساء أفريقيات ضخمات الأبدان يقرفصن بهيئة حلقات، يتحدثن من دون كلفة مع إحداهن الأخرى. أحد المواخير كان يغص بالمومسات الفرنسيات اللواتي يرتدين قمصاناً تحتانية فضفاضة قصيرة وردية اللون، كن يحكن ويخيطن كما لو كن في بيوتهن. كن عادةً يحيين المارة بوعود من الأشياء المميزة.

كانت دور البغاء صغيرة، ضعيفة الإضاءة، مغبرة، ضبابية من جراء الدخان، طافحة بأصوات معتمة، غمغمات السكارى، وتمتمات الجماع. الصينيات زخرفن المحيط وجعلنه مشوشاً أكثر البارافانات والستائر، بالمشاكي (جمع مشكاة)، بالبخور المشتعل، بتماثيل بوذا الذهبية. كانت متاهة من الجواهر، أزاهير الورق، ستائر الحرير، والسجاجيد، مع نساء متباينات تباين التصاميم والألوان، يدعون الرجال المارين مروراً عابراً كي يناموا معهن.

في هذا الحي كانت حجرة انطونيو. صعد هو وماتيلدا السلم الرديء، فتح باباً كان الباب مهترئاً تقريباً، ودفعها إلى الداخل. لم تكنْ

هناك أي قطعة من الأثاث. على البلاط كان ثمة حصير صيني، وعليه يستلقي رجل بأسمال رثة، رجل نحيل جداً، يبدو عليلاً جداً، بحيث أن ماتيلدا انسحبتْ للوراء.

"أوه، أنتَ هنا"، قال أنطونيو بنزق.

"ليس لي مكان آخر أذهب إليه".

"لايمكنك أن تبقى هنا كما تعلم. الشرطة تفتش عنك."

"أجل، أعرف ذلك".

"أعتقد أنك الرجل الذي سرق الكوكايين قبل أيام؟ عرفتُ أنكَ لابد أن تكون ذلك الرجل".

"نعم"، تحدث الرجل بنعاس، ولا مبالاة.

بعدها شاهدتْ ماتيلدا أن جسمه مكسو بالخدوش الصغيرة والجروح الصغيرة. بذل الرجل مجهوداً كي يجلس. كان يحمل (امبولاً)[١١] بيد، وقلم حبر وسكين جيب في اليد الأخرى.

راقبته بفزع.

كسر قمة (الأمبول) بإصبعه، تخلص من الشظايا المكسورة. ثم، بدلاًمن أن يدخل إبرة للزرق تحت الجلد، أدخل قلم الحبر وسحب السائل إلى الخارج. بمطواته عمل شقاً طولياً في ذراعه التي كانت مغطاة قبل الآن بجروح قديمة وجروح أكثر حداثة، وفي هذا الشق الطولي أدخل قلم الحبر ودفع الكوكايين في لحمه.

"هو أفقر من أن يحصل على ابرة زرق"، قال أنطونيو. "وأنا لا أعطيه مالاً لأنني أظن أنني أحميه من سرقتها. غير أن هذا ما وجدوه يفعله." ماتيلدا أرادتْ أن تغادر المكان. إلا أن أنطونيو لم يدعها تفعل.

كـان يريدها أن تأخـذ الـكوكـايين مـعـه. كـان الرجل يسـتلقي وعـيناه مغمضتان. أنطونيو أخرج ابرة وزرق ماتيلدا.

رقدا على البلاط واستولى عليها خدر لايقوام. قال لها أنطونيو: "تشعرين أنك ميتة، أليس كذلك؟" كانت تشعر كما لو أنها أُعطيت مخدراً. بدا صوته كما لو أنه آتٍ من أصقاع قصية. أومأتْ له أنها تشعر كما لو أنها فاقدة الوعي. قال: "هذه الحالة سوف تمر."

هناك بدأ حلم كابوسي. في مكانٍ ناءٍ جداً كان هناك هيئة الرجل المنهك، مضطجعاً على الحصير، من ثم هيئة أنطونيو، كبيرة جداً وسوداء. تناول أنطونيو المطواة وانحنى فوق ماتيلدا. شعرتْ بعضو ذكورته في داخلها، وكان رقيقاً ومُرضياً، تحركت بإيماءة بطيئة، مسترخية، متذبذبة. القضيب أُخرج. شعرتْ به يتمايل فوق الرطوبة الحريرية بين ساقيها، لكنها لم تُشبعْ وكانت تقوم بإيماءة كما لو أنها تريد استرداده. في وقت لاحق من الكابوس حمل أنطونيو سكين الجيب مفتوحةً وانحنى فوق ساقيها المنفرجتين، ومسها بطرف السكين، دفعها قليلاً إلى الداخل. لم تشعرْ ماتيلدا بأي ألم، لم تكنْ لها طاقة على الحركة، كانت نُومت بوساطة هذه المطواة المفتوحة. ثم أصبحتْ واعيةً بصورة وحشية بما كان يجري - لم يكنْ ذلك كابوساً. كان أنطونيو يراقب حافة المطواة تمس مدخل فرجها. زعقتْ. فُتح الباب. كان هناك الشرطة، جاؤوا ليأخذوا سارق الكوكايين.

أنقذت ماتيلدا من الرجل الذي كان في أحيان كثيرة جداً يشرط بالسكين الفتحات الجنسية للمومسات، والذي بسبب ذلك لم يمسْ عشيقته هناك. كان آمناً فقط عندما سكن معها، عندما كانت إثارة

ثدييها تجعل اهتمامه منصرفاً عن فرجها ، عن الإنجذاب المرضي إلى ما أسماه "جرح المرأة الصغير ، الذي كان يجرب بعنف شديد أن يوسّعه.

المدرسة الداخلية

هذه قصة الحياة في البرازيل قبل بضع سنوات خلت، بعيداً عن المدينة، حيث الأعراف الكاثوليكية الصارمة مازالت سائدة. الأولاد من أصل جيد كانوا يرسلون إلى مدارس داخلية يديرها اليسوعيون، الذين واصلوا العادات القاسية للقرون الوسطى. كان الأولاد ينامون على أسرّة من الخشب، ينهضون فجراً، يحضرون القداس من دون فطور، يعترفون يومياً وكانت تتم مراقبتهم والتجسس عليهم بصورة مستمرة. كان الجو متزمتاً وكابتاً. كان القساوسة يتناولون وجبات طعامهم منعزلين ويحيطون أنفسهم بهالة من القداسة. كانوا مؤسلبين في إيماءاتهم وكلامهم.

من بينهم يسوعي ببشرة داكنة جداً له بعض القرابة الهندية، وجه رجل شهواني، اذنان كبيرتان ملصقتان برأسه، عينان ثاقبتان، فم مرتخي الشفاه، كان ينضح طوال الوقت، شعر سميك ورائحة حيوان. تحت ردائه البني الطويل كان الأولاد عادة يشاهدون انتفاخاً لم يستطع الأولاد الأصغر سناً أن يجدوا له تفسيراً والذي كان يضحك عليه سراً الأولاد الأكبر سناً. هذا الإنتفاخ يظهر بصورةٍ غير متوقعة في أي ساعة - بينما يقرأ طلاب الصف دون كيخوته أو رابليه أو غالباً بينما هو يراقب الطلاب حصراً، وغلاماً واحداً بالأخص، الغلام الوحيد ذو الشعر الأشقر

في المدرسة كلها، ذو عيني وبشرة فتاة. كان يروق له أن يختلي بهذا الغلام وحده ويريه كتباً من مقتنياته الشخصية. كانت هذه تضم نتاجات من آنية (الأنكا) (١٢) الفخارية، كانت عليها دوماً رسومات لرجال يقفون قبالة أحدهم الآخر.

كان الصبي يطرح أسئلةً توجب على القس العجوز أن يجيب عنها بتملص في مراتٍ أخرى كانت الصور المطبوعة واضحة تماماً: عضو طويل خرج من وسط رجل واخترق الآخر من الخلف.

في الاعتراف كان هذا القس يمطر الصبيان بالأسئلة. كلما ظهروا بريئين أكثر، كان يوجه إليهم أسئلةً أكثر حميميةً في عتمة صندوق الاعتراف الصغير. الصبيان الراكعون كانوا غير قادرين على رؤية القس الجالس في الداخل. صوته الخفيض كان يأتي من خلال شباك صغير مزود بقضبان متصالبة، سائلاً: "هل حدث أن كانت لكَ فانتازيات حسية؟ هل فكرتَ في النساء؟ هل حاولتَ أن تتخيل امرأةً عاريةً؟ كيف تتصرف ليلاً في الفراش؟ هل حدث أن لمستَ نفسكَ؟ هل حدث أن لاطفتَ نفسك؟ ماذا تفعل صباحاً عند النهوض من الفراش؟ هل يكون عندك انتصاب؟ هل حدث وأن حاولتَ النظر إلى الأولاد الآخرين بينما هم يلبسون ثيابهم؟ وهم في الحمام؟".

الغلام الذي لايعرف شيئاً البتة يفهم حالاً ما هو متوقع منه واعتاد على هذه الأسئلة. الغلام الذي كان يعرف يجد سروراً في الاعتراف بالتفصيل بعواطفه وأحلامه. أحد الصبيان كان يعلم كل ليلة. لم يكن يعرف كيف تبدو المرأة، وما هي مواصفاتها الجسدية. غير أنه شاهد الهنود يجامعون الفكونة (١٣)، التي كانت تشبه غزالاً رقيقاً. وكان يحلم

أنه يجامع الفكونات وكان يفيق مبللاً تماماً صبيحة كل يوم. القس العجوز شجع هذه الاعترافات. أصغى بصبر لا حد له. فرض عقوبات غريبة. الغلام الذي يمارس العادة السرية بصورة مستمرة يؤمر بأن يدخل الكنيسة الصغيرة في المدرسة صحبته عندما لايكون أحد حوله، يغطس عضو ذكورته في الماء المقدس، وهكذا يتم تطهيره. هذا الطقس يؤدي في سرية كبيرة ليلاً.

كان ثمة غلام جامح جداً أشبه بأمير صغير مغربي، أسود الطلعة، ذو قسمات رفيعة، مشية ملكية، وجسم جميل أملس جداً بحيث لم يظهر أي عظم على الاطلاق، هزيل ومصقول كتمثال. هذا الصبي ثار ضد الارتداء المألوف لثياب الليل. كان اعتاد أن ينام عارياً وأن ثياب الليل كانت تخنقه، تقيده. لذا كل ليلة كان يرتدي منامته شأنه شأن الأولاد الآخرين، وبعدها يخلعها سراً تحت الأغطية وفي الختام ينام من دونها. كل ليلة كان اليسوعي العجوز يقوم بجولاته، مراقباً ما إذا زار صبي صبياً آخر في فراشه، أو أن غلاماً مارس العادة السرية، أو تحدث في العتمة لجاره. عندما يصل سرير الصبي غير المنضبط، يرفع الغطاء بتؤدة وحذر ويتطلع إلى جسده العاري. إذا استيقظ الصبي من نومه كان يوبخه. "أتيتُ لأرى ما إذا كنتَ نائماً من دون منامة مرةً أخرى!" إما إذا لم يقف الغلام من نومه يكتفي بنظرة طويلة متأنية إلى جسده اليافع النائم.

ذات مرة خلال درس التشريح حين وقف على منصة المعلم، وكان الغلام ذو الشعر الأشقر البناتي جالساً يتطلع إليه، البروز تحت راداء القس أصبح واضحاً للجميع.

سأل هو الغلام الأشقر: "كم عدد العظام في جسم الإنسان؟"

رد الغلام بحلم: "مائتان وثمانية."

جاء صوت غلام آخر من خلف غرفة الصف: "لكن الأب دوبو له مائتان وتسعة!".

بعد هذه الحادثة مباشرةً أخذ الصبيان في نزهة نباتية. عشرة منهم ضلوا الطريق. بينهم الغلام الرقيق الأشقر. وجدوا أنفسهم في غابة، بعيداً عن المعلمين وبقية طلاب المدرسة. جلسوا ليستريحوا ويقرروا ما العمل. شرعوا يأكلون التوت. كيف بدأ الأمر، لاأحد يعرف، إنما بعد مدة وجيزة كان الصبي الأشقر مرمياً على الحشائش، عارياً، منقلباً على بطنه، والصبيان التسعة الآخرون جميعاً مروا من فوقه، امتلكوه بوحشية كما لو كانوا يمتلكون مومساً. الغلمان المجربون ثقبوا شرجه كي يشبعوا رغباتهم، بينما الأقل خبرةً استخدموا الاحتكاك بين ساقي الصبي، الذي كانت بشرته رقيقة كبشرة امرأة. بصقوا في أكفهم ودعكوا اللعاب فوق أعضاء ذكورتهم. الغلام الأشقر زعق ورفس ونشج، إلا أنهم جميعاً أمسكوا به واستخدموه إلى أن أشبعوا رغباتهم.

الخاتم

في بيـرو جـرت العـادة بين الهنود أن يتـبـادلوا الخـواتم مـن أجل الخطوبة، خواتم كـانت في حوزتهم مدةً طويلةً من الزمن. هذه الخواتم في بعض الأحيان كانت بهيئة قيد.

ثمة هندي وسيم جداً وقع في حب امرأة بيروفـية من أصل اسباني، إنما كـانت هناك مـعـارضـة من جـانب عـائلتـهـا. زُعم أن الهنود كسـالى وفـاسـدي الأخـلاق وينجـبـون أولاداً واهنين وضـعـيـفين، وبالأخص حين يتزوجون من سلالة اسبانية.

بالرغم من المعـارضـة، أدى الشـابان مـراسم خطبـتـهـمـا بين أصدقـائهـمـا. أقـبل والد البنت خلال الاحتـفـال الصـاخب وهدد أنه إذا لم يلتق الهندي الذي يلبس خاتم القيـد الذي أعطتـه إياه الفتـاة قـبل الآن، سوف ينتزعـه من اصبعـه بسلوك دموي جداً، وإذا دعتْ الضرورة سوف يبتر الإصبع. المراسم الصاخبة أفسدتها هذه الحادثة. الجميع عـادوا إلى بيوتهم، وافترق الشابان مع وعود باللقاء سراً.

التقيا ذات مساء بعد صعوبات جمة، وتبادلا القبلات الحارة برهةً طويلةً من الزمن. استـرخت المرأة بفعل قبلاته. كانت مستعدة لأن تهبه نفسها، شاعرةً أن هذه من الجائز أن تكون لحظتهما الأخيرة معاً، ذلك أن غضب والدها كان يتنامى يوماً بعد يوم. إلا أن الهندي عقد العزم على

الزواج منا، صمم على أن لا يمتلكها خلسةً. ثم لاحظتْ أن الخاتم ليس في يده. عيناها وجهتْ إليه الأسئلة. قال هامساً في أذنها: "إني لأبسه، لكنني لا ألبسه في المكان الذي يمكن رؤيته فيه. أني ألبسه في المكان الذي لا يستطيع فيه أحد أن يراه، إنما في المكان الذي يمنعني فيه من إمتلاكك أو امتلاك أي امرأة إلى أن يحين موعد زواجنا."

"لاأفهم"، قالت المرأة. "أين الخاتم؟".

ثم تناول يدها، أرشدها إلى مكانٍ ما بين الساقين. أصابع المرأة تحسستْ عضو ذكورته أول الأمر، ثم قاد أصابعها وتحسستْ الخاتم هناك في قاعدته. عند لمسه يدها، على أي حال، تصلب عضو الذكورة وصرخ هو، لأن الخاتم ضغط عليه وأورثه وجعاً شديداً.

المرأة فقدتْ وعيها تقريباً بسبب الفزع. كان ذلك كما لو أنه أراد أن يقتل الرغبة بداخله ويبترها. وفي الوقت ذاته فكرة كون هذا القضيب مكبلاً ومحاطاً بخاتمها أثارتها جنسياً، بحيث أن جسدها أضحى دافئاً وحساساً لكل ضروب الفانتازيات الإيروسية. تابعتْ تقبليها له، وتوسل إليها أن تكف عن ذلك، لأن هذا من شأنه أن يجلب له ألماً أكبر فأكبر. بعد مضي أيام معدودات خبر الهندي ثانيةً ألماً مبرحاً، إلا أنه لم يستطع أن ينزع الخاتم، توجب استدعاء الطبيب، وتم برد الخاتم ونزعه.

أتت إليه المرأة وعرضتْ عليه أن تهرب معه. قبل الفكرة. امتطيا حصانين وسافرا طوال ليلة كاملة معاً إلى مدينة قريبة. هناك أخفاها في حجرة وخرج للبحث عن عمل في مزرعة. لم تكنْ تبرح الغرفة إلى أن يتعب والدها من البحث عنها. كان الحارس الليلي للمدينة هو الشخص

الوحيد الذي عرف بوجودها. كان الحارس شاباً وأسدى لهما العون في إخفائها. كانت تراه من شباكها يسير ذهاباً وإياباً حاملاً مفاتيح البيوت، وهاتفاً: "الليل واضح وكل شيء حسن في المدينة."

حين يعود شخص ما متأخراً إلى بيته يصفق بيديه معاً ويستدعي الحارس. الأخير يفتح الباب. عندما يكون الهندي بعيداً في عمله كان الحارس والمرأة يتحدثان معاً من دون كلفة أحاديث بريئة.

حكى لهما الحارس عن جريمة وقعتْ منذ عهد قريب في القرية: الهنود الذين غادروا الجبل وتركوا عملهم في المزارع وهبطوا إلى معسكر للمتشردين أمسوا وحشيين وبهيميين. سحناتهم تغيرتْ من التقاسيم الهزيلة، الرفيعة إلى الفظاظة البهيمية.

تحولاً كهذا جرى تماماً في هندي كان ذات يوم أكثر رجال القرية وسامةً، مهذب، صامت، ذو دعابة غريبة وحسية متحفظة. هبط إلى معسكر المتشردين وجعل يمارس صيد المال. الآن عاد. هو يشعر بالحنين إلى القرية. رجع فقيراً معدماً وهام على وجهه بلا سكن. لم يميزه أو يتذكره أحد.

بعدها أمسك بفتاة صغيرة في الطريق وشرط أعضاءها الجنسية بسكين طويلة أُستخدمت لسلخ الحيوانات. لم يغتصبها، إنما أخذ السكين وأدخلها في فرجها، وهاجمها بها. كانت القرية بأسرها في اهتياج عظيم. لم يستطعْ سكانها أن يقرروا كيفية معاقبته. ثمة عرف هندي قديم جداً توّجب إعادته إلى الحياة من أجله. جروحه توجب فلقها وشمع، مُزج مع حامض لاذع كان الهنود يعرفونه، أُدخل فيها بحيث يكون الألم مضاعفاً. بعدها توّجب جلده حتى الموت.

بينما كان الحارس يروي هذه القصة للمرأة، عاد حبيبها من عمله.رآها منحنيةً خارج النافذة تتطلع إلى الحارس. هرع مسرعاً إلى حجرته العلوية وظهر أمامها بشعره الأسود متوحشاً حول وجهه، عيناه كانتا مليئتين بصاعقتين متوهجتين من الغضب والغيرة. أخذ يشتمها ويعذبها بالأسئلة والشكوك.

منذ حادثة الخاتم بقي عضو ذكورته حساساً. الجماع يصاحبه الألم لذا لم يستطع أن ينغمس فيه كلما أراد ذلك. عضوه ينتفخ ويؤذيه أياماً عدة. كان يخشى دوماً أنه لم يكن يشبع خليلته وأنها من الجائز أن تعشق رجلاً آخر. حينما رأى الحارس طويل القامة يتكلم معها، كان متيقناً أنهما كانا يعيشان قصة غرامية من وراء ظهره. أراد أن يؤذيها، أرادها أن تتعذب جسدياً بطريقةٍ ما، كما تعذب من أجلها. أرغمها على نزول السلم صحبته إلى القبو حيث تحفظ الخمور في أوعية ضخمة تحت سقوف ذوات عوارض خشبية. ربط حبلاً إلى إحدى العوارض الخشبية. تصوّرت المرأة أنه سوف يضربها. لم تستطع أن تفهم لماذا كان يهيء بكرةً. ثم ربط يديها وشرع يسحب الحبل بحيث أن جسدها ارتفع في الهواء وثقله كله تعلق على رسغيها، وكان الألم هائلاً.

نشجتْ وأقسمتْ أنها كانت وفية، بيد أنه كان مجنوناً. حين غابتْ عن الوعي عندما جر الحبل من جديد، عاد إلى رشده. أنزلها وجعل يحضنها ويداعبها. فتحتْ عينيها وابتسمت له. هيمن عليه التوق إليها ورمى نفسه فوقها. حسب أنها سوف تقاومه، وأنها بعد الألم الذي كابدته سوف تكون محنقة. إلا أنها لم تبدِ أي مقاومة. واصلتْ ابتسامها له. وحين لمس فرجها وجد أنها مبللة. امتلكها بعنف،

واستـجـابت له بالشـدة ذاتهـا. كـانت تلك أفـضل لـيلة عـاشـاها مـعـاً، مستلقين هناك على أرض السرداب الباردة في العتمة.

ميورقة (١٤)

كنتُ أقضي موسم الصيف في ميورقة، في ديا، قرب الدير حيث مكثت جورج صاند صحبة شوبان. في الصباح الباكر نمتطي حميراً صغيرة الحجم ونقطع الطريق الشاق الوعر المؤدي إلى البحر، نازلين الجبل. كان ذلك يستغرق منا زهاء الساعة من المخاض البطيء، عبر دروب الأرض الحمراء، الصخور، الجلاميد الغادرة، عبر أشجار الزيتون الغضية، هابطين إلى قرى صيد السمك، المكوّنة من أكواخ مشيدة على جوانب الجبل.

يومياً أنزل إلى الخليج الصغير، حيث يدخل البحر خليجاً صغيراً مدوراً شفافاً بكل معنى الكلمة بحيث يكون بمستطاع المرء أن يسبح حتى القاع ويرى الصخور المرجانية والنباتات غير المألوفة.

يحكي صيادو السمك قصةً غريبةً عن المكان. النساء الميورقيات يتعذر نيلهن، ومتزمتات وورعات. عندما كن يسبحن كن يلبسن أزياء سباحة ذوات تنورات وجوارب سوداً تعود لسنوات عدة خلت. معظمهن لم يكن يؤمن بالسباحة مطلقاً وتركن هذا الأمر للنساء الأوربيات عديمات الخجل اللواتي يقضين فصول الصيف هناك. صيادو السمك كذلك شجبوا أزياء السباحة الحديثة والسلوك الداعر للأوربيين. كانوا

ينظرون إلى الأوربيين بوصفهم داعين إلى مذهب العري، والذين كانوا ينتظرون فقط أدنى فرصة كي ينضوا عنهم ثيابهم كلياً ويرقدوا عراةً في الشمس كالوثنيين. كانوا أيضاً ينظرون بعدم رضا إلى حفلات الاستحمام التي تجري في منتصف الليل المبتكرة من قبل الأمريكيين.

ذات مساء في إحدى السنين الخوالي، كانت ابنة صياد ذات ثمانية عشر ربيعاً تسير بمحاذاة حافة البحر، قافزةً من صخرة إلى صخرة، فستانها الأبيض ملتصق بجسدها. تسير هكذا وتحلم وتشاهد تأثيرات القمر على البحر، الموج يلعق قدميها برقة، وأخيراً وصلتْ إلى خليج صغير مخفي حيث لاحظتْ شخصاً ما يسبح. كان بوسعها أن ترى فقط الرأس يتحرك وبين الحين والحين ذراعاً. كان السباح بعيداً جداً. ثم سمعتْ صوتاً ناعماً يناديها. "تعالي واسبحي. إنه جميل." هذه الكلمات قيلتْ بالإسبانية بلكنة أجنبية. "مرحباً، ماريا"، نادى الصوت، إذاً الصوت كان يعرفها. لابد أنها واحدة من الشابات الأمريكيات اللواتي سبحن هنا أثناء النهار.

ردتْ: "من أنتِ؟"

"أنا إيفلين"، قال الصوت، "هيا تعالي واسبحي معي!" كان ذلك مغرياً جداً. كان يسهل عليها أن تخلع فستانها الأبيض وتلبس فقط قميصها التحتاني الأبيض القصير. نظرتْ في كل الأنحاء. لم يكنْ ثمة أحد في ماحولها. كان البحر هادئاً ومبقعاً بضياء القمر. لأول مرة فهمتْ ماريا العشق الأوربي لسباحة منتصف الليل. خلعتْ فستانها. كان لها شعر أسود طويل، وجه شاحب، عينان خضراوان مائلتان، أكثر اخضراراً من البحر. كانت جميلة الشكل، ذات ثديين مكتنزين، ساقين طويلتين،

وبدن مؤسلب. كانت تعرف السباحة بصورة أفضل من أي امرأة أخرى على سطح الجزيرة. تسللت إلى اليم وبدأتْ تجذيفاتها الطويلة السهلة صوب ايفلين.

كانت إيفلين تسبح تحت الماء، أقبلتْ نحوها وأمسكتْ بساقيها. في اليم ضايقتْ أحداهما الأخرى. نصف العتمة وقبعة السباحة جعلتْ رؤية الوجه بجلاء أمراً عسيراً. النساء الأمريكيات لهن أصوات شبيهة بأصوات الغلمان.

تصارعتْ إيفلين مع ماريا، عانقتها تحت الماء. كانتا تخرجان إلى السطح كي تتنفسا الهواء، ضاحكتين، سابحتين بعدم اكتراث مبتعدتين عن احداهما الأخرى ثم مقتربتين من بعضهما ثانيةً. قميص ماريا التحتاني طفا عالياً حول كتفيها وقيّد حركاتها. في الختام نُزع بكل معنى الكلمة وأصبحتْ عارية. إيفلين سبحتْ في الأسفل ومستها بعبث، مصارعةً إياها وغاطسةً تحت وبين ساقيها.

كانت إيفلين تباعد بين ساقيها كي تستطيع صديقتها أن تغوص بينهما وتظهر ثانيةً في الناحية الأخرى. عامتْ وجعلتْ صديقتها تسبح تحت ظهرها المقوس.

شاهدتْ ماريا أن صديقتها عارية أيضاً. ثم بغتةً شعرت أن ايفلين تعانقها من الخلف، مغطيةً بدنها كله ببدنها هي. كان الماء فاتراً، أشبه بوسادة مترفة، مالحاً جداً بحيث أنه حملهما، ساعدهما في الطفو والسباحة من دون مجهود.

"أنتِ جميلة، ماريا"، قال الصوت الخفيض، وأبقتْ ايفلين ذراعيها حولها. كانت ماريا تريد أن تطفو مبتعدةً، إلا أن دفء الماء والملامسة

المستمرة لجسد صديقتها أبقياها في مكانها. سمحتْ لجسدها أن يُطوّق، لم تشعرْ بثديين لدى صديقتها، إنما، بعدئذ، عرفتْ أن الشابات الأمريكيات اللواتي رأتهن لايملكن أثداءً. كان جسد ماريا ضعيفاً وأرادت أن تغمض عينيها.

فجأةً ما شعرتْ به بين فخذيها لم يكنْ يداً بل شيئاً آخر، شيئاً غير متوقع على الاطلاق، شيئاً مزعجاً بحيث أنها زعقتْ. لم تكنْ تلك ايفلين إنما شاب، أخ ايفلين الأصغر سناً، وكان دس عضو ذكورته المنتصب بين ساقيها. زعقت إنما لم يسمع أحد، وكان زعيقها هو مجرد شيء تدربتْ عليه والذي توقعته من نفسها. الحقيقة بدا لها عناقه مهدناً ومدفئاً وملاطفاً كالماء. الماء وعضو الذكورة واليدان تآمروا كي يثيروا جسدها. أرادتْ أن تسبح مبتعدةً. إلا أن الغلام سبح تحت جسدها، داعبها، أمسك بساقيها، واعتلاها ثانيةً من الخلف. في الماء تصارعا، إلا أن أي حركة من الحركات أثرت فيها جسدياً بصورة أكثر. جعلتها تعي أكثر جسده الملتحم بجسدها، ويديه تقبضان على لحمها الطري. أرجع الماء ثدييها جيئةً وذهاباً مثل زنبقتي ماء ثقيلتين طافيتين. طبع قبلاته عليهما. مع الحركة المستمرة لم يكن يقدر حقاً امتلاكها. إلا أن عضو ذكورته مسها المرة تلو المرة في القمة الحساسة حداً من فرجها، وكانت ماريا تفقد قوتها. سبحتْ صوب الساحل، وتبعها هو. ارتميا على الرمل. الأمواج ما برحتْ تلعقهما بينما كانا مستلقيين هناك لاهثين، عاريين. الصبي بعدئذ امتلك الفتاة، وجاء البحر وغسلهما وغسل الدم العذري.

منذ تلك الليلة دأبا على اللقاء في هذه الساعة حسب. كان

يمتلكها هناك في اليم، متأرجحين، طافيين. الحركات المتموجة لجسديهما بينما هما يستمتعان بأحدهما الآخر بدتْ وكأنها جزء من البحر. وجدا موطئ قدم على صخرة ووقفا هناك معاً، الأمواج تعانقهما، ومرتجفين من جراء هزة الجماع.

عندما كنتُ أنزل إلى الساحل ليلاً، كنتُ أشعر عادةً كما لو أن بوسعي رؤيتهما، يسبحان معاً، يمارسان الحب.

فنانون وموديلات

ذات صباح استدعيتُ إلى استديو في قرية غرينج، حيث كان نحات بدأ بعمل تمثال صغير. كان اسمه ميلارد. كانت له في ذلك الحين نسخة تقريبية للمظهر الخارجي الذي يريده ووصل مرحلةً احتاج فيها إلى موديل. كانت امرأة التمثال الصغير ترتدي فستاناً ضيقاً وكان الجسم بارزاً عبره في كل خطوطه ومنحنياته. طلب مني النحات أن أخلع ملابسي كلياً لأنه لا يستطيع العمل بخلاف ذلك. بدا منهمكاً جداً في تمثاله الصغير وتطلع إليّ بشرود ذهن كبير بحيث كنتُ قادرةً على نزع ثيابي واتخاذ الوضع من دون تردد. مع أنني كنتُ بريئةً تماماً في ذلك الوقت، إلا أنه جعلني أشعر كما لو أن جسمي لا يختلف اختلافاً كبيراً عن وجهي، كما لو أنني كنتُ امرأة التمثال نفسها.

بينما كان ميلارد يعمل، تحدث عن حياته الماضية في مونتبارنيس، والزمن مضى سريعاً. لم أكن أعرف ما إذا كانت قصصه قُصد منها أن تستفز خيالي، لكنه لم يظهر أي علامة من علامات كونه مهتماً بي. كان يستمتع بإعادة خلق جو منتبارنيس من أجله هو. هذه هي إحدى القصص التي سردها لي:

"كانت زوجة أحد الرسامين الحديثين مصابةً بشبق النساء. كانت

تشكو من التـدرن الرئوي، على مـا أعـتـقـد. كـان لهـا وجـه أبيض كـالطباشـير، عينان سوداوان مـتـوهجتـان غـائصتـان عميقـاً في طلعتهـا، بأجفان مصبوغة باللون الأخضر. كان لها مظهر خارجي مبهج للحواس، غطتـه بصـورة ملسـاء جداً بالسـاتان الأسـود. كـان خصرها صـغـيـراً إذا قـارناه مع بقيـة أجزاء بدنهـا. حول خصرها كـانت تلبس حزامـاً أغـريقيـاً فضياً ضخماً، عرضه نحو ست إنجات، مرصع بالأحجار الكريمة. كان هذا الحزام فاتناً. كان أشبه بحزام عبد. يشعر المرء أنها في أعـماقها (كانت) عـبدة ـ لجوعـهـا الجنسي. يشعـر المرء أن كل مـا ينبـغي له أن يفعله هو أن يمسك بالحزام ويفتـحه لهـا كي ترتمي بين ذراعـيه. كـان شديد الشبه بحزام العفة الذي عرضوه في (متـحف كلوني)، الذي قيل أن الصليبيـين كانوا يلبسونه لزوجاتهم، حزام فضة عـريض جداً مع ملحق مـتـدلٍ يغطي عضـو أنوثتـهـا وكـانوا يقـفلونه طوال مـدة حروبهم الصليبـيـة. روى لي أحـدهم القصة المبهجة المتعلقة بأحد الصليبيين الذي وضع حزام العفة حول خصر زوجتـه وترك المفتـاح برعاية أعز أصدقـائه في حالة وفـاته. ومـا كـاد ينأى أميـالاً قليلة حتى رأى صديقة يمتطي صهوة جواده بإهتياج مـتعقباً إياه، منادياً: [أعطيتني المفتاح الخاطئ!]

" هكذا كـانت المشاعـر التي يوصيـهـا حزام لويز في الجـميع. نراها تصل أحد المقـاهي، عيناها الجـائعـتـان تحدق فـينا بإمـعـان، بـاحثـتين عن إستجابة، عن دعوة للجلوس، كنا نعـرف أنها خرجت لتصطاد رجلاً لذلك النهار. زوجها لم يتمالك نفسه عن معرفة هذا الأمر. كان شخصاً مثيراً للشفقة، كـان يفتش عنها في معظم الأحيان، إذ يخبره أصدقاؤه أنها في مـقـهى آخر ومن ثم آخر، حيث يذهب، الأمـر الذي يمنحـهـا الوقت الكـافي

كي تنسل خلسةً إلى حجرة في فندق مع رجل ما. عندئذ الجميع يحاولون أن يجعلوها تعرف أين كان زوجها يبحث عنها. في الختام، بيأس، بدأ هو يتضرع إلى أعز أصدقائه أن يمتلكها، بحيث أنها في الأقل لن تقع في أيدي الغرباء.

"كان يخشى الغرباء، بالأخص أولئك الذين ينتمون إلى أمريكا الجنوبية، والزنوج والكوبيين. سمع ملاحظات عن قدراتهم الجنسية غير الاعتيادية وشعر، إذا وقعت زوجته في أيديهم، فإنها لن تؤوب إليه. لويز، على أي حال، بعد أن نامت مع أعز أصدقائه كلهم، في الختام التفت أحد الغرباء. "كان كوبياً، هو رجل أسمر ضخم، وسيم بصورة استثنائية، ذو شعر طويل، سبط كما لو كان هندوسياً وذو ملامح كاملة، رفيعة. كان يسكن خصيصاً في (القبة) إلى أن يجد امرأةً يريدها. وبعدها يختفيان يومين أو ثلاثة، يقفلان على نفسيهما في حجرة أحد الفنادق، ولن يعاودا الظهور إلى أن يكون كلاهما نال وطهر. كان يؤمن في إعداد وليمة كاملة من امرأة بحيث أن أياً منهما لن يكون منهما لن يكون راغباً في رؤية الآخر ثانيةً. بعد أن ينتهي هذا وقتذاك حسب يمكن رؤيته جالساً في المقهى من جديد، متحدثاً حديثاً متألقاً. كان، فضلاً عن ذلك، رسام لوحات جصية رائعاً. "حين التقيا هو ولويز، ذهبا معاً في الحال. كان أنطونيو مفتوناً بشدة ببياض بشرتها، اكتناز ثدييها، خصرها الرشيق، بشعرها الأشقر، الطويل، السبط، الغزير. وكانت هي مفتونة برأسه وجسده النشيط، ببطئه وراحة باله. كل شيء يجعله يضحك. كان يمنح المرء إحساساً أن العالم كله موصد الآن وأن هذه الوليمة الحسية هي وحدها موجودة، وأنه لن يكون هناك أيام غد، لا

لقاءات مع أي فرد آخر ـ وأنه ليس هناك إلا هذه الحجرة، هذا العصر، هذا السرير.

"حين وقفتْ عند السرير الحديدي الكبير، منتظرةً، قال لها: [ابقي حزامك حول خصرك.]وبدأ بتمزيق فستانها تمزيقاً بطيئاً من حوله. بهدوء ومن دون مجهود مزقه إلى قطع صغيرة كما لو كان مصنوعاً من الورق. كانت لويز ترتجف من قوة يديه. وقفتْ الآن عاريةً إلا من الحزام الفضي الثقيل. حلَّ شعرها على كتفيها. عند ذاك فقط أحنى ظهرها على الفراش وقبلها قبلات لا متناهية، واضعاً يديه على ثدييها. شعرتْ بالثقل الموجع لحزام الفضة وليديه اللتين كانتا تضغطان بقوة كبيرة على جسدها العاري. كان جوعها الجنسي صعد كالجنون إلى رأسها، مسبباً لها العمى. كان مُلحاً جداً بحيث أنها لم تستطع الإنتظار. لم تستطع حتى أن تنتظر ريثما يخلع ثيابه. غير أن أنطونيو تجاهل حركاتها التي تنم عن نفاد صبرها. لم يكنْ فقط يواصل تقبيلها كما لو أنه يشرب كل فمها، لسانها، نفسها، إلى داخل فمه لكبير الداكن، بل كانت يداه تهرسانها، تضغطان بعمق في جسدها، تاركتين علاماتٍ و ألماً في الأمكنة كلها. كانت هي ندية ومرتعشة، تفتح ساقيها وتحاول التسلق فوقه. حاولت أن تفتح سرواله الداخلي.

"[ثمة وقت كافٍ]، قال. [ثمة متسع من الوقت. سنبقى في هذه الحجرة أياماً عدة. هناك وقت طويل لكلينا.]

" ثم إبتعد وتعرّى. كان له جسد أسمر ـ ذهبي، عضو ذكورة أملس كبقية أجزاء جسده، ضخم، صلب كعصا خشب صقيلة. ارتمت عليه (أي أنطونيو) وأدخلتْ عضوه في فمها. أصابعه ذهبتْ في

الأمكنة كلها، في شرجها، في فرجها؛ لسانه دخل في فمها، في أذنيها. عضّ حلمتيها، قبّل وعض بطنها. كانت هي تسعى إلى إشباع جوعها من خلال الاحتكاك بساقه، إلا أنه لم يدعها تفعل ذلك. ثناها كما لو كانت من المطاط، لواها في الأوضاع كلها. بيديه القويتين تناول أي جزء منها كان جائعاً إليه وأتى به إلى فمه كلقمة طعام، من دون أن يكترث كيف وقعتْ بقية جسمها في الفراغ. هكذا بالضبط، تناول مؤخرتها بين يديه، حملها إلى فمه، وعضها. ناشدته قائلة: [خذني، أنطونيو، خذني. لا أطيق الانتظار !]لم يشأ أن يأخذها.

"آنئذ كان الجوع في رحمها أشبه بنار محتدمة. حسبتْ أن هذا الجوع سوف يقودها إلى الجنون. مهما حاولتْ أن تفعل كي توصل نفسها إلى هزة الجماع، كان يحبط محاولاتها تلك. حتى إذا قبلته قبلة طويلةً جداً كان يتنحى جانباً كلما تحركت، كان الحزام الضخم يصدر صليلاً، كسلسلة عبد. هي الآن في الواقع عبدة هذا الرجل الضخم الأسمر. كان يحكم كملك كانت سعادتها رهن سعادته كانت تدرك جيداً أنها غير قادرة على أن تفعل شيئاً رغماً عنه وضد إرادته. كان يطلب الخضوع. توقها مات في داخلها من جراء الإنهاك التام. التوتر كله غادر بدنها. أصبحتْ لينةً كالقطن. في هذا حفر هو بابتهاج أعظم عبدته، ملكيته، جسد محطم، يلهث، طيعاً، ليونته تزداد شيئاً فشيئاً تحت أصابعه. كانت يداه تفتشان كل زاوية من زوايا بدنها، من دون أن تتركا زاويةً واحدةً إلا ولمستها، عجنتها، عجنتها كي تلائم هواه، يثنيها كي تناسب فمه، لسانه، يعصرها على أسنانه البيض الكبيرة اللامعة، تاركاً العلامات على جسدها كما لو كان مُلكاً له.

"لأول مرة، الجوع الذي كان على سطح جلدها كالشيء المثير، تراجع إلى جزء أعمق من جسدها. تراجع وتراكم، وأصبح جوهر نار ينتظر الإنفجار، على وفق وقته وإيقاعه. كانت ملامسته أشبه برقصة فيها جسدان حولا وغيّرا نفسيهما إلى أشكال جديدة، أنظمة جديدة، تصاميم جديدة. والآن إتخذ كل منهما شكل الكوب كتوأمين، بطراز الملعقة، عضو ذكورته على أليتيها، ثدياها يتماوجان تحت يديه، وبصورة موجعة كانت يقظة، واعية، حساسة. هو ذا الآن يقعي فوق جسدها المنبطح كأسد كبير، وهي تضع قبضتيها تحت مؤخرتها كي ترفع نفسها نحو قضيبه. دخل لأول مرة وملأها كما لم يفعل أحد سواه، ملامساً أعمق أعماق رحمها.

"كان العسل ينسكب منها. بينما كان يدفع، كان عضو ذكورته يصدر أصوات مص صغيرة. الهواء كله انسحب من الرحم، بينما كان قضيبه يملؤه، وتأرجح هو داخل وخارج العسل بصورةٍ لانهائية، ماساً قمة الرحم، لكن حالما تتسارع أنفاسها، يسحبه إلى الخارج، متلألئاً بكل معنى الكلمة، ويتخذ شكلاً آخر من المضاجعة استلقى على السرير، ساقاه منفرجتان، عضوه مرتفع، وجعلها تجلس عليه، تبتلعه كلياً، بحيث أن شعر عانتها دعك شعره. بينما كان يمسك بها، جعلها ترقص دائرياً حول عضوه. كانت ترتمي فوقه وتدعك ثدييها بصدره، وتبحث عن فمه، ثم تقوّم جذعها من جديد وتستأنف حركاتها حول القضيب. في بعض الأحيان كانت ترفع نفسها قليلاً بحيث تبقي فقط رأس القضيب في فرجها، وتتحرك برفق، برفق شديد، بصورة كافية فقط كي تبقيه في الداخل، ملامساً حافات فرجها، التي كانت حمراء، ومنتفخة، وقابضةً

على القضيب كما لو كان فماً. بعدها فجأةً تتحرك إلى الأسفل، مبتلعةً القضيب كله، ولاهثةً بفرح غامر، ترتمي على بدنه العاري وتفتش عن فمه من جديد. يداه بقيتا على أليتيها طوال الوقت، ممسكاً بها كي يتحكم بحركاتها بحيث أنها لن تستطيع أن تزيد سرعتها فجأةً وتصل الذروة.

"رفعها عن السرير، طرحها على البلاط، على يديها وركبتيها، وقال لها: تحركي .ابدأتْ تزحف في أنحاء الحجرة، شعرها الأشقر الطويل يغطي نصف جسدها، حزامها يرهق خصرها. بعدئذ جثا وراءها وأدخل عضو ذكورته، جسده كله فوق جسدها، متحركاً هو أيضاً على ركبتيه الحديديتين وذراعيه الطويلتين. بعد أن استمتع بها من الخلف، دس رأسه تحتها بحيث يكون بمستطاعه أن يرضع ثدييها الخصبين، كما لو كانت حيواناً، ممسكاً بها في موضعها بيديه وفمه. كان كلاهما يلهث ويتلوى، وعند ذلك حسب رفعها، حملها إلى الفراش، ووضع ساقيها حول كتفيه. إمتلكها بضراوة واهتزا وارتعشا بينما كانا يصلان الذروة معاً. ثارتْ فجأة وجعلتْ تبكي بصورةٍ هستيرية. كانت هزة الجماع قويةً جداً بحيث خيل إليها أنها سوف تصاب بالجنون، بكره وسعادة لم تعرف لهما مثيلاً من قبل. كان يبتسم لاهثاً؛ استلقيا وراحا في نوم عميق".

اليوم التالي حكى لها ميلارد عن الفنان (الفنانة) مافوكا، الرجل - المرأة من مونتبارنيس:

"مامن أحد عرف على وجه الدقة ماذا كانت هي. كانت ترتدي زي الرجل. كانت ضئيلة البدن، نحيلة، مسطحة الصدر. كانت تجعل شعرها قصيراً، سبطاً. كان لها وجه غلام. تلعب البليارد كرجل. تسكر على

غرار الرجال واضعةً قدمها على درابزون الحانة. كانت تروي قصصاً فاحشة كرجل. رسمها له قوة غير متوفرة في عمل امرأة. بيد أن لإسمها صوت أنثوي، مشيتها أنثوية، ويقال إنها لا تملك عضو ذكورة. الرجال لايعرفون كيف يعاملونها. غالباً كانوا يصفعونها على مؤخرتها بمشاعر أخوية.

"كانت تسكن مع فتاتين في استوديو. أحداهما كانت موديلاً، أما الثانية فمغنية في نادٍ ليلي. إنما لا أحد يعرف ما هي العلاقة القائمة بينهن. يبدو أن الفتاتين كانت لهما علاقة أشبه بعلاقة زوج وزوجة. ماذا كانت مافوكا بالنسبة لهم؟ ما كانتا لتجيبان عن أي سؤال من هذه الأسئلة. مونتبارنيس تود دوماً معرفة هكذا أشياء، وبالتفصيل. لوطيون قليلون كانوا منجذبين إلى مافوكا وحققوا خطوات للأمام نحوها أو نحوه. غير أنها صدتهم. تخاصمتْ تلقائياً وضربت بقوة.

"ذات يوم كنتُ ثملاً نوعاً ما وقمتُ بزيارة مفاجئة إلى ستوديو مافوكا. كان الباب مفتوحاً. حال دخولي سمعتُ قهقهات على الشرفة. واضح أن الفتاتين كانتا تمارسان الحب. كانت الأصوات تغدو ناعمةً ورقيقة، ثم عنيفة وغامضة، وتصبح نواحاً وتنهدات. بعدها يحل الصمت.

"دخلتْ مافوكا ووجدتني؛ أذني منتصبة، أرهف السمع. قلتُ لها، إمن فضلك دعيني أذهب وأراهما. ا

ا" لامانع لديّ، قالت مافوكا . إاصعد ورائي، ببطء. لن تتوقفا عن ممارسة الحب إذا اعتقدتا أنني وحدي فقط. كان يطيب لهما أن أشاهدهما." إصعدنا الدرجات الضيقة. صاحبت مافوكا: إهذه أنا.]لم

يكن هناك انقطاع للضوضاء. حينما صعدنا، إنحنيتُ من فوق بحيث أنهما لن تستطيعا رؤيتي. مافوكا ذهبت إلى السرير. كانت الفتاتان عاريتين. كانتا تضغطان جسديهما الواحدة على الأخرى وتدعكان نفسيهما معاً. الاحتكاك وهبهما اللذة. مافوكا مالتْ فوقهما، داعبتهما. قالتا: [هيا، مافوكا، استلقي معنا.]غير أنها تركتهما ونزلتْ بي درجات السلم من جديد.

"[مافوكا]، قلتُ، [ماذا أنتِ؟ أأنتٍ رجل أم امرأة؟ لماذا تقيمين مع هاتين الفتاتين؟ إذا كنت رجلاً لماذا لا تملكين فتاةً خاصةً بك؟ إذا كنت امرأة، لماذا لا تعاشرين رجلاً بين الفينة والفنية؟]

" مافوكا ابتسمتْ لي.

"[الجميع يريدون أن يعرفوا. الجميع يشعرون أنني لستُ غلاماً. النساء يشعرن بذلك. الرجال ليسوا متأكدين من معرفتهم. أنا فنانة.]

[" ماذا تعنين، مافوكا؟]

[" أعني أنني، على غرار فنانين عديدين، خنثى.]

[" نعم، غير أن خنثية الفنانين تكمن في طبيعتهم. ربما يكون الفنان رجلاً بطبيعة امرأة، إنما ليست ببنية جسم مُربية كالتي تملكينها.]

[" لي جسم خنثى]

[" أو، مافوكا، دعيني أرى جسمك.]

[" لن تمارس الجنس معي؟]

[" أعدك بذلك.]

" خلعتْ قميصها أولاً وأظهرت جذع غلام يافع. لم يكنْ لها ثديان، الحلمتان فقط، معلمتان كشأنهما في جسم صبي يافع. ثم خلعت

بعجل بنطلونها الفضفاض. كانت تلبس سروالاً داخلياً نسائياً، بلون لحمي، مزيناً بالدانتيلا. كانت لها ساقا وفخذا امرأة. ساقاها مقوستان تقوساً جميلاً، وممتلئتان. كانت ترتدي جوارب وأربطة جوارب نسائية. قلتُ: [دعيني أخلع أربطة الجوارب. أحب أربطة الجوارب.]ناولتني ساقها بأناقة شديدة بحركة راقصة باليه. ببطء دحرجت الرباط. أمسكتُ قدماً وسيمة في يدي. رفعتُ بصري إلى ساقيها، اللتين كانتا مثاليتين. دحرجتُ الجورب فرأيت بشرة امرأة، جميلةً وناعمةً. كانت قدماها مثاليتين ومشذبتي الأظافر بعناية. أظفارها كانت مكسوة بطلاء أحمر. كنتُ مأسوراً أكثر فأكثر. داعبتُ ساقها. قالت: [وعدتني أن لا تضاجعني.]

" وقفتْ. بعدها خلعتُ سروالها الداخلي. ورأيتُ أسفل شعر العانة الناعم المجعد، الذي اتخذ شكلاً أشبه بشكل شعر عانة امرأة، إنها كانت تحمل قضيباً صغيراً ضامراً وكأنه قضيب طفل. جعلتني أنظر إليها - أو إليه، مثلما شعرتُ الآن أنني يجب أن أقول.

"[لماذا تطلقين على نفسكِ اسم امرأة، مافوكا؟ أنت في الحقيقة أشبه بغلام يافع عدا شكل ساقيك وذراعيك؟]

عندئذ ضحكتْ مافوكا، هذه المرة ضحكة امرأة. ضحكةً رقيقةً جداً وسارة. قالت: [تعال، وانظر.]اضطجعت على الأريكة. فتحتْ ساقيها وأرتني مدخل فرج كاملاً، وردياً ورقيقاً، خلف القضيب.

"[مافوكا!]

" استيقظت رغبتي. أكثر الرغبات غرابةً. الشعور بالرغبة في امتلاك رجل وامرأة معاً في شخص واحد. شاهدتْ ثورة الرغبة في

داخلي ونهضتْ. حاولتُ أن أفوز بها من خلال مداعبة، لكنها تملصتْ مني.

"[ألا تحبين الرجال؟ [سألتها. [ألم يكن لكِ رجل من قبل؟]

["   أنا عذراء. لا أحب الرجال. أشعر برغبة نحو النساء فقط، لكنني لا أستطيع أن أمتلكهن كما يفعل الرجل. قضيبي أشبه بقضيب طفل - لا أقدر أن أحصل على انتصاب.]

["   أنت خنثى حقيقية، مافوكا]، قلت. [هذا ما يفترض أن ينتجه عصرنا لأن التوتر بين ما هو رجالي وأنثوي زال تماماً. الناس في الأغلب نصف من الأول ونصف من الآخر. لكنني لم أرَ ذلك من قبل أبداً - الواقع، جسدياً. لابد أن ذلك يجعلكِ تعيسةً جداً. هل أنتِ سعيدة مع النساء؟]

["   أنا أشتهي النساء، لكنني أتعذب، لأنني لا أستطيع أن أمتلكهن كرجل، وكذلك حين امتلكنني كسحاقيات، بقيتُ أشعر بشيء من عدم الرضا. غير أنني لا أنجذب نحو الرجال. وقعتُ في هوى ماتيلدا، الموديل. بيد أنني لم أستطع أن أستبقيها. وجدتُ سحاقية حقيقية لها، امرأة تشعر أنها قادرة على اشباعها. عضو الذكورة خاصتي يمنحها دوماً الاحساس أنني لستُ سحاقية حقيقية. وهي تعرف أنها لا تلمك الحق عليّ مع أنني كنتُ منجذبة إليها. كما ترى، الفتاتان كونتا صلةً أخرى معاً. أنا أقف بينهما، مستاءة دوماً. كذلك، أنا لا أحب عشرة النساء. إنهن تافهات وذاتيات. هن يتشبثن بألغازهن وأسرارهن، هن يمثلن ويتظاهرن. أحب شخصيات الرجال أكثر.]

["   مافوكا المسكينة.]

["مافوكا المسكينة. أجل، حين وُلدتُ لم يكونوا يعرفون كيف يسمونني. ولدتُ في قرية صغيرة من قرى روسيا. خيل إليهم أنني مسخ وربما توجب عليهم أن يتخلصوا مني، من أجلي أنا. حين أقبلتُ إلى باريس تضاءلتْ معاناتي. اكتشفت أنني فنانة جيدة. "]

كل مرة حين أغادر استوديو النحات، كنتُ أبقى دوماً برهةً قصيرةً في مقهى قريب وأتأمل كل ما أخبرني به ميلارد. كنتُ أسائل نفسي ما إذا كان يحدث شيء مشابه في ماحولي، هنا في قرية غرينج، على سبيل المثال. بدأتُ أحب التوضع أمام الفنانين، بسبب الجانب المغامر فيه. وطدتُ العزم على حضور حفلة مساء سبت ما دعاني إليها رسام يُدعى براونه. كنتُ جائعة وفضولية للأشياء كلها.

استعرتُ فستاناً مسائياً من المخزن التنويعي للأزياء التابع لـ (آرت موديل كلب)، مع كاب مسائي وحذاءين. موديلان جاءتا معي، فتاة حمراء الشعر، موليي، وامرأة شبيهة بالتمثال من حيث الجمال الكلاسيكي، اسمها أثيل، كانت الموديل المفضل لدى النحاتين.

ما كان يخطر ببالي طوال الوقت هو قصص حياة مونتبارنيس التي رواها لي النحات، والآن شعرتُ أنني أدخل هذه المملكة. كانت خيبة أملي الأولى عندما رأيتُ أن الستوديو كان فقيراً تماماً وعارياً، الأريكتان من دون وسائد، الإضاءة غير متقنة، من دون أي زخارف تخيلتها ضرورية لأي حفلة من الحفلات. كانت القناني مصفوفة على الأرض، جنباً إلى جنب مع كؤوس وأكواب مثلّمة الحافات. كان ثمة سلم يؤدي إلى شرفة حيث يحفظ براون رسومه. ستارة خفيفة كانت تخفي المغسلة وموقد غاز صغير. في مقدمة الغرفة كان ثمة رسم إيروسي

لامـرأة تُمتلك من قبل رجلين. كـانت في حـالة تشـنج، جسـدها مقـوّس، عيناها تظهران بياضيهما. كان الرجلان يغطيانها، أحدهما يضع قضيبه في داخلها والآخر يدخل عضوه في فمها. كان رسماً بالحجم الطبيعي وبهيمياً جداً. كان الجميع يتطلعون إليه، معجبين به. كنتُ مفتونةً كانت تلك أول لوحة من طراز لم أرَ مثيلاً له من قبل، ووهبتني صدمةً هائلةً من المشاعر المختلطة.

جنبها انتصبت لوحة أخرى كانت مدهشة أكثر. كانت تظهر حجرة بأثاث فقير، ملأها سرير حديد كبير. كان ثمة رجل يجلس على هذا السرير في الأربعين أو نحو ذلك، بثياب عتيقة، ذو وجه غير حليق، وفم يسيل لعاباً، أجفان مرتخية، فكين مرتخيين، تعبير منحط كلياً. كان أنزل سرواله الداخلي إلى النصف، وعلى ركبتيه العاريتين جلست فتاة صغيرة ذات تنورات قصيرة جداً، كان يطعمها قطعةً مستطيلة من الحلوى. ساقاها الصغيرتان العاريتان. استقرتا على ساقيه العاريتين المكسوتين بالشعر.

ما شعرتُ به بعد رؤيتي لهذين الرسمين هو ما يشعر به المرء حين يتعتعه السُكر، دوار مفاجئ في الرأس، ودفء عبر أوصال الجسد كلها، تشوش في الحواس. شيء ما يستيقظ في الجسد، مرتبك ومبهم، إحساس جديد، نوع جديد من الجوع والقلق.

تطلعتُ إلى الأفراد الآخرين في الحجرة. لكنهم شاهدوا الكثير جداً من هذا بحيث أنه لم يؤثر فيهم. كانوا يقهقهون ويعلقون.

إحدى الموديلات كانت تتحدث عن تجاربها في مخزن لبيع الألبسة الداخلية:

"استجبت لإعلان يطلبون فيه موديلاً للتوضع بالألبسة الداخلية من أجل رسم تخطيطات (اسكيتشات). كنتُ فعلتُ ذلك مراراً ودُفع لي الأجر العادي ومقداره دولار واحد عن كل ساعة. عادةً كان فنانون عديدون يرسمون تخطيطات لي في الوقت نفسه، وكان هناك أناس كثيرون من حولي - سكرتيرات ، كاتبات اختزال، وسعاة. هذه المرة كان المكان خالياً. كان مجرد حجرة مكتب مع طاولة، ملفات ومواد رسم. ثمة رجل جلس ينتظرني أمام لوح الرسم خاصته. أُعطيت كوماً من الألبسة الداخلية ووجدتُ (برفاناً) وضع في المكان الذي أستطيع فيه تبديل ملابسي. بدأتُ بارتداء قميصٍ تحتي. توضعتُ مدة خمس عشرة دقيقة في كل مرة. بينما كان الرجل يرسم التخطيطات. "عملنا بهدوء. عندما كان يعطي الإشارة، أمضي خلف (البرفان)، وأبدل ملابسي. كانت ثياباً داخلية من الساتان ذوات تصاميم فاتنة، بأعالٍ من الدانتيلا وتطريز جميل. لبستُ حمالة صدر وسروالاً داخلياً. كان الرجل يدخن ويرسم التخطيطات. في قاع الكوم كان هناك سروال داخلي وحمالة صدر مصنوعان كلياً من الدانتيلا السوداء. كنتُ أتوّضع عاريةً في معظم الأحيان ولم أكن أكترث بلبس هذين. كانت الثياب الداخلية جميلة بكل معنى الكلمة.

"كنتُ أحدق خارج النافذة معظم الوقت، وليس إلى الرجل الذي يرسم التخطيطات. بعد برهةٍ من الزمن لم أعد أسمع أبداً القلم وهو يعمل والتفتُ قليلاً صوبه، من دون أن أنوي إضاعة الوضع. كان يقعد هناك خلف لوح الرسم خاصته يتطلع إليّ. ثم أدركتُ أنه كان أخرج عضو ذكورته وكان في نوع من النشوة.

"فكرتُ أن هذا الأمـر يعني مـشكلةً لي طالما أننا كنا وحـدنا في المكتب، هممتُ بالذهاب خلف (البرفان) وارتداء ثيابي.

"قـال هو، [لا تذهبي. لن أمـسك. أنا فـقط أحب رؤية النسـاء في ثيـاب داخليـة فـاتنة. لن أتحـرك من هنا. وإذا أردتِ أن أدفع لك أكثـر، فكل مـا عليك هو أن تلبـسي قطعـتي المفـضلة من الثـيـاب الداخليـة وتتوضـعي مدة خمس عشـرة دقـيقة. سـأمنحك خمسـة دولارات أكثر. يمكنك أن تتناوليها بنفسك، هي فوق رأسك على الرف هناك.]

" حسن، تناولتُ العلبة. كانت أجمل قطعة من الثيـاب الداخلية رأيتها طوال حياتك ـ أجمل دانتيلا سوداء، كنسيج عنكبوت حقاً، وكان السروال الداخلي مشقوقاً شقـاً طولياً من الخلف والأمـام، مشقوق وذو حاشيـة من دانتيـلا جمـيلة. كانت حمـالة الصدر فُصلتْ بطريقة مـا كي تظهر كلتا الحلمتين عبر مثلثين. ترددتُ لأنني كنتُ أسائل نفسي ما إذا كان هذا الزي لن يثير الرجل كثيراً جداً، إذا كان سيهاجمني.

"قـال، [لاتقلقي.أنا حقـيقـة لا أحبِ النسـاء. أنا لا أمـسهن. أحب فـقط الثيـاب الداخليـة. أحب فقط رؤية النسـاء في مـلابس داخلية فـاتنة. إذا حاولتُ أن ألمسكِ سأصبح عقيماً في الحال. لن أتحرك من هنا.]

" نحى جـانبـاً لوح الرسم وجلس هناك وقـضـيبـه في الخـارج. بين الحين والحين كان يهتز. أما هو فلم يتحرك من كرسيه.

"قررتُ أن أرتدي الثياب الداخلية. الدولارات الخمسة أغـوتني. لم يكنْ قـوياً جداً وشـعـرتُ أن بوسـعي الدفـاع عن نفسي. لذا وقـفتُ هناك بالسروال المشقوق بالطول، درتُ من أجله كي يراني من الجوانب كلها.

"عندئذ قـال، [هذا يكفي.]بدا غـيـر مسـتقـر وكـان وجهـه مـحتقناً.

أخبرني أن أرتدي ثيابي بعجل وأغادر. ناولني المال بسرعة كبيرة، وغادرتُ كان لي إحساس أنه كان فقط ينتظر مغادرتي كي يمارس العادة السرية. "عرفتُ رجالاً من هذا الطراز، كانوا يسرقون حذاءً من امرأة ما، من امرأة جذابة، بحيث يكون بمستطاعهم أن يحملوه ويمارسوا العادة السرية بينما هم ينظرون إليه."

ضحك الجميع على قصتها. "في اعتقادي"، قال براون، "إننا إبان طفولتنا كنا نميل ميلاً كبيراً كي نكون فتشيين [١٥] من هذا النوع أو ذاك. أتذكر أنني أختبأتُ في خزانة أمي وشعرتُ بنشوةٍ عند شمي رائحة ثيابها ولمسها بيدي. حتى يومنا هذا لا أستطيع أن أصمد أمام امرأة ترتدي خماراً أو (تولاً) أو ريشاً، لأن هذا يوقظ الأحاسيس الغريبة التي خبرتها وأنا في تلك الخزانة".

حين قال ذلك تذكرتُ كيف أنني اختبأتُ في خزانة رجل في مقتبل العمر عندما كنتُ في الثالثة عشرة لاغير، للسبب نفسه. كان في الخامسة والعشرين وعاملني كما يعامل فتاةً صغيرةً. كنتُ مغرمة به. أجلس جنبه في سيارة كان يأخذنا جميعاً فيها عبر مسافات طويلة، كنتُ أشعر بالإنتشاء لمجرد احساسي أن ساقه لصق ساقي. ليلاً أدخل في فراشي و بعد أن أطفئ الضوء، أستل صفيحةً معدنية من الحليب المكثف ثقبتُ فيها ثقباً صغيراً. أجلس في الظلام أمص الحليب الحلو بشعور شهواني يسري في خلايا جسدي كلها لا أجد له تفسيراً. فكرتُ آنئذ أن الاحساس بالعشق ومص الحليب الحلو أمران متصلان. في وقت متأخر جداً تذكرتُ هذا حين تذوقتُ السائل المنوي أول مرة.

موليي تذكرت أنها في العمر نفسه كانت تحب تناول الزنجبيل

بينما هي تشم كرات الكافور. الزنجبيل يجعل جسدها يشعر بالدفء و الضعف وكرات الكافور تجعلها دائخة قليلاً. كانت بهذه الطريقة تدخل نفسها في حالة مخدرة من نوعٍ ما، مستلقيةً هناك على مدى ساعات عدة.

إثيل التفتت إلي قائلة، "أتمنى أن لا تتزوجي رجلاً لا تحبينه جنسياً. هذا ما فعلته. أنا مغرمة بكل شيء فيه، الأسلوب الذي يتصرف به، وجهه، بدنه، طريقة عمله، أسلوب معاملته لي، أفكاره، طريقة ابتسامه، حديثه، كل شيء عدا الرجل الجنسي فيه. أعتقد أنني فعلتُ ذلك، قبل زواجنا. ليس ثمة شيء خاطئ فيه البتة. هو عاشق مثالي. هو عاطفي ورومانسي، يبدي إحساساً عظيماً واستمتاعاً كبيراً. هو رجل حساس وجدير بالحب. ليلة أمس حين كنتُ نائمةً إندس في فراشي. كنتُ نصف نائمة لذا لم أستطعْ أن أسيطر على نفسي، كدأبي، لأنني لا أريد أن أجرح مشاعره. دخل في الفراش جنبي وشرع يأخذني ببطء شديد وبطريقة متمهلة. عادةً ينتهي كل شيء بسرعة، الأمر الذي يجعلني قادرة على التحمل. لم أكنْ حتى أدعه يقبلني إذا كان بمستطاعي أن أتمالك نفسي. أمقتُ فمه حين يضعه على فمي. عادةً أشيح وجهي جانباً، وهذا ما فعلته ليلة أمس. طيب، هو ذا هناك، وماذا تعتقدين أنني فعلت؟ شرعتُ فجأةً أضربه بقبضتيّ المضمومتين، على كتفه، بينما كان يمتع نفسه، وأغرز أظافري فيه، أما هو فقد ظنها إشارة مني كوني أستمتع بمضاجعته، وجعلتني اللذة وحشية، واستمر هو. عندئذ همستُ بأوطأ صوت قدر الإمكان، [أنا أكرهك]وعندئذ سألتُ نفسي ما إذا كان سمعني. ماذا سيكون رأيه؟ هل أحس بالأذى؟ حين كان هو نفسه نعساناً

جزئياً، قبلني حصراً متمنياً لي ليلةً هانئةً حين انتهى كل شيء وعاد إلى سريره. صباح اليوم التالي كنت أنتظر ما سيقوله لي. كنتُ ما أزال أفكر أنه ربما سمعني أقول، [أنا أكرهك.]إنما لا، ربما كونتُ الكلمات من دون أن أنطق بها. وكل ما قاله هو، [كنتِ وحشية جداً البارحة، كما تعرفين]، ورسم ابتسامةً على ثغره، كما لو أن ذلك أدخل البهجة إلى قلبه."

شغل براون الحاكي (الفونوغراف) وبدأنا نرقص. الكحول القليل الذي تناولته ذهب إلى رأسي. شعرتُ بتوسع في الكون بأسره. كل شيء بدا ناعماً وبسيطاً جداً. كل شيء، الواقع، نزل إلى الأسفل مثل تل مكسو بالثلج أستطيع أن أتزلج عليه من دون بذل مجهود. شعرتُ بمودة عظيمة، كما لو كنتُ أعرف هؤلاء الأشخاص بصورة حميمية. غير أنني اخترتُ أكثر الرسامين جبناً كي أراقصه. شعرتُ أنه كان يتظاهر نوعاً ما، كما فعلتُ أنا، كي يكون معتاداً على هذا كله. أحسستُ في قرارة نفسي أنه كان مضطرباً بعض الشيء. الرسامان الآخران كانا يداعبان إثيل ومولي بينما كانوا يرقصون. أما هذا الرسام فلم تكن له الجرأة. كنتُ أقهقه مع نفسي لدى اكتشافي إياه. شاهد براون أن رسامي لم يقمْ بأي خطوة للأمام. وقاطعنا كي أرقص معه. كان يدلي بملاحظات ماكرة عن العذراوات. سا ءلتُ نفسي ما إذا كان يلمح إليّ. كيف يستطيع أن يعرف؟ ضغط بدنه على بدني وصددتُ عنه. عدتُ إلى الرسام الشاب الجبان. رسامة صور توضيحية كانت تتغازل معه، تداعبه. كان سعيداً بالقدر نفسه كوني رجعتُ إليه. هكذا رقصنا معاً، عدنا إلى جبننا. الجميع من حولنا كانوا الآن يقبلون ويطوقون أحدهم الآخر.

رسامة الصور التوضيحية خلعتْ بلوزتها وكانت ترقص بقميصها

التحتي. قال الرسام الجبان، "إذا مكثنا هنا فإننا في الحال سنستلقي على الأرض ونمارس الحب. هل تريدين أن تغادري؟"

"أجل، أريد المغادرة"، قلت.

انصرفنا. بدلاً من ممارسة الحب، جعل يتكلم، ويتكلم. كنتُ أصغي إليه في دوخان. كان يخطط لرسمي. كان يريد أن يرسمني كحورية بحر، غامضة، شفافة، خضراء، مائية عدا الفم شديد الاحمرار والزهرة شديدة الاحمرار التي كنتُ أضعها في شعري. هل أتوضع له؟ لم أستجب بعجالة شديدة بسبب تأثيرات الشراب، وقال لي باعتذار، "هل أنتِ متأسفة لأنني لم أكن جامحاً؟"

"لا، لستُ متأسفة. اخترتك بملء ارادتي، لأنني عرفتُ أنك لن تكون جامحاً."

"إنها أول حفلة أحضرها"، قال بتواضع، "وأنتِ لستِ من طراز النساء اللاتي يستطيع المرء أن يعاملهن ـ بتلك الطريقة. كيف حدث أن صرتِ موديلاً؟ ماذا كنتِ تعملين قبل هذه المهنة؟ لايتوجب على الموديل أن تكون عاهرة، كما أعرف، إنما ينبغي لها أن تتحمل الكثير من المعاملات ومحاولات الاعتداء."

"أستطيع أن أتدبر الأمور جيداً"، قلتُ، من دون الإستمتاع بهذا الحوار البتة.

"سأكون قلقاً بشأنك. أعرف أن بعض الرسامين موضوعيون خلال ساعات عملهم. أعرف هذا كله. أحسستُ هكذا في قرارة نفسي. إنما كانت هناك دوماً لحظة قبل وبعد، حين تخلع الموديل ثيابها وتلبسها، تلك المسألة تزعجني. إنها الدهشة الأولى لرؤية الجسد. ماذا أحسستِ أول مرة؟"

"لاشيء على الإطلاق. شعرتُ كما لو أنني رسم في ذلك الحين. أو تمثال. خفضتُ بصري ناظرةً إلى جسدي وكأنه شيء ما، شيء موضوعي".

تنامى حزني، الحزن المصحوب بالقلق والجوع. شعرتُ أن لاشيء سيحدث لي. شعرتُ بيأس بخصوص توقي لأن أكون امرأة، لأن أقتحم العيش. لماذا استعبدتني هذه الحاجة الماسة إلى الحب الأول؟ أين ستبدأ حياتي؟ سأدخل الإستوديوهات كلها متوقعةً أعجوبةً لن تقع أبداً. بدا لي أن مجرىً عظيماً كان يمر من حولي وأنني تركتُ. ينبغي لي أن أجد شخصاً ما شعر بشعوري ذاته. لكن أين؟أين؟

النحات كانت تراقبه زوجته، يمكنني رؤية ذلك. كانت تتردد على الستوديو كثيراً جداً، بصورة غير متوقعة. وكان هو خائفاً. لا أعرف ما الذي كان يخيفه. وجها لي الدعوة كي أقضي أسبوعين في منزلهما الريفي حيث يكون بمستطاعي الإستمرار بالتوّضع - أو بالأحرى، هي التي دعتني. قالت لي إن زوجها لايحب أن يتوقف عن العمل خلال أيام الاجازات. لكنه حالما انصرفتْ التفت لي قائلاً، "عليكِ أن تجدي عذراً كي لا تذهبي. ستجعلك تعيسةً. هي ليستْ معافاة - فلديها هواجس. هي تعتقد أن كل امرأة تتوضع لي هي عشيقتي." كانت ثمة أيام محمومة للركض من استوديو إلى استوديو بوقت قليل جداً للغداء، للتوضع لأغلفة المجلات، لرسوم توضيحية لقصص المجلات، وللإعلانات. كان بوسعي أن أرى وجهي في الأمكنة كلها، حتى في النفق. سا ءلتُ نفسي ما إذا ميزني الناس.

النحات أصبح أعز أصدقائي. بتلهف كنتُ أشاهد تمثاله الصغير

وهو يصل مراحله الأخيرة. عندئذ ذات صباح حين وصلتُ شاهدتُ أنه كان حطمه. قال لي إنه حاول أن يعمل عليه من دوني. لكنه لم يبدُ تعيساً أو قلقاً. كنتُ في غاية الحزن، وبالنسبة لي بدا ذلك شبيهاً جداً بعمل تخريبي، لأنه ظهر متلفاً بصورة خرقاء تماماً. رأيتُ أنه كان سعيداً كي يبدأ العمل من جديد.

كان ذلك في المسرح حين التقيتُ جون واكتشفتُ قدرته الصوتية. لغني صوته كنغمات أنبوب أرغن، جعلني أهتز. حين كرر اسمي وأخطأ في تلفظه، لاح لي ذلك أشبه بالمداعبة. كان أخفض، أصغى صوت سمعته في حياتي كلها. قلما استطعتُ أن أنظر إليه. عرفتُ أن عينيه كانتا كبيرتين، بزرقة عميقة، مغناطيسية، وأنه كان ضخماً، وقلقاً نوعاً ما. كانت قدمه تتحرك بعصبية كخطوات حصان السباق. شعرتُ أن وجوده جعل الأشياء الأخرى غير واضحة ـ المسرح، الصديقة الجالسة إلى يميني. وتصرف كما لو أنني فتنته، نوّمته. تابع كلامه، ناظراً إليّ، غير أنني لم أكن أصغي إليه. في لحظة واحدة لم أعدْ فتاةً يافعة. كل مرة يتحدث فيها، أشعر أنني أهوي في لولب مسبب للدوار، أهوي في شبكات صوت عذب. كان دواءً حقيقةً. حين "سرقني" أخيراً، كما قال هو، نادى مستوقفاً سيارة أجرة.

لم نقلْ كلمةً أخرى إلى أن وصلنا شقته. لم يلمسني. لم يكنْ بحاجة إلى ذلك. وجوده أثر فيّ بطريقة ما بحيث أننا شعرت كما لو أنه داعبني مدةً طويلةً جداً.

ردد إسمي مرتين حصراً، كما لو أنه ظن أن التكرار شيء جميل بصورة كافية. كان طويل القامة، متورداً. كانت عيناه عميقتي الزرقة

بصورة كبيرة بحيث أنهما حين طرفتا، على مدى ثانية كان ذلك أشبه بوميض صغير جداً من البرق، يعطي المرء إحساساً بالخوف، الخوف من العاصفة التي ستبتلع الإنسان كلياً.

بعدها قبلني. لسانه دار حول لساني، المرة تلو المرة، ثم كف عن ذلك ليمس طرفه حسب. بينما كان يقبلني رفع تنورتي ببطء. بسط أربطة جواربي، وجواربي. ثم رفعني وحملني إلى السرير. كنتُ ذائبةً جداً بحيث أنني شعرتُ أنه اخترقني في ذلك الحين. بدا لي أن صوته فتحني، فتح جسدي كله له. أدرك ذلك، ولهذا شعر بالدهشة بسبب المقاومة التي واجهها عضو ذكورته.

أقلع عن النظر إلى طلعتي. رأى الاستجابة العاطفية العظيمة، ثم ضغط بصورة أقوى. شعرتُ بالتمزق والوجع، إلا أن الدفء أذاب الأشياء كلها، دفء صوته في أذني وهو يقول، "هل تريدينني كما أريدك؟" عندئذ جعلته لذته يتأوه. ثقله كله فوقي، يضغط على جسدي، تلاشتْ قذيفة الألم. شعرتُ بسعادة أن أكون مفتوحة. رقدتُ هناك في شبه حلم.

قال جون، "آذيتك. لم تستمتعي." لم أجرؤ على القول، "إنني أريد ذلك ثانيةً." يدي لمستْ قضيبه. داعبته. انبثق إلى الأعلى، صلباً جداً. قبلني إلى أن شعرتُ بموجةٍ جديدة من الرغبة، الرغبة في الاستجابة كلياً. لكنه قال، "سوف يؤذيك الآن. انتظري قليلاً. هل يمكنك أن تبقي معي، الليلة كلها؟ هل ستبقين؟"

رأيت أن هناك دماً على ساقي. مضيتُ لأغسله. شعرتُ بأنني لم أمتلك حتى الآن، وأن هذا كان مجرد جزء بسيط من الاختراق. أردتُ أن

أمتلك وأن أتعرف على المسرات المبهرة. سرتُ بصورة غير مستقرة وهويتُ على الفراش من جديد.

كان جون نائماً، جسده الضخم مايزال منحنياً كما كان حين رقد عليّ، ذراعه مبسوطة في المكان الذي استراح فيه رأسي. اندسستُ في الفراش جنبه وشعرتُ بأنني شبه نعسانة. أردتُ أن ألمس قضيبه ثانيةً فعلتُ ذلك برفق شديد، لم أشأ أن أوقظه من نومه. بعدها نمتُ واستيقظت على قبلاته. كنا نطفو في عالمٍ مظلم من اللحم، شاعرين فقط باللحم اللدن يهتز، وكل لمسة كانت مسرة. أمسك بوركيٍّ باحكام وجذبهما نحوه. كن يخشى أن يجرحني. باعدتُ ساقيّ. عندما أدخل عضوه شعرتُ بالألم، إلا أن اللذة كانت أكبر. كان ثمة ألم قليل في الحافة الخارجية، في الجزء الأعمق، سعادة بالغة لوجود قضيبه يتحرك هناك. ضغطتُ إلى الأمام، كي ألاقيه.

هذه المرة كان كسولاً. قال، "أنت تتحركين، أنتِ تستمتعين الآن." كي لا أشعر بالألم، تحركت برفق حول قضيبه. وضعتُ قبضتيّ المضمومتين تحت ظهري كي أرفع نفسي نحوه. وضع ساقيَ حول كتفيه. عندئذ أصبح الألم أعظم وسحب عضوه.

تركته صباحاً، دائخة، إنما مع سعادة جديدة ناجمة عن شعوري بأنني أقترب رويداً رويداً من الهيام. قصدتُ منزلي ونمتُ إلى أن اتصل بي هاتفياً.

"متى تأتين؟" قال. "يجب أن أراكِ ثانيةً. حالاً. هل تتوضعين اليوم؟"

"أجل. يجب عليّ. سآتي بعد التوضع."

"من فضلكِ لا تتوضعي" ، قال، "أرجوك لا تتوضعي. أشعر باليأس عند التفكير به. تعالي وقومي بزيارتي أولاً. أود أن أتحدث إليك. أرجوك تعالي وقومي بزيارتي أولاً.

مضيتُ إليه. "أو"، قال، حارقاً وجهي بنفَس رغبته، " لا أطيق التفكير بكونك تتوضعين الآن، عارضةً نفسك. لا تستطيعين أن تفعلي ذلك بعد الآن. عليكِ أن تجعليني أعتني بك. لا أستطيع أن أتزوجك لأن لي زوجة وأطفالاً. دَعيني أتولى رعايتك إلى أن نعرف كيف نستطيع الفرار. دعيني أجد مكاناً صغيراً حيث يكون بمستطاعي المجيء ورؤيتك. يجب أن لا تتوضعي. أنتِ عائدة لي."

هكذا دخلتُ حياةً سريةً، وعندما كان من المفروض أن أتوضع لأي فرد آخر في العالم، كنتُ في الحقيقة انتظر جون في حجرة جميلة. كل مرة يأتي فيها، كان يجلب هديةً، كتاباً، قرطاسية ملونة لي كي أكتب عليها. كنتُ أنتظر، قلقةً.

الشخص الوحيد الذي توصل إلى السر هو النحات لأنه فهم ماكان يجري. لم يكنْ ليسمح لي بالتوقف عن التوضع، وطرح عليَّ الأسئلة. توقع كيف ستكون حياتي.

أول مرة شعرتُ بها بالنشوة الجنسية مع جون، بكيت لأنها كانت جد قوية وجد رائعة بحيث أنني لم أعتقد أنها يمكن أن تحدث المرة تلو المرة. اللحظات الموجعة هي فقط تلك التي يقضيها المرء في الانتظار. أحمم نفسي، أفرش الطلاء اللامع على أظافري، أعطر نفسي، أصبغ حلمتيّ بأحمر الشفاه، أمشط شعري، أرتدي المبذل (١٦)، وأقوم بكل التحضيرات التي تحوّل خيالي إلى المشاهد التي ستقع.

كان يروق لي أن يجدني في الحمام. يقول إنه كان في طريقه. لكنه لايصل. كان يتأخر عادةً. وقت وصوله أكون باردة، مستاءة. الانتظار أرهق أحاسيسي. أثور. ذات مرة لم أشأ الرد حين قرع جرس الباب. عندئذ قرع برفق، بتذلل، وهذا ما أثر فيّ، لذا فتحت الباب. بيد أنني كنت غاضبة وأردتُ أن أجرحه. لم أستجبْ لقبلته. كان مجروحاً إلى أن دس يده تحت مبذلي ووجدني رطبة، بالرغم من حقيقة كوني ضممت ساقيّ بإحكام. استعاد سروره وشق طريقه بقوة.

بعدها عاقبته من خلال عدم الاستجابة جنسياً وأحس بالأذى ثانيةً، لأنه كان يستمتع بنشوتي. كان يعرف من خلال تقلص ساقيّ، كيف استمتعتُ به. وهذه المرة إضطجعتُ كالمومس. هذا الأمر حقيقة سبب له الأذى. لم يكن بمستطاعنا أن نخرج معاً. كان مشهوراً جداً، وكذلك زوجته. كان مخرجاً مسرحياً، أما زوجته فكاتبة مسرح.

حين اكتشف جون كيف يجعلني انتظاره غاضبة، لم يحاول أن يعالج الموقف. كان يتأخر أكثر فأكثر. كان يقول إنه سيصل الساعة العاشرة وبعدئذ يصل عند منتصف الليل. وهكذا، ذات يوم، اكتشفت أنني لم أكن هناك حين وصل. هذا الأمر جعله في حالة جنون مؤقت. حسب أنني لن أرجع إليه. أحسستُ أنه كان يفعل ذلك بتعمد، كان يروق له أن أكون غاضبة. بعد يومين إلتمس إليّ ورجعتُ. كان كلانا متوتر الأعصاب وغاضباً. قال، "رجعتِ إلى التوضع. إنتِ تحبين التوضع. يطيب لك أن تظهري نفسك."

"لماذا تجعلني أنتظر مدةً طويلةً جداً؟ أنتَ تعرف أن ذلك يقتل توقي إليك. أحاسيسي تبرد حين تأتي متأخراً."

"هي لاتبرد كثيراً"، قال.

ضممتُ ساقيّ بإحكام في مواجهته، لم يستطعْ حتى لمسي. لكنه بعدها اندس بسرعة من الخلف ولاطفني. "أحاسيسك لا تبرد كثيراً"، قال. على السرير دفع ركبته بين ساقيّ وفتحهما عنوةً. "عندما تكونين غاضبة" ، قال، "اشعر أنني أغتصبك. أشعر وقتذاك أنك تحبينني حباً جماً بحيث أنك لا تستطيعين مقاومتي، أرى أنك مبللة، وأحب مقاومتك وهزيمتك أيضاً."

"جون، ستجعلني غاضبةً جداً بحيث أنني سأهجرك."

عندئذ أحس بالخوف. قبلني. وعدني أن لايكرر هذا.

مالم أستطع أن أفهمه هو، بالرغم من خصوماتنا، بعد أن ضاجعني جون أصبحتُ حساسةً أكثر. أوقظ هو جسدي. الآن أملك حتى توقاً أعظم لأن أسلّم نفسي للنزوات كلها. لابد أنه عرف ذلك، لأنه كلما داعبني أكثر، أوقظني أكثر، كان يخاف أكثر من احتمال عودتي إلى التوّضع. ببطء، عدتُ لي متسع كبير من الوقت لنفسي، كنتُ وحيدةً جداً مع أفكاري المتعلقة بجون.

كان ميلارد سعيداً بنحو واضح لدى رؤيته لي. لابد أنه حطم التمثال الصغير ثانيةً، عرفتُ ذلك الآن عمداً، إذاً كان بمستطاعه أن يبقيني في الوضع الذي يريده.

ليلة أمس، دخن الماريجوانا مع ثلة من الأصدقاء. قال لي، "هل تعرفين أنها في كثير من الأحيان تمنح الناس شعوراً بأنهم تحولوا إلى حيوانات؟ البارحة كانت ثمة امرأة استحوذ عليها هذا التحول كلياً. هوتْ على يديها وركبتيها وجعلتْ تدور كالكلبة. خلعنا عنها ثيابها.

كانت تريد أن تهب حليباً. كانت تريدنا أن نتصرف كالجراء، نتمدد باسطين أذرعنا وأقدامنا ونرضع ثدييها. لبثتْ على يديها وركبتيها ومنحتْ ثدييها لنا جميعاً. كانت تريدنا أن نمشي كالكلاب ـ خلفها. كانت تصر على أن نمتلكها في هذا الوضع، من الخلف، وفعلتُ هذا، لكنني عندئذ كنتُ ميالاً ميلاً شديداً لأن، أعضها بينما كنتُ أجثم فوقها. عضضتُ كتفها أقوى من كل عضاتي للآخرين في أي وقت مضى. المرأة لم تخشَ شيئاً. فعلتُ هذا. فعلتي هذه صحتني من سُكري. قمتُ وعندئذ رأيتُ أن صديقاً لي كان يتبعها على يديه وركبتيه، لم يكنْ يلاطفها أوتمتلكها، كان يتشممها حصراً كما يفعل الكلب بالضبط، وهذا ذكرني كثيراً جداً بإنطباعي الجنسي الأول، الأمر الذي وهبني إحساساً موجعاً.

"حين كنا صغاراً كانت عندنا خادمة ضخمة البدن في الريف أقبلت من جزر المارتينيك. كانت ترتدي تنورات فضفاضة ومنديلاً ملوناً على رأسها. كانت خلاسية (١٧) شاحبة نوعاً، آية في الجمال. كنت تجعلنا نلعب [الغمضية.]حين جاء دوري في الإختفاء جعلتني أختبئ تحت تنورتها، جالساً. هو ذا أنا، نصف مختنق، مختبئاً بين ساقيها. أتذكر الرائحة الجنسية المنبعثة منها التي أثارتني حتى وأنا صبي. ذات مرة حاولتُ أن ألمسها، لكنها صفعتْ يدي."

كنتُ أتوضع بهدوء وأقبل إليّ كي يقيسني بأداة ما. ثم شعرتُ بيده على فخذيّ، مداعباً إياي برقة شديدة. ابتسمتُ له. كنتُ واقفة على موقف الموديل، وكان يداعب ساقيّ الآن، كما لو أنه يصوغ نموذجاً لي من الصلصال. قبل قدميّ، مرر يديه على ساقيّ المرة تلو المرة، وحول

مؤخرتي. استند على ساقيّ وقبلني. رفعني وأنزلني إلى الأرض. ضمني بقوة إليه، مداعباً ظهري وكتفيّ وعنقي. ارتعدتُ قليلاً. كانت يداه ناعمتين وطريتين. لمسني كما لمس التمثال الصغير بمداعبة كبيرة، في كل أنحاء جسدي.

ثم سرنا نحو الأريكة. أرقدني هناك على بطني. خلع ملابسه وارتمى فوقي. شعرتُ بقضيبه على إليتيّ. دس يديه حول خصري ورفعني قليلاً بحيث يكون بوسعه أن يثقبني. رفعني إليه بصورة إيقاعية. أغمضتُ عينيّ كي أشعر به أكثر وكي أستمع إلى صوت القضيب المنزلق داخل وخارج الرطوبة. كان يدفع بضراوة كبيرة بحيث كان قضيبه يبعث قرقعات صغيرةً جداً أدخلتْ البهجة إلى فؤادي.

أصابعه غاصتْ في جسدي. كانت أظفاره حادة ومؤذية. أثارني كثيراً جداً بطعناته القوية بحيث كنتُ أفتح فمي وأعض غطاء الأريكة. بعدها في الوقت نفسه سمع كلانا صوتاً. نهض ميلارد بسرعة، التقط ثيابه وصعد السلم إلى الشرفة حيث كان يحفظ منحوتاته. تسللتُ خلف (البرفان). كانت هناك قرعة ثانية على باب الأستوديو، ودخلتْ زوجته. كنتُ أرتعد، ليس خوفاً، بل بسبب الصدمة من كوني توقفتُ في منتصف استمتاعنا. زوجة ميلارد رأت الأستوديو خالياً وغادرتْ. خرج ميلارد مرتدياً ثيابه. قلتُ، "انتظرني قليلاً"، وبدأت ألبس ثيابي أيضاً. دُمرتْ اللحظة. كنتُ ما أزال مبللة وأرتجف. حين لبستُ سروالي الداخلي بسرعة لمسة الحرير أثارتني كما لو كانت يداً. لم أعد قادرة على تحمل التوتر والرغبة الجنسية. وضعتُ يديّ فوق فرجي كما فعل ميلارد وضغطت عليه، مغمضةً عينيّ ومتخيلة أن ميلارد كان يداعبني. وبلغتُ الذروة، مهتزة من الرأس إلى القدم.

ميلارد أراد أن يكون معي ثانيةً، إنما ليس في الأستوديو العائد له حيث من الجائز أن تباغتنا زوجته، لذا جعلته يجد مكاناً آخر كان يعود إلى أحد أصدقائه. كان السرير موضوعاً في فجوة عميقة في الجدار. وكانت هناك مرايا فوق السرير ومصابيح صغيرة ضعيفة الإضاءة. ميلارد أراد أن تُطفأ الأضواء كلها، قال إنه يريد أن يكون في العتمة معي.

"رأيتُ جسدكِ وأعرفه جيداً جداً، الآن أريد أن أتحسسه، وعيناي مغمضتان، لمجرد أن أشعر بالجلد وبطراوة الجسد. ساقاك متينتان وقويتان جداً، لكنهما ناعمتا الملمس. أحب قدميك مع الأصابع حرة ومتباعدة كأصابع اليد، ليستْ مقيدة - وأظافر القدمين مطلية بصورة غاية في الجمال - والزغب على ساقيك."

مرر يده فوق بدني كله، برفق، ضاغطاً بها على الجسد، متحسساً تضاريسه وتعاريجه كلها. "إذا لبثت يدي هنا بين ساقيكِ"، قال، "هل تشعرين بها، هل تحبينها، هل تريدينها أقرب؟"

"أقرب، أقرب"، قلتُ.

"أود أن أعلمك شيئاً ما"، قال ميلارد، "هل تودين أن تجعليني أفعله؟"

أدخل إصبعه في فرجي. "الآن، أريدك أن تقلصي حول إصبعي. ثمة عضلة هناك يمكن جعلها تتقلص وتنبسط حول القضيب. حاولي."

حاولتُ. كان إصبعه يدنو ويبتعد بصورة متواصلة. بما أنه لم يكن يحركه، جربت أن أحرك باطن رحمي، وشعرتُ بالعضلة التي ذكرها، بصورة ضعيفة في بادئ الأمر، تفتح وتغلق حول الإصبع.

قـال مـيـلارد، "نعم، هكذا. أفـعلي هذا بصـورة أقـوى، أقـوى." هكذا فعلتُ، أفـتح، أغلق، أفـتح، أغلق. كـان هناك أشبـه بفم صـغـيـر في الداخل، يضيّق حول الإصبع. أردتُ أن أدخله، أمصه وهكذا تابعتُ المحاولة.

عندئذ قـال مـيلارد إنه سيـدخل عـضوه ولن يتـحرك ويجب عليّ أن أستـمر في تحريـك البـاطن. جـربتُ بقـوة أكـثـر فـأكـثـر أن أقـبـض عليـه بإحكام. الحـركـة كـانت تثـيـرني، وأحـسـستُ أنني في أي لحظة ربما أصل هزة الجـمـاع، لـكنني بعـد أن قـبـضـتُ عليـه بإحـكـام مـرات عـدة، مـاصـةً قضيبه إلى الداخل، فجأةً تأوه بإنتشاء وسعادة وشرع يدفع بسرعة، طالما أنه لم يستطع أن يكبح هزة الجماع. تابعتُ الحركة الداخلية وشعرتُ بهزة الجماع، أيضاً، بطريقة جد عميقة ورائعة، في الباطن العميق من الرحم.

قال، "هل حدث أن أراكِ جون هذا؟"

"لا."

"ماذا أراك؟"

"هذا"، قلتُ. "أنتَ تركع فوقي وتدفع."

أذعن ميلارد. قضيبه لم يكنْ يملك القوة الكبيرة، إذ لم تمضِ سوى لحظات على ذروته الجنسيـة الأولى، لكنه دسه في فرجي، دفعـه بيده. ثم تناولتُ وداعبتُ بيديَ الإثنتين الخصيـتين ووضعتُ إصبـعين عند قـاعدة العضو ودعكتُ بينما كان يتحرك.

أستثير مـيلارد حالاً، تصلب قـضيبه، وشرع يتـحرك إلى الداخل والخارج من جديد. ثم أوقف نفسه.

"يجب أن لا أكـون كـثـيـر المطالب"، قـال بنبـرة غـريبـة. "سـتكونين مرهقةً حين ينام معك جون."

استلقينا واسترحنا، مدخنين السجائر. كنتُ أسائل نفسي ما إذا شعر ميلارد بأكثر من الرغبة الحسية، ما إذا كان حبي لجون أرهقه. لكن بالرغم من أنه كان هناك دوماً مغزى مؤذٍ لكلماته، واصل طرح أسئلته عليّ.

"هل امتلكك جون اليوم؟ هل امتلكك أكثر من مرة؟ كيف امتلكك؟" في الأسابيع اللاحقة، علمني ميلارد أشياءً عديدةً لم أفعلها مع جون، وحالما تعلمتها جربتها مع جون. في الختام أمسى الأخير نزاعاً إلى الشك في ما يتعلق بالمكان الذي تعلمتُ فيه الأوضاع الجنسية الجديدة. كان يعرف أنني لم أمارس الحب قبل لقائي به. أول مرة شددتُ فيها عضلاتي كي أقبض على عضو ذكورته بإحكام، شعر بالذهول.

العلاقتان السريتان صارتا أمراً صعباً بالنسبة لي، لكنني استمتعتُ بالخطر والقوة.

ليليت

كانت ليليت باردة جنسياً، وكان زوجها نصف عارف بهذه المسألة، بالرغم من مزاعمها. أدى هذا إلى الحادثة الآتية.

لم تكنْ هي تتناول السكر لأنها لم تشأ أن تكون أكثر بدانةً مما هي عليه، واستخدمتْ بديلاً عن السكر، وهي حبوب بيض متناهية الصغر كانت تحملها في حقيقتها اليدوية طوال الوقت. ذات يوم نفدتْ هذه الأقراص وطلبتْ من زوجها أن يبتاع لها شيئاً منها في طريق أوبته إلى المنزل. لذا جلب لها قنينةً صغيرة أشبه بتلك الأقراص التي طلبتها، ووضعتْ قرصين في كوب قهوتها بعد الغداء.

كانا جالسين معاً هناك وكان هو يتطلع إليها بتعبير من التسامح اللطيف، الذي كان يمتلكه عادةً في مواجهة إنفجاراتها العصبية، أزماتها، أزمات الأنانية، لوم الذات، الرعب. في مواجهة كل سلوكها المفاجئ كان يستجيب بدعابة جيدة غير متذبذبة وبالصبر كانت دوماً تثور وحيدةً، تغضب وحيدةً، تقوم بجيشانات عاطفية هائلة لم يشارك فيها. في الأرجح كان هذا رمزاً للتوتر الذي لم يحصل بينهما جنسياً. رفض هو كل تحدياتها وحربها البدائية، الضارية، رفض هو أن يدخل ميدان التنافس العاطفي هذا معها واستجاب لحاجتها من الغيرة،

المخاوف، المعارك. أغلب الظن إذا تبنى تحدياتها ولعب المباريات التي ودتْ أن تلعبها، فلربما شعرتْ عندئذ بوجوده بمزيد من التأثير الجسدي. غير أن زوج ليليت لايعرف المقدمات المؤدية إلى الرغبة الحسية، لايعرف أياً من المنبهات التي تتطلبها طبيعات غاب معينة، وهكذا، بدلاً من أن يرد عليها حينما رأى شعرها وهو يغدو مكهرباً، وجهها أكثر اشراقاً، عيناها أشبه بالبرق، جسدها قلقاً ومتشنجاً كجسد حصان السباق، تراجع خلف جدار الفهم الموضوعي هذا، خلف هذه المضايقة الرقيقة والقبول بها (أي ليليت)، مثلما يرى المرء حيواناً في حديقة الحيوان ويبتسم لأفعاله الغريبة، إلا أنه لايكسب رضاه. هذا هو الذي جعل ليليت في حالة عزلة ـ الواقع كحيوان بري في صحرا ء تامة.

حين كانت تثور وترتفع حرارتها، لايُرى زوجها في أي مكان. كان أشبه بسماء لطيفة يتطلع إليها من علٍ وينتظر ثورة غضبها تنهي نفسها. إذا ظهر هو، مثل حيوان بدائي بالدرجة ذاتها، في الطرف الآخر من هذه الصحراء، مواجهاً إياها بالتوتر المكهرب نفسه لـ الشعر، الجلد، والعينين، إذا ظهر بجسم الغاب نفسه، واطئاً بثقل وراغباً بحجة ما كي يقفز، يطوّق بغضب، يتحسس دفء وقوة خصمه، عندئذ ربما يتدحرجان معاً وتصبح العضات من ضرب آخر، والقتال ربما يتحول إلى عناق، وشد الشعر ربما يجعل فميهما يجتمعان، أسنانهم تجتمع، لسانيهما يجتمعان معاً. وتعبيراً عن الغضب أعضاؤهما الجنسية ربما تحتك بعضها ببعض، مثيرةً شرارات كهربائية، والجسدان يتوجب عليهما أن يدخلا أحدهما الآخر كي ينهيا هذا التوتر المرعب. وهكذا جلس الليلة وهذا التعبير باد في عينيه، وكانت هي جالسة تحت المصباح تصبغ بإهتياج شيئاً ما كما

لو أنها بعد أن تصبغه سوف تلتهمه كلياً. عندئذ قال هو، "أنت تعرفين، أن ذلك لم يكنْ سكراً الذي جلبته لك والذي تناولته للغداء. إنه ذباب اسباني، مسحوق يجعل المرء شهوانياً."

ذُهلتْ ليليت. "وأعطيتني إياه كي أتناوله؟"

"نعم، أردتُ أن أرى كيف سيؤثر فيك، حسبتُ أنه ربما يكون ساراً جداً لكلينا."

"أو، بيلي"، قالت، "يالهامن حيلة تريد أن تلعبها عليّ. وأنا وعدتُ مابيل أننا سوف نذهب إلى دار السينما معاً. لا أستطيع أن أخيب أملها. كانت مسجونة في البيت طوال الأسبوع. أفترض أنه سيبدأ التأثير بي وأنا في صالة السينما."

"حسن، إذا كنتِ وعدتها، عليك إذاً أن تذهبي. لكنني سأنتظرك."

هكذا، في حالةٍ من العمى والتوتر الشديد، مضتْ ليليت لتأخذ مابيل. لم تجرؤ على الاعتراف بما فعله بها زوجها. تذكرت كل القصص التي سمعتها عن الذباب الإسباني. في القرن الثامن عشر في فرنسا، كان الرجال يستخدمونه كثيراً. تذكرت قصة رجل أرستقراطي الذي، في عمر الأربعين، عندما كان متعباً قليلاً في ذلك الحين من المضاجعات المواظبة لكل النساء الفاتنات في عصره، وقع بصورة ضارية جداً في هوى راقصة كان سنها لا يتجاوز العشرين بحيث أنه أمضى ثلاثة أيام وليال معها كاملة في اتصال جنسي - بمساعدة الذباب الإسباني. حاولتْ ليليت أن تتصور كيف يمكن أن تكون هذه التجربة، كيف يمكن أن تستحوذ عليها في لحظة غير متوقعة وأنها يجب أن تهرع إلى البيت

وتقترف برغبتها لزوجها.

عندما جلستْ في الصالة المعتمة، لم تستطع رؤية الشاشة. كان رأسها في دوامة من التشوش الكامل، جلستْ مشدودة الأعصاب على حافة مقعدها، محاولةً أن تتحسس تأثيرات العقار. سحبتْ نفسها إلى الأعلى بطفرة حين لاحظتْ أولاً أنها كانتْ تجلس وساقاها منفرجتان كثيراً، تنورتها مرفوعة للأعلى فوق ركبتها.

فكرتْ أن هذا تعبيرعن إنفعالها الجنسي المتنامي في تلك الآونة. حاولتْ أن تتذكر ما إذا حدث أن جلستْ من قبل في هذا الوضع في صالة السينما. عدتْ الساقين المتباعدتين كونه أكثر الأوضاع فحشاً التي يمكن أن تتصورها، وأدركتْ أن الشخص الجالس في الصف الذي أمامها، الذي كان موضوعاً في مستوى منخفض جداً، سيكون قادراً على رؤية تنورتها ويمتع نفسه بمشهد سروالها التحتي الأنيق الجديد وأربطة الجوارب الحديثة التي ابتاعتها ذلك اليوم تحديداً. بدا كل شيء وكأنه تآمر من أجل ليلة اللهو المعربد هذه. بدهياً لابد أنها تنبأتْ بذلك حين مضتْ لتشتري لنفسها السروال الداخلي مع كشكش دانتيلا جميل عليه، وأربطة جوارب بلون قرنفلي عميق، كانت تناسب كثيراً ساقيها الملساوين الشبيهتين بساقي راقصة.

ضمتْ ساقيها بغضب. فكرت أن هذا المزاج الجنسي الجامح إذا ما هيمن عليها وقتذاك حسب، فإنها لن تعرف ما الذي ستفعله. هل ستنهض فجأة وتقول إنها تعاني من الصداع وتغادر الصالة؟ أم أنها ستستدير إلى مابيل - مابيل كانت تعبدها. هل ستجرؤ على الإستدارة إلى مابيل وتداعبها. سمعتْ أن نساءً يداعبن إحداهن الأخرى في صالات

السينما. إحدى صديقاتها كانت تجلس هكذا في عتمة الصالة، وبطء شديد يد مرافقتها فكتْ الفتحة الجانبية لتنورتها، دستْ يداً إلى فرجها وداعبتها زمناً طويلاً إلى أن وصلتْ الذروة. كم مرة هذه الصديقة كررت بهجة الجلوس من دون حراك، مسيطرةً على النصف العلوي من بدنها، جالسةً باستقامة ومن دون حراك، بينما كانت ثمة يد تداعب في الظلام، سراً، برفق، بغموض. هل هذا هو مايحدث لـ ليليت الآن؟ لم يسبق لها أن داعبت امرأة. كانت تفكر مع نفسها غالباً كم هو شيء عجيب حتماً أن تداعب امرأة، استدارة المؤخرة، طراوة البطن، ذلك الجلد الناعم، الأملس بصورة خاصة الكائن بين الساقين، وحاولتْ أن تداعب نفسها في فراشها في الظلام، لمجرد أن تتصور كيف يمكن أن تشعر حين تلامس امرأة. كانت عادةً تداعب ثدييها، متخيلةً أنهما ثديا امرأة أخرى.

مغمضة عينيها الآن، تذكرتْ جسم مابيل في زي السباحة، مابيل بثدييها المدورين جداً ينبثقان تقريباً من زي السباحة، وبفمها الغليظ، الضاحك ضحكاً رقيقاً. كم سيكون ذلك مدهشاً! لكن مع ذلك، بين ساقيها هي، لم يكنْ ثمة دفء من تلك الطبيعة التي تجعلها تفقد السيطرة وتمد يدها إلى مابيل. الحبوب لم تؤثر فيها بعد. كانت معتدلة البرودة، وحتى مقيدة، في ما بين ساقيها؛ كان هناك ضيق، توتر. لم تستطع أن تسترخي. إذا مستْ مابيل الآن، فإنها لا تستطيع أن تتبع لمستها هذه بإيماءة أكثر جرأة. هل كانت مابيل ترتدي تنورةً مثبتة بإحكام عند الجانب، هل كانت مابيل ترغب بأن تُداعب؟ ليليت أصبحتْ متململة أكثر فأكثر. كل مرة تنسى نفسها، ساقاها تنبسطان متباعدتين من جديد، في ذلك الوضع الذي بدا لها فاحشاً جداً، مغرياً جداً، كتلك

الإيماءات التي شاهدتها عند الراقصات الباليـنيات، باسطة إياهما بعيداً عن الفرج، تاركةً إياه غير مستور.

الفيلم انتهى. ليليتْ قادت سيارتها بصمت عبر الطرق المظلمة. ضوء المصابيح الأمامية وقع على سيارة متوقفة عند جانب الطريق وفجأةً شاهدتْ رجلاً وامرأة لم يكونا يتعانقان بالطريقة العاطفية المألوفة. كانت المرأة جالسة على ركبتي الرجل وظهرها إليـه، كان رفع نفسه بتوتر نحوها، جسده كله في وضع رجل يصل الذروة الجنسية. كان في حالةٍ لم يستطع فيها أن يتوقف عندما وقعتْ الأضواء عليه. بسط نفسه بتوتر كي يشعر بالمرأة الجالسة فوقه، أما هي فتحركتْ كفرد نصف مغمى عليه من اللذة.

تلهفتْ ليليت لدى رؤيتها المشهد، وقالت مابيل، "نحن بالتأكيد ضبطناهما في أفضل لحظة." وقهقهتْ. إذاً عرفتْ مابيل هذه الذروة التي لم تعرفها ليليت وتريد أن تعرفها. ودتْ ليليت أن تسألها، "كيف تكون هي؟" لكنها ستعرف حالاً. ستكون مكرهة على إطلاق سراح كل تلك الرغبات التي تم تجريبها عادةً في الفانتازيات فقط، في أحلام يقظة طويلة الأمد ملأت ساعاتها حين كانت وحيدة في المنزل. كانت تجلس تصبغ وتفكر: الآن رجل أنا مغرمة به يدخل. يدخل الغرفة ويقول، "دعيني أخلع ثيابك." زوجي لم يخلع ثيابي من قبل - يخلع ثيابه بنفسه ومن ثم يدخل الفراش وإذا كان يشتهيني يطفئ الضوء. إلا أن هذا الرجل سيأتي وينضو عني ثيابي برفق، قطعةً إثر قطعة. هذا يمنحني وقتاً طويلاً جداً كي أتحسسه، يداه تلامس جسدي. سوف يرخي الحزام أولاً ويلمس خصري بيديه قائلاً، "يا للخصر الجميل هذا الذي تملكينه، يا

لانبعاجه، ياله من رشيق." وبعدها يفتح أزرار كنزتي ببطء شديد، وسأشعر بيديه تحل كل زر وتمس ثديي شيئاً فشيئاً، إلى أن يندلقا من البلوزة، وبعدها يلاطفهما ويمص الحلمتين كالطفل الرضيع، يؤذيني قليلاً بأسنانه، وسأشعر بهذا كله يسري في أوصال جسدي كلها، يرخي كل عصب صغير مشدود ويذيبني. يضيق ذرعاً بالتنورة، يمزقها قليلاً. سيكون في حالة رغبة شديدة. سوف لن يطفئ النور. سوف يواصل تطلعه إليّ بهذه الرغبة، معجباً بي، عابداً إياي، مدفئاً جسدي بيديه، ينتظر إلى أن أُستثار كلياً، كل جزء صغير من جلدي. هل بدأ الذباب الإسباني يؤثر فيه؟ لا، كانت واهنة، وخيالها الجامح يبدأ من جديد، المرة تلو المرة ـ إنما كان هذا كل شيء. مع ذلك، مشهد الرجل والمرأة في السيارة، حالة إنتشائهما الجنسي، كانت شيئاً ما تريد أن تعرفه.

حين وصلت المنزل كان زوجها يقرأ. رفع بصره وابتسم لها بصورة عابثة. لم تشأ أن تعترف أنها لم تتأثر. كانت تشعر بخيبة أمل عميقة في نفسها. يالها من امرأة باردة، لاشيء يؤثر فيها ـ حتى هذا الذي جعل نبيلاً في القرن الثامن عشر يمارس الجنس ثلاث ليال وثلاثة أيام من دون توقف. يالها من مخلوقة شاذة. حتى زوجها يجب أن لايعرف. سوف يضحك عليها. في الختام سوف يبحث عن امرأة أكثر حساسية.

لذا بدأتْ تخلع ثيابها أمامه، تمشي جيئةً وذهاباً نصف عارية، تمشط شعرها أمام المرآة. لم يكنْ من دأبها أن تفعل ذلك. لم تشأ أن يشتهيها. لم تستمتعْ بالأمر. كان شيئاً يؤدى بسرعة، من أجله هو. بالنسبة لها كانت تضحية. اهتياجه واستمتاعه اللذان لم تتقاسمهما معه كانا بالنسبة لهما مثيرين للإشمئزاز بعض الشيء. شعرت أنها أشبه

ببغي تتسلم المال لقاء هذا. كانت هي بغياً من دون مشاعر، ومقابل حبه وتفانيه سوف تقذف بقوة هذا الجسد الفارغ، عديم الإحساس إليه. شعرتْ بالخجل من كونها هامدة الجسد بدرجة كبيرة.

لكنها حين اندست أخيراً في الفراش، قال، "لا أعتقد أن الذباب الإسباني أثر فيك بدرجة كافية. أشعر بالنعاس. أنت توقظينني إذا..." حاولت ليليت أن تغفو، إلا أنها طوال الوقت كانت تنتظر أن تغدو جامحة من جراء الرغبة. بعد ساعة نهضتْ ومضتْ إلى الحمام. أخذتْ الأنبوب الصغير معها، وتناولتْ نحو عشر حبات. "هذا سوف يؤثر الآن." وانتظرتْ. أثناء الليل جاء زوجها واندس في سريرها. إلا أنها كانت مشدودة جداً في ما بين ساقيها بحيث لن تنبعث أي رطوبة، ويتوجب عليها أن تبلل عضوه باللعاب. صباح اليوم التالي استفاقتْ باكيةً. سألها زوجها. أخبرته الحقيقة. عندئذ قهقه هو. "لكن ليليت، كانت تلك مزحة التي لعبتها عليك. لم يكن ذاك ذباباً اسبانياً على الاطلاق. هي مجرد مزحة لعبتها عليك." إنما من تلك اللحظة ظلتْ ليليت مسكونة بفكرة أنه ربما توجد طرق لإثارة نفسها صناعياً. جربتْ كل الصيغ التي سمعتْ عنها. جربتْ إحتساء أكواب كبيرة من الشوكولاته مع كمية كبيرة من الفانيللا فيها. جربت تناول الأبصال. الكحول لم يؤثر فيها كما أثر في أناس آخرين، لأنها كانت متيقظة ضده منذ البداية. لم تستطع أن تنسى نفسها.

سمعتْ عن كرات صغيرة استخدمت كعقار مثير للشهوة الجنسية في جزر الهند الشرقية. لكن كيف السبيل للحصول عليه؟ أين يمكنها أن

تسأل عنها؟ النساء في الهند الشرقية يولجنها في داخل المهبل. هي مصنوعة من مطاط لين جداً ذي سطح أملس أشبه بالجلد. حين يتم إيلاجها في الفرج تشكل نفسها على وفق شكله وبعدها تتحرك مع حركة المرأة، تشكل نفسها (أي الكرات) بصورة حساسة مع كل حركة من حركات العضلات، مسببةً دغدغةً مثيرةً أكثر من دغدغة القضيب أو الإصبع. كان يطيب لـ ليليت أن تجد واحدةً من هذه الكرات الصغيرة، وأن تحفظها في داخل فرجها ليلاً ونهاراً.

ماريان

سأدعو نفسي مديرة بيت الدعارة الأدبي، مديرة عصبة من الأدباء الجياع الذين كانوا ينتجون ايروتيكا ليبيعوها إلى "جامع كتب". كنتُ أول من كتب، ويومياً أسلّم عملي إلى امرأة شابة كي تطبعه طباعةً نظيفة.

هذه المرأة الشابة، ماريان، كانت رسامة،وفي الأمسيات كانت تطبع لتكسب رزقها. كانت لها هالة ذهبية من الشعر، عينان زرقاوان، وجه مستدير، وثديان متينان ممتلئان، غير أنها كانت تميل إلى إخفاء إكتناز جسدها بدلاً من أن تبرزه للعيان، تخفيه تحت ثياب بوهيمية لاشكل لها، سترات مهلهلة النسيج، تنورات طالبة مدرسة، معاطف مطرية. أقبلتْ هي من مدينة صغيرة، كانت طالعتْ بروست، كرافت ـ إيبنغ، ماركس، فرويد.

و بطبيعة الحال، كانت لها مغامرات جنسية عديدة، إنما كانت هناك مغامرة لايشترك فيها الجسد حقيقةً. كانت تخدع نفسها. كانت تعتقد أنها، كونها رقدتْ مع الرجال، داعبتهم، وفعلتْ كل الإيماءات المفروضة، جربتْ الحياة الجنسية.

غير أن هذا كله كان سطحياً. الواقع أن جسدها كان فاقد الحس،

غير متبلور، لم ينضجْ بعد. لم يمسها شيء مساً عميقاً جداً. هي ما تزال عذراء. كان بوسعي أن أشعر بذلك حين دخلت الغرفة. ليس أكثر من جندي يريد أن يعترف بأنه كان خائفاً، كانت ماريانا تود أن تعترف بأنها كانت باردة جنسياً، فاترة العاطفة. غير أنها خضعتْ للتحليل النفسي. لم أتمالك نفسي من التساؤل، حينما أعطيتها الإيروتيكا العائدة لي كي تطبعها، كيف ستؤثر فيها. فضلاً عن الجسارة الفكرية، الفضول كان في داخلها حشمة جسدية كافحتْ كفاحاً مستميتاً كي لا تظهرها، وانكشفت لي بالمصادفة من خلال الاكتشاف أنها لم تأخذ حماماً شمسياً وهي عارية، وأن فكرة الحمام الشمسي بعينها أدخلتْ الرعب إلى فؤادها. ما تذكرته بصورة دائمة هو مساء ما مع رجل لم تستجب له في بادئ الأمر، وفي ما بعد، بينما كان يهم بمغادرة الاستوديو، عصرها بقوة على أحد الجدران، رفع احدى ساقيها، واندفع في داخلها. الشيء الغريب هي أنها آنئذ لم تشعرْ بأي شيء على الإطلاق، إنما في ما بعد، كل مرة تتذكر فيها هذه الصورة، تغدو شهوانية وضجرة. ساقاها تسترخيان، كانتْ تتخلى عن كل شيء كي تتحسس ثانيةً ذلك الجسم الضخم يعتصرها، يسمرها إلى الجدار، من دون أن يجعلها تفر، ومن ثم يمتلكها.

ذات يوم تأخرتْ عن جلب العمل المطبوع لي. مضيتُ إلى الأستوديو العائد لها وقرعتُ الباب. لم يرد عليَّ أحد. دفعتُ الباب فانفتح. لابد أن ماريانا ذهبتْ في مهمة.

مضيتُ إلى الآلة الكاتبة ورأيتُ كيف كان العمل يُطبع وشاهدتُ نصاً لم أتعرفْ إليه. حسبتُ أنني ربما بدأتُ أنسى ما كتبته. غير أن هذا أمر مستبعد. لم تكن تلك كتابتي. بدأتُ أقرأ. ومن ثم فهمت.

في منتصف عملها، سيطرتْ على ماريان الرغبة في تدوين تجاربها الخاصة. هذا ما كتبته:

"ثمة أشياء يطالعها المرء تجعلك تعي أنك لم تعشْ شيئاً، لم تشعرْ بأي شيء، لم تجربْ شيئاً حتى ذلك الحين. أفهم الآن أن معظم ما جرى لي كان سريرياً، تشريحياً. هنا كانت الأعضاء الجنسية تتلامس، تتلاحم، إنما من دون أي شرارة، من دون جموح، إحساس. كيف يمكنني أن أحرز هذا؟ كيف يمكنني أن أبدأ بـ (الشعور) ـ بـ (الشعور)؟ أود أن أقع في الحب بطريقة ما بحيث أن مجرد رؤية رجل، حتى على مبعدة (بلوك) مني، سوف تهزني وتخترقني، سوف تضعفني، وتجعلني أرتعش وألين وأذوب في ما بين الساقين. هكذا أبغي أن أقع في الحب، بصورة قوية جداً بحيث أن مجرد التفكير بالرجل سوف يجلب لي هزة الجماع.

"هذا الصباح بينما كنتُ أرسم سمعتُ قرعةً خفيفة جداً على الباب. مضيتُ لأفتحه وهناك وقف شاب وسيم نوعاً، لكنه خجول، مرتبك، راق لي في الحال.

"تسلل إلى الأستوديو، لم يحدق في ما حوله، ثبت نظراته عليّ كما لو أنه يستجدي، وقال، [أرسلني صديق. أنتِ رسامة؛ أريد أن تنجزي لي عملاً. إني أتساءل ما إذا كنتِ .. هل ستفعلين؟]

" كان كلامه متشابكاً. تورد خجلاً. كان أشبه بامرأة، هكذا فكرتُ.

"قلتُ، [أدخل واجلس]، معتقدةً أن ذلك سيمنحه الراحة. ثم لاحظ رسومي. كانت تجريدية. قال، [لكنكِ تستطيعين أن ترسمي شخصية حية، هل تستطيعين؟]

[" بطبيعة الحال أستطيع]، أريته رسومي.

"[هي قوية جداً]، قال، واقعاً في نشوة الإعجاب بواحد من رسومي لرياضي مفتول العضلات.

"[هل تريد صورة شخصية لك؟]

[" ياه، نعم ـ نعم ولا. أريد صورة شخصية لي. في الوقت نفسه، إنه نوع غير مألوف من الصور الشخصية الذي أريده، لا أدري ما إذا سوف ـ توافقين.]

[" أوافق على ماذا ؟]سألته.

"[حسن]، قال أخيراً من دون تفكير ، [هل ستنجزين لي صورة شخصية من هذا النوع؟]وأشار إلى رسم الرياضي العاري.

"توقع رد فعل معيناً من ناحيتي. اعتدتُ كثيراً جداً على عري الرجال في أكاديمية الفن بحيث أنني واجهت خجله بالإبتسام. لم أظن أن ثمةَ شيئاً غريباً في طلبه، مع أنه كان مختلفاً قليلاً أن يكون لديك موديل عار يدفع أجرةً للفنان كي يرسمه. هذا هو كل ما استطعتُ أن أفهمه، وأخبرته به. في غضون ذالك، مع الحق في الملاحظة الذي منح للرسامين، تأملتُ عينيه البنفسجيتين، الشعر الزغبي الناعم، الذهبي على يديه، الشعر الناعم على حافات أذنيه. كان له سيماء فونية (١٨) وتملصاً أنثوياً جذبني.

"بالرغم من جبنه، بدا معافى وأريستقراطياً بعض الشيء. كانت يداه ناعمتين وطريتين. كان يضبط نفسه بصورة جيدة. أبديتُ حماسةً مهنية معينة ظهر أنها أبهجته وشجعته.

"قال [هل تودين أن تبدئي الآن؟ بحوزتي شيء من المال. يمكنني أن آتي بالبقية غداً.]

أشرت إلى ركن الحجرة حيث يوجد [برافان]يخفي ثيابي والمغسلة. لكنه أدار عينيه البنفسجيتين نحوي وقال ببراءة، [هل أستطيع أن أخلع ثيابي هنا؟]

" عند ذاك غدوت مضطربة بعض الشيء، لكنني قلتُ نعم. شغلتُ نفسي بالحصول على ورق الرسم والقلم الفحمي معاً، محركةً كرسياً، ومبريةً قلم الفحم خاصتي. لاح لي أنه كان بطيئاً بصورة غير طبيعية في خلع ثيابه، ذلك أنه كان ينتظر انتباهي له. تطلعتُ إليه بجسارة، كما لو أنني بدأتُ أدرسه، عود الفحم في يديّ.

"كان يتعرى بتروٍ مذهل كما لو أنه كان عملاً إختيارياً، طقساً. وفي مرة من المرات حدق في عينيّ مباشرةً وابتسم، مظهراً أسنانه الجميلة المتساوية، وكانت بشرته ناعمة جداً بحيث أنها تلقتْ الضوء المنسكب عليها عبر النافذة الكبيرة واحتفظتْ به مثل قماش الساتان.

"في هذه اللحظة شعرتُ بقلم الفحم في يديّ ينبض بالحيوية، وفكرتُ يا لها من متعة أن أرسم خطوط هذا الشاب، ذلك يشبه كثيراً مداعبته. كان نزع سترته، حذاءيه، جواربه. بقي هناك السروال فقط. حمل هذه مثلما تحمل متعرية على المسرح طيات ثوبها، ما فتئ ينظر إليّ. مازلتُ لا أستطيع أن أفهم وميض الابتهاج الذي جعل وجهه ينبض بالحيوية. "ثم مال، أرخى حزامه، فانزلق السروال. وقف عارياً تماماً قبالتي وفي حالة جلية جداً من التهيج الجنسي. حين رأيتُ هذا، كانت هناك لحظة ترقب. لو أنني اعترضتُ محتجةً، لضاعتْ أجرتي، التي كنتُ أحتاجها إلى أبعد حد.

"حاولتُ أن أقرأ تعابير عينيه. بدتا وكأنهما تقولان، [لا تغضبي سامحيني.]

"لذا حاولتُ أن أرسم. كانت تلك تجربة غريبة. لو أنني رسمتُ رأسه، عنقه، ذراعيه، فإن هذه كلها كانت جيدة. حالما طافتْ عيناي بقية بدنه كان بوسعي أن أرى تأثيرها عليه. عضوه الجنسي كان يرتجف ارتجافاً غير محسوس. كنت نصف ميالة إلى أن أرسم بهدوء الشيء البارز رسماً تخطيطياً كما لو كنتُ أرسم الركبة. إلا أن العذراء الدفاعية في داخلي كانت منزعجة. فكرتُ، ينبغي لي أن أرسم بيقظة وبطء لأرى ما إذا ستمر الأزمة، أم أنه من المحتمل أن يصب اهتياجه عليّ. لكن لا، الشاب لم يتحركْ أبدا. كان متحجراً وراضياً. أنا وحدي الذي كنتُ مضطربة، ولا أعرف السبب.

"حين أنهيتُ عملي، لبس ثيابه بهدوء، ولاح رابط الجأش بصورة تامة. اقترب مني صافح يدي بأدب وقال: [هل يمكنني أن آتي غداً في الوقت ذاته؟ "]

هنا انتهت المخطوطة، ودخلتْ ماريان الاستوديو، باسمةً.

"أليستْ هي مغامرة غريبة؟" سألتني.

"أجل، وأود أن أعرف كيف كان إحساسك بعد مغادرته."

"في ما بعد"، اعترفت، "أنا التي كنتُ مُستثارة طوال اليوم، متذكرةً جسده، وعضو ذكورته الصلد الجميل جداً. نظرتُ إلى رسومي، وإلى أحدها أضفت الصورة الكاملة للحادثة. كانت الرغبة قد عذبتني عذاباً حقيقياً. إلا أن رجلاً كذلك الرجل، كان مولعاً فقط بـ [نظري] إليه." ربما بقيت هذه مغامرة بسيطة، أما بالنسبة لـ ماريان أصبحتْ أكثر أهمية. كان بوسعي أن أرى هوسها المقلق المتنامي بالشاب. واضح أن الجلسة الثانية ضاعفت الأولى. لم تُقَلْ كلمةٌ واحدة. لم تبدِ ماريان أي

عاطفة. لم يعبر هو عن شكره على حالة المتعة التي أُغطس فيها بتفحصها الدقيق لجسده. كل يوم بعد ذلك اكتشفت هي أعاجيب أكبر. كل تفصيل من تفاصيل جسده كان مثالياً. يا ليت لو أنه فقط يظهر بوضوح شيئاً من الاهتمام القليل بتفاصيل جسدها هي، لكنه لم يفعل. وأضحتْ ماريان هزيلة ومنهكة بالرغبة غير المشبعة.

كانت قد تأثرتْ أيضاً بالاستنساخ المستمر لمغامرات الآخرين، فالآن كل واحد من زمرتنا ممن كتبَ سلّم مخطوطته لها لأنها من الصنف الذي يمكن الوثوق به. كل ليلة ماريان ضئيلة البدن ذات الثديين الممتلئين، الناضجين تنحني على آلتها الكاتبة وتطبع كلمات تتوهج حماسةً عن الوقائع الجسدية العنيفة. بعض الحقائق كانت تؤثر فيها أكثر من غيرها.

كان العنف يروق لها. لهذا فالموقف مع الشاب كان بالنسبة لها لا يطاق أكثر من المواقف كلها. لم تكنْ تصدق أنه يمكن أن يقف في حالةٍ من الاهتياج الجسدية وبصورة جلية جداً يستمتع بمجرد حقيقة أن عينيها مثبتتان عليه، كما لو كانت تداعبه.

كلما كان هو كسولاً جداً وغير حاسم على الإطلاق أرادتْ هي أكثر أن تمارس العنف معه. كانت تحلم بأن تعمل ضد رغبته، لكن كيف يستطيع المرء أن يرغم رجلاً؟ طالما أنها لم تستطع أن تغويه بحضورها، كيف يمكنها أن تجعله يشتهيها؟

كانت تتمنى أن يداهمه النعاس فتكون لها الفرصة في مداعبته، وسوف يمتلكها بينما هو نصف واع، نصف نائم. أو أنها تمنتْ أن يدخل الأستوديو بينما هي ترتدي ثيابها وأن منظر جسدها سوف يثيره.

ذات مرة كانت تتوقع مجيئه، حاولتْ أن تترك الباب مفتوحاً جزئياً بينما هي تلبس ثيابها، لكنه حوّل بصره جانباً وتناول كتاباً. كان من المستحيل أن يُستثار إلا من خلال النظر إليه. وماريان الآن في جنون مؤقت من اشتهائها له. الرسم يقترب من نهايته. عرفت كل أجزاء جسده، لون بشرته، ذهبياً جداً ولامعاً جداً، شكل كل عضلة من عضلاته و فوق كل شيء، عضو الذكورة المنتصب باستمرار، الناعم، الصقيل، المتين المغري.

كانت تدنو منه كي ترتب قطعةً من الورق المقوى الأبيض قريباً منه بحيث يمكنها أن تلقي انعكاساً أكثر بياضاً أو ظلالاً أكثر على جسده. وبعدها أخيراً فقدتْ السيطرة على نفسها وهوت على ركبتيها أمام قضيبه المنتصب. لم تلمسه، لكنها نظرت إليه حصراً وتمتمت "كم هو جميل!"

عند ذاك تأثر هو بجلاء. قضيبه كله أصبح أكثر صلابةً من جراء المتعة. جثت قريباً جداً من القضيب ـ كان تقريباً في متناول فمها ـ لكنها من جديد قالت فقط "كم هو جميل!"

بما أنه لم يتحرك، اقتربت أكثر، شفتاها انفجرتا قليلاً، وبرقة، برقة شديدة، مستْ الطرف المستدق من قضيبه بلسانها. لم يبتعدْ عنها. كان مايزال يراقب وجهها والطريقة التي كان فيها لسانها يندلق بمداعبة كي يمس طرف عضوه.

لعقته برفق، برقة قطة، ثم أدخلتْ جزءاً صغيراً منه في فمها وسدتْ شفتيها حوله. كان قضيبه يرتجف.

منعتْ نفسها من عمل المزيد، خشية أنتقابل بالممانعة. وحين

توقفتْ، لم يحثها على الاستمرار. بدا راضياً. شعرتْ ماريان أن ذلك هو كل ما يمكن أن تطلبه منه. قفزتْ على قدميها وعادتْ إلى عملها. في قرارة نفسها كانت في اهتياج عظيم. صور عنيفة تراءت لها. تذكرتْ أفلاماً سينمائية بسنت واحد شاهدتها مرةً في باريس، عن أشخاص يتدحرجون على الحشائش، الأيدي تتلمس طريقها، سراويل تحتية بيض تفتح بأيدي متلهفة، ملاطفات، المداعبات، والاستمتاع يجعلان الأبدان تتلوى وتتموج، اللذة تجري فوق جلودهم كالماء، جاعلةً إياهم يتموجون حينما تدرك موجة اللذة بطونهم أو أوراكهم، أو وهي تتسلق أعمدتهم الفقرية أو تنزل إلى سيقانهم.

لكنها سيطرتْ على نفسها بالمعرفة البدهية التي تمتلكها المرأة، أي امرأة، عن ميول الرجل الذي تشتهيه. بقي هو منتشياً، عضوه منتصب، جسده بين الحين والحين يرتجف قليلاً، كما لو أن اللذة تجري عبره لدى تذكره فمها ينفرج كي يمس القضيب الناعم.

في اليوم التالي لهذه الحادثة كررتْ ماريان وضعها المبجل، نشوتها بإزاء جمال عضوه. ركعتْ ثانيةً وتوسلتْ إلى هذا القضيب الغريب الذي لم يطلب غير الإعجاب. لعقته من جديد بأناقة وحيوية كبيرتين، مرسلةً ارتعاشات اللذة من العضو صعوداً إلى جسده، من جديد قبلت العضو، طوقته بشفتيها كثمرة عجيبة، ومن جديد ارتعد هو. بعدها، يا لدهشتها، قطرة متناهية الصغر من مادة بيضاء ـ حليبية مالحة ذابتْ في فمها، وهي المادة المبشرة بالرغبة، وزادتْ ضغط وحركات لسانها.

حين رأتْ أنه ذاب من جراء اللذة توقفتْ، مكتشفةً بالحدس أنها

من المحتمل إذا حرمته الآن فلربما يقوم بإيماءة من أجل الإتمام. في البداية لم يقمْ بأي حركة. كان عضوه يرتجف، وكانت تعذبه الرغبة، بعدها فجأةً ذهلت لدى رؤيتها يده تتحرك تخو قضيبه كما لو أنه يوشك أن يشبع رغبته.

ماريان غدتْ يائسة. دفعت يده جانباً، تناولت قضيبه وأدخلته في فمها من جديد، وبكلتا يديها طوقت أعضاءه التناسلية، داعبته ومصته إلى أن بلغ الذروة.

انحنى بعرفان بالجميل، برقة وتمتم قائلاً، "أنت أول امرأة، أول امرأة، أول امرأة...."

دخل فريد الأستوديو. لكنه، كما فسرت ماريان، لم يتقدم خطوة من قبوله لمداعبتها. راقدا في الفراش، عاريين، وتصرف فريد كما لو أنها لا تملك عضو أنوثة على الإطلاق. تقبل ثناءها، باهتياج شديد، إلا أن ماريان تُركتْ برغبتها غير المستجابة. كل ما كان يفعله هو أن يضع يديه بين ساقيها. بينما كانت تداعبه بفمها فتحتْ يداه عضو أنوثتها كما الزهرة وفتش عن المدقة (١٩). حين شعر بتقلصاته، داعب طوعياً الفتحة التي كانت تنبض بسرعة. كانت ماريان قادرة على الإستجابة، إلا أن هذا نوعاً ما لم يكنْ ليشبع جوعها إلى جسده، إلى عضو ذكورته، وتوسلتْ إليه أن يمتلكها بصورة أكثر كمالاً، أن يثقبها.

حدث لها أن أرته المخطوطات التي كانت تطبعها. حسبتْ أن ذلك من الجائز أن يحرضه، يستفزه. استلقيا على السرير وطالعت المخطوطات معاً. قرأ الكلمات بصوت مرتفع، بمتعة. تأنى كثيراً عند النعوتات قرأ وأعاد القراءة، ومن جديد خلع ثيابه وعرّى نفسه، لكن مهما كانت

الذروة التي يمكن أن يصل إليها إهتياجه فلن يفعل أكثر من هذا.

أرادت ماريان منه أن يخضع للتحليل النفسي. أخبرته كي أن تحليلها حررها كثيراً جداً. أرهف السمع باهتمام لكنه رفض الفكرة. حثته على الكتابة، أيضاً، الكتابة عن تجاربه الخاصة.

في بادئ الأمر كان حيياً في ما يتعلق بهذا، خجولاً. بعدها، بصورة سرية بعض الشيء، بدأ يكتب، مخفياً الصفحات عنها حين تدخل الحجرة، مستخدماً قلماً بالياً. يكتب كما لو أن ذلك اعتراف بالجريمة. بالمصادفة قرأتْ ما كتبه. كان بمسيس الحاجة إلى المال. رهن آلته الكاتبة، معطفه الشتائي وساعته اليدوية، ولم يبقَ شيء آخر كي يرهنه.

لم يكنْ يدع ماريان تتولى رعايته. إذا جاز التعبير، كانتْ أتعبتْ عينيها بالطباعة، عملتْ حتى ساعة متأخرة من الليل ولم تفعل أكثر مما هو ضروري من أجل تسديد مبلغ الإيجار وثمن كمية قليلة جداً من الطعام. لذا مضى هو إلى جامع الكتب الذي سلمته ماريان المخطوطات، وقدّم له مخطوطته هو للبيع، معتذراً عن كونها بخط يده. جامع الكتب، بعد أن وجدها عصية على القراءة، أعطاها ببراءة إلى ماريان كي تطبعها.

هكذا وجدتْ ماريان نفسها ومخطوطة عشيقها بيديها. جعلتْ تقرأ بصورة حيوية قبل الطباعة، غير قادرة على السيطرة على حب استطلاعها، باحثةً عن سر كسله. هذا ما قرأته:

"الحياة الجنسية في معظم الأحيان سر. كل فرد يتآمر من أجل أن يجعلها هكذا. حتى أعز الأصدقاء لا يبوح أحدهما للآخر بتفاصيل

حيواتهم الجنسية. هنا مع ماريان أعيش في جو غريب. ما نتحدث فيه، نقرأ عنه ونكتب عنه هو الحياة الجنسية.

"أتذكر حادثةً نسيتها تماماً. جرتْ حينما كنتُ فتىً في الخامسة عشرة وما زلتُ بريئاً جنسياً. أخذتْ عائلتي شقةً في باريس كان لها شرفات عدة، وأبواب تفضي إلى هذه الشرفات. في فصل الصيف أعتدتُ أن أسير في حجرتي عارياً. ذات مرة كنتُ أفعل ذلك بينما كانت الأبواب مفتوحة، وعندئذ لاحظتُ أن امرأةً كانت تراقبني عبر الطريق.

"كانت جالسة في شرفتها تراقبني، من دون أي حياء على الإطلاق، وشيء ما جعلني أتظاهر بأنني لم أكن أنتبه إليها البتة. كنتُ أخشى أنها إذا عرفت بكوني واعياً بها فلربما تغادر الشرفة.

"وكوني مراقباً من قبلها وهبني فرحاً طاغياً استثنائياً. كنتُ أتمشى هنا وهناك أو أضطجع على سريري. لم تتحرك قط. كررنا هذا المشهد يومياً على مدى أسبوع كامل، لكنني في اليوم الثالث كان عندي انتصاب. "هل كان بوسعها أن تكتشف هذا من موضعها في الناحية الثانية من الشارع، هل يمكنها أن ترى؟ بدأتُ ألمس نفسي، شاعراً طوال الوقت، كيف أنها كانت منتبهة لكل إيماءة من إيماءاتي. كنتُ أستحم في اهتياج لذيذ. من الموقع الذي أضطجع عليه كان بمستطاعي أن أرى شخصيتها المترفة جداً. متطلعاً إليها مباشرة الآن، داعبتُ عضو ذكورتي، وفي الختام وجدتُ نفسي مُستثاراً جداً بحيث بلغتُ الذروة.

"لم تنقطع المرأة عن النظر إليّ. هل قامتْ بإشارة؟ هل أثارتها مراقبتها لي؟ حتماً حصل هذا. اليوم التالي انتظرتُ ظهورها بلهفة.

ظهرتْ في الساعة ذاتها، جلستْ في شرفتها وأرسلتْ نظراتها إليّ. من هذه المسافة لم يكن بمستطاعي أن أجزم ما إذا كانت تبتسم أم لا. اضطجعتُ على سريري ثانيةً. "لم نحاول أن نلتقي في الشارع، مع أننا كنا جارين. جل ما أتذكره هو المتعة التي اكتسبتها من هذا، التي لن تعادلها متعة أخرى على الإطلاق. لدى استذكاري هذه الوقائع، يسيطر عليّ الاهتياج. ماريان تمنحني المتعة ذاتها نوعاً ما. تروق لي الطريقة الجائعة التي تحدق بها إليّ، مبديةً إعجابها بي، عابدةً إياي".

حين قرأتْ ماريان هذا، شعرتُ أنها لن تتغلب على كسله. بكتْ قليلاً، شاعرةً أنها ضُللتْ كامرأة. مع ذلك أغرمت به. كان حساساً، وديعاً، مرهفاً. لم يجرح مشاعرها. لم يكن يحميها على وجه الدقة، غير أنه كان ودياً، مستجيباً لأمزجتها. عاملها بصفة فنانة الأسرة، كان يحترم رسومها، حمل لوحاتها الزيتية المرسومة على القماش، أراد أن يكون نافعاً لها. كانت مرشدة في صف رسم. كان يروق له أن يرافقها هناك في الصباح بحجة حمل أصباغها. لكنها في الحال فهمتْ أن له هدفاً آخر. كان مولعاً بصورة متحمسة بالموديلات. ليس بهم خصيصاً، بل بتجربتهم في التوّضع. كان يريد أن يصبح موديلاً.

هذا الأمر أثار ماريان. إذا لم ينلْ اللذة الجنسية الناجمة عن النظر إليه فلربما ما كانت لتكترث. غير أنها لدى معرفتها بهذا، بدا ذلك كما لو أنه سلّم نفسه للصف كله. لم تتحملْ الفكرة. تشاجرتْ معه.

بيد أن الفكرة هيمنتْ عليه وفي النهاية تم قبوله بصفة موديل. ذلك اليوم رفضت ماريان الذهاب إلى الصف. لبثت في البيت ونشجتْ بحرقة كامرأة غيور تعرف أن حبيبها مع امرأة أخرى.

استشاطت غضباً. مزقتْ رسومها له كما لو أنها كانت تمزق صورته من عينيها، صورة جسمه الذهبي، الناعم، المثالي. حتى إذا كان الطلبة غير مبالين بالموديلات، كان هو يتفاعل مع نظرات عيونهم، وماريان لم تستطع أن تتحمل هذا.

هذه الواقعة أخذتْ تباعد أحدهما عن الآخر. بدا كما لو أنها كلما منحته مزيداً من المتعة، استسلم أكثر لرذيلته، وفتش عنها من دون انقطاع. انفصلا كلياً في الحال. وتُركتْ ماريان وحيدةً كي تطبع الإيروتيكا العائدة لنا.

المرأة ذات الخمار

ذات مرة يمم جورج وجهه شطر حانة سويدية كان يحبها، وجلس إلى طاولة كي يستمتع بأمسية متمهلة. عند الطاولة المتاخمة لاحظ ثنائياً أنيقاً ووسيماً، الرجل لطيف وحسن الهندام، المرأة مجللة بالسواد، بخمار فوق وجهها المتورد وذات جواهر لامعة ملونة. كلاهما ابتسم له. لم يتبادلا كلمةً واحدة مع أحدهما الآخر كما لو كان كل واحد منهما يعرف الآخر من زمن طويل جداً وليس ثمة ضرورة للكلام.

ثلاثتهم راقبوا النشاط في الحانة - عشاق يحتسون المشروبات معاً، امرأة تجرع الخمر وحيدةً، رجل يفتش عن مغامرات - وبدا أنهم جميعاً كانوا يفكرون بالأشياء ذاتها.

في النهاية الرجل أنيق الهندام بدأ حديثاً مع جورج، الذي حانت له الآن فرصة كي يتأمل المرأة بتفصيل تام ووجد أنها كانت أكثر جمالاً. لكنه في اللحظة التي توقع فيها أن تشارك في الحوار، قالت كلمات قلائل لمرافقها بأن جورج لا يستطيع أن يفهم، ابتسمتْ، انسلتْ خارجةً. شعر جورج بخيبة الأمل. تلاشتْ سعادته بالأمسية. الأنكى من ذلك، لم يكنْ بحوزته سوى دولارات قليلة كي ينفقها، ولم يستطع أن يدعو الرجل لإحتساء الشراب معه وأن يكتشف ربما المزيد عن امرأة. يا

لدهشته، كان الرجل هو الذي التفت إليه قائلاً، "هل ترغب بشرب كأس معي؟"

قبل جورج الدعوة. كان حوارهما متشعباً، بدأ بتجاربهما مع فنادق جنوب فرنسا وانتهى باعتراف جورج كونه في حاجة ملحة إلى النقود. تضمن رد الرجل أنه شيء يسير بإفراط الحصول على المال. هو لن يقول كيف. حمل جورج على أن يعترف أكثر.

الآن جورج يملك ضعفاً على غرار رجال كثيرين؛ حينما يكون في مزاج صريح، كان يحب أن يعدد مآثره. فعل ذلك بلغة آسرة. ألمح إلى القول إنه ما إن يضع قدمه في الشارع حتى تقدم له المغامرة نفسها، وأنه لا يتردد في بحثه عن أمسية ممتعة، أو عن امرأة مثيرة للاهتمام.

ابتسم جليسه وأرهف السمع.

حين فرغ جورج من كلامه، قال الرجل، "هذا ما توقعته منك لحظة رؤيتي لك. أنتَ هو الشخص الذي أتطلع إليه. تواجهني مشكلة دقيقة بكل ما في الكلمة من معنى. شيء ما فريد في نوعه. لا أعرف ما إذا كانت لديك تعاملات مع نساء صعبات المراس، عصابيات - لا؟ يمكنني أن أرى ذلك من خلال قصصك. طيب، أما أنا فكانت لي مثل هذه التعاملات. لعلي جذبتهن. الآن فقط أنا في وضع معقد جداً. لا أكاد أعرف كيفية الخروج منه. احتاج إلى مساعدتك. أنتَ تقول إنك بحاجة إلى المال. حسن، يمكنني أن أقترح طريقةً مقبولة نوعاً ما في كسب المال. اصغ جيداً. ثمة امرأة ثرية جداً وآية في الجمال - الواقع، لاعيبَ فيها. كانت مستعدة لأن تمارس الحب بإخلاص مع من ينال إستحسانها، ومستعدة للزواج من أي شخص يروق لها. إنما ثمة صفة غير جوهرية

ومنحرفة فيها ـ هي تحب المجهولين فقط."

"لكن الجميع يحبون المجهولين"، قال جورج، مفكراً حالاً في الرحلات البحرية، اللقاءات غير المتوقعة، المواقف الغريبة.

"لا، ليس بالطريقة التي تفعلها. هي مولعة فقط برجل لم تره قبلاً ولن تراه ثانيةً. ولهذا الرجل تفعل كل شيء."

كان جورج يتحرق شوقاً كي يسأل ما إذا كانت هذه هي المرأة التي كانت جالسة إلى المائدة معه. لكنه لم يجرؤ. بدا الرجل حزيناً نوعاً لأنه مجبر على السرد، ومع ذلك كان مرغماً على سرد، هذه القصة. استطرد قائلاً، "يلزمني أن أسهر على سعادة هذه المرأة. أفعل كل شيء من أجلها. كرستُ حياتي كلها كي أشبع نزواتها."

"فهمت"، قال جورج. "يمكنني أن أشعر بالطريقة ذاتها في ما يتعلق بها."

"الآن"، قال الغريب الأنيق، "إذا أتيتَ معي، فلربما تستطيع أن تحل مصاعبك المالية على مدى أسبوع، وبصورة عرضية، أغلب الظن، تشبع توقك إلى المغامرة."

تورد جورج من جراء السعادة. غادرا الحانة معاً. أومأ الرجل إلى سيارة أجرة. في السيارة أعطى إلى جورج خمسين دولاراً. بعدها قال إنه مجبر على أن يعصب عينيه، إذ يجب أن لايرى جورج المنزل الذي يقصده، ولا الشارع، طالما أنه يجب أن لايكرر هذه التجربة.

كان جورج في اهتياج عظيم من الفضول الآن، لازمته أطياف المرأة التي رآها في الحانة، مشاهداً كل لحظة فمها المتورد وعينيها المتقدتين خلف الخمار. ما أحبه بشكل خاص هو شعرها. أحب الشعر الغزير الذي

أثقل الوجه، عبء فاتن، زكي الرائحة وغزير. كان ذلك واحداً من الأشياء التي يولع بها. لم تكنْ المسافة التي قطعتها سيارة الأجرة طويلة جداً. خضع بود للسر كله. العصابة رفعتْ عن عينيه قبل أن يترجل من سيارة الأجرة كي لا يلفت انتباه سائق السيارة أو البواب، إلا أن الغريب كان أخذ بالحسبان بصورة حكيمة أضواء المدخل كونها تعمي بصر جورج كلياً. لم يكنْ بمستطاعه أن يرى شيئاً ما خلا الأضواء المتوهجة والمرايا.

أرشد إلى واحد من المداخل الفخمة جداً لم يرَ مثيلاً له من قبل. أبيض بالكامل ومزود بالمرايا، ذي نباتات غريبة، أثاث باهر مغطى بالدمقس وسجادة لينة جداً بحيث أن وقع أقدامهم لم يُسمع. أُقتيد من حجرة إلى حجرة، كل واحد منها في عتمة مختلفة. كلها مزودة بالمرايا، بحيث أنه فقد كل احساسه بالمنظور. في الختام، وصلوا إلى النهاية. لهث قليلاً.

كان في حجرة نوم ذات سرير ذي ظلة وضع على منصة. كانت هناك قطع فراء على الأرض وستائر بيض رقيقة على الشبابيك، ومرايا، المزيد من المرايا. كان مسروراً بكونه قادراً على أن يتخيل تكرارات نفسه هذه، التواردات اللانهائية لرجل وسيم، منحته سرية الموقف وهج التنبؤ واليقظة اللذين لم يرَ مثيلاً لهما من قبل. ماذا يعني هذا؟ لم يكنْ له الوقت الكافي كي يسأل نفسه.

المرأة التي كانت في الحانة دخلت الحجرة، وحالما دخلتْ هي، توارى عن الأنظار الرجل الذي أتى به إلى هذا المكان.

بدلتْ فستانها. ارتدت ثوباً نسائياً مثيراً من الساتان ترك كتفيها عاريتين وكان مثبتاً في موضعه بوساطة كشكش. شعر جورج أن

الفستان سيسقط عنها عند أول إيماءة، يتجرد عنها كغلاف متلألئ، وسيظهر تحته جلدها المتلألئ، الذي كان يلمع كالساتان وكان ناعم الملمس بالقدر نفسه. توجب عليه أن يبقي نفسه مكبوحاً. لم يكنْ ليصدق حتى الآن أن هذه المرأة الجميلة كانت تهب نفسها له، هو الغريب كلياً.

شعر بالحياء، أيضاً. ماذا توقعت منه؟ ماذا كان مطلبها؟ هل كانت لديها رغبة غير مشبعة؟

كانت له ليلة واحدة فقط يلبي كل مواهب عشيقته. هو لن يراها ثانيةً. هل من الجائز أن يجد السر المؤدي إلى طبيعتها فيمتلكها أكثر من مرة؟ ساءل نفسه كم رجلاً أقبل إلى هذه الحجرة في الأيام الخوالي.

كانت محببة إلى القلب بصورة استثنائية، في داخلها شيء من الساتان والمخمل معاً. كانت عيناها داكنتين ونديتين، فمها متورد، بشرتها عكستْ الضوء. كان جسدها متناسقاً كلياً. كانت تملك الخطوط واضحة المعالم لامرأة رشيقة مع النضج المثير.

كان خصرها نحيلاً جداً، مما منح ثدييها بروزاً أعظم. كانت مؤخرتها أشبه بمؤخرة راقصة، وكل تموج يبرز اكتناز وركيها. ابتسمتْ له. كان فمها طرياً ومكتنزاً ونصف منفرج. اقترب منها جورج ووضع فمه على كتفيها العاريتين. ما من شيء يمكن أن يكون أكثر نعومةً من جلدها. ياله من إغراء أن يدفع الفستان الرقيق عن كتفيها ويكشف الثديين اللذين مددا الساتان. يالها من غواية أن ينضو عنها ثيابها في الحال.

لكن جورج شعر بأن هذه المرأة لايمكن معاملتها بعجالة شديدة،

وأنها كانت تتطلب اللطف والبراعة. لم يحصلْ أبداً أن منح كل إيماءة من إيماءاته هذا القدر الكبير جداً من التفكير والبراعة. بدا أنه قرر أن يفرض حصاراً طويل الأمد منه، وبما أنها لم تعط أيّ علامة من علامات السرعة، تمهل على كتفيها العاريتين، مُستنشقاً الرائحة ثقيلة الوطأة والعجيبة المنبعثة من جسدها.

كان بوسعه أن يمتلكها آنذاك وهناك، قوياً جداً كان السحر الذي ألقته، لكنه في البدء أراد أن تقوم بعلامةٍ ما، كان يريدها أن تكون مستثارة، وليستْ لينة مرنة جداً كالشمع تحت أصابعه.

بدتْ فاترة بصورة مذهلة، مطيعةً إنما من دون إحساس. ليس ثمة مويجة على جلدها، ومع أن فمها كان منفرجاً من أجل التقبيل، لم يكن سريع الإستجابة.

وقفا هناك قرب السرير، من دون كلام. مرر يديه على امتداد المنحنيات الساتانية لجسدها الباذخ، كما لو أنه يروم التعرف إليه. لم تتحرك قيد أنملة. جثا ببطء على ركبتيه، بينما كان يقبلها ويداعب جسدها. شعرتْ أصابعه أنها لم تكنْ ترتدي شيئاً تحت الفستان. قادها إلى طرف السرير وجلستْ هي. نزع خفيها. أمسك قدميها بيديه.

ابتسمتْ له، بوداعة وبإغراء. قبّل قدميها، وطافتْ يداه تحت طيات فستانها الطويل، مستشعراً الساقين الملساوين حتى الفخذين.

أسلمتْ قدميها ليديه، ضغطتهما على صدره الآن، بينما كانت يداه تتجولان صعوداً ونزولاً فوق ساقيها تحت الفستان. إذا كانت بشرتها ملساء جداً على طول الساقين، فماذا ستكون هناك قرب فرجها، حيث يكون هذا الموضع الأكثر نعومةً؟ كان فخذاها مضمومين معاً بحيث

أنه لم يستطع مواصلة الاستكشاف. وقف وانحنى فوقها كي يقبّلها في وضع مضطجع. حينما استلقتْ، انفتح ساقاها قليلاً. مرر يديه على أنحاء جسدها كلها، كما لو أنه يروم أن يضرم النار في كل جزء صغير منه بلمساته، ملاطفاً إياها من جديد من الكتفين حتى القدمين، قبل أن يحاول دس يده بين ساقيها، اللتين إنفتحتا أكثر الآن، بحيث أنه يستطيع أن يصل تقريباً إلى فرجها.

من جراء قبلاته أصبح شعرها مشعثاً، وسقط الفستان عن كتفيها وكشف جزئياً ثدييها. نزعه بكل معنى الكلمة بفمه، معرّياً الثديين اللذين توقعهما، مُغريين، متوترين وببشرة في منتهى الرقة، وبقمتين ورديتين كاللتين في ثديي فتاة في ميعة الصبا.

إستسلامها جعله تقريباً يبغي إيذاءها، كي يثيرها بشكل من الأشكال. المداعبات هيجته هو ولم تهيجها. كان فرجها فاتراً وناعم الملمس، مطيعاً إنما من دون اهتزازات.

شرع جورج يفكر أن لغز المرأة يكمن في كونها غير قادرة على أن تكون مستثارة. لكن لم يكنْ ذلك أمراً يسيراً. جسدها وعد بحسية كبيرة. بشرتها كانت حساسة جداً، الفم مكتنز جداً. كان شيئاً مستحيلاً، أنها لن تشعر. الآن جعل يداعبها باستمرار، بصورة حالمة، كما لو أنه ليس في عجلةٍ من أمره، منتظراً إندلاع اللهب في كيانها.

كانت ثمة مرايا تحيط بهما من كل جانب، تعيد صورة المرأة وهي مستلقية هناك، فستانها سقط عن ثدييها، قدماها العاريتان الجميلتان تتدليان فوق السرير، ساقاها منفرجتان قليلاً تحت الفستان.

ينبغي له أن يمزق الفستان كلياً عنها، ينام في الفراش معها،

يتلمس جسدها كله بجسده هو. بدأ يسحب الفستان إلى الأسفل، وساعدته هي. بزغ جسدها كجسد فينوس المنبثق من البحر. رفعها كي تستطيع أن ترقد كلياً على الفراش، وفمه ما فتئ يقبل كل ناحيةٍ من جسدها.

عندئذ حدث شيء غريب. حينما انحنى كي يمتع عينيه بجمال فرجها، وبتورده، ارتجفت، وجورج تقريباً صرخ تعبيراً عن فرحه الطاغي.

تمتمت، "اخلع ثيابك".

نزع ملابسه. عارياً، عرف قوته. كان مرتاحاً أكثر وهو عار منه مرتدياً ثيابه، لأنه كان رياضياً، سباحاً، عداءً، متسلق جبال. وأدرك أن بوسعه أن يدخل السرور إلى فؤادها.
تطلعتْ إليه.

هل كانت مسرورة؟ عندما انحنى فوقها، هل كانت مستجيبة أكثر. لايستطيع الجزم. لكنه الآن يشتهيها كثيراً جداً بحيث أنه لايقدر أن ينتظر كي يمسها بطرف عضو ذكورته، لكنها أوقفته. كانت تريد أن تقبل عضوه وتلاطفه. بدأت هذا بلهفة كبيرة جداً بحيث أنه وجد نفسه مع مؤخرتها الممتلئة قرب وجهه وكان قادراً على تقبيلها ومداعبتها على وفق ما يرضيه.

الآن هيمنت عليه الرغبة في تعرية ولمس كل زاوية من زوايا جسمها. باعد فتحة فرجها بإصبعيه، متع عينيه بالبشرة المتوردة، بالتدفق الرقيق للعسل، بتجعد الشعر حول إصبعيه. تنامتْ حيوية فمه شيئاً فشيئاً، كما لو أنه أصبح عضواً جنسياً بحد ذاته، وهكذا أمسى

قادراً على التمتع بها بحيث إذا ما واصل مداعبة جسدها بلسانه فإنه سيصل لذةً مجهولةً كلياً. عندما عض لحمها بإحساس لذيذ جداً، شعر ثانيةً برجفة لذة تسري في كيانها. الآن أبعدها عن قضيبه، خشية أن تحقق كل متعتها بمجرد تقبيله وأنه سوف يُخدع بالشعور أنه في داخل رحمها. بدا كما لو أن كليهما أصبحا جائعين إلى مذاق اللحم. والآن ذاب فماهما أحدهما في الآخر، باحثين عن اللسانين القافزين.

اشتعل دمها الآن. من خلال بطئه، بدا أنه فعل ذلك، أخيراً. لمعتْ عيناها بسطوع، فمها لم يستطع أن يترك جسده. وفي النهاية امتلكها، حينما وهبتْ نفسها، فاتحةً فرجها بأصابعها المحببة، كما لو أنها ما عادتْ قادرةً على الانتظار. حتى وقتذاك علقا لذتهما، ولمسته بهدوء، وطوقته. بعدها أشارتْ إلى المرآة قائلة، ضاحكةً، "انظر، يبدو كما لو أننا لا نمارس الحب، كما لو أنني حصراً أجلس على ركبتيك، وأنت، أنت النذل، تضعه في داخلي طوال الوقت، بل أنت حتى ترتجف. آه، لا أطيقه بعد الآن، هذا الادعاء بأن لاشيء في داخلي. إنه يحرقني. تحرك الآن، تحرك!". رمتْ نفسها فوقه بحيث يمكنها أن تدور حول قضيبه المنتصب، مستمدةً من هذه الرقصة الإيروتيكية لذةً جعلتها تجأر. وفي الوقت نفسه وميض برق النشوة شق طريقه عبر جسد جورج.

بالرغم من قوة جماعهما، حين غادرها، لم تسأله عن اسمه، لم تطلبْ منه العودة. منحته قبلةً خفيفةً على شفتيه الموجعتين تقريباً وصرفته. على مدى شهور عدة لازمته ذكرى هذه الليلة ولم يستطع هو أن يكرر التجربة مع أي امرأة.

ذات يوم التقى صديقاً بالمصادفة دُفع له مبلغ سخي عن تأليف

بعض المقالات ودعاه للشرب معه. أخبر جورج بالقصة المثيرة لمشهد رآه بأم عينيه. كان ينفق المال بسخاء في حانة حين اقترب منه رجل بارز واقترح تسليةً لذيذةً، ملاحظة مشهد غرامي رائع إلى حد استثنائي، وحدث أن صديق جورج كان مختلساً مؤكداً، الاقتراح نال قبولاً فورياً. أُخذ إلى منزل غامض، في شقة مترفة، وتم إخفاؤه في حجرة مظلمة، حيث رأى امرأةً مصابةً بشبق النساء تمارس الحب مع رجل فحل موهوب بصورة خاصة. توقف قلب جورج عن الخفقان. "صفها"، قال.

وصف صديقه المرأة التي جامعها جورج، وتطرق حتى إلى فستان الساتان. وصف كذلك السرير ذا الظلة، المرايا، وكل شيء. صديق جورج دفع مائة دولار عن المشهد، بيد أنه كان جديراً بالاهتمام واستمر ساعات عدة.

جورج المسكين. على مدى شهور كان محترساً من النساء. لم يكنْ ليصدق مثل هذه الخيانة، ومثل هذا التمثيل. استحوذتْ عليه فكرة مقلقة مفادها أن النساء اللواتي دعينه إلى شققهن كن جميعاً يخفين مُشاهداً ما خلف إحدى الستائر.

ايلينا

بينما كانت تنتظر القطار الذاهب إلى مونتو، تطلعتْ إلينا إلى الناس المحيطين بها على أرصفة المحطة. كل رحلة تثير في كيانها الفضول والأمل نفسهما اللذين يشعر بهما المرء قبل رفع الستارة في المسرح، نفس اللهفة المثيرة والتوقع.

أفردتْ عدة رجال ربما ودتْ أن تتكلم معهم، مسائلةً نفسها ما إذا كانوا سيغادرون في قطارها أم أنهم حصراً سيودعون مسافرين آخرين. كانت رغباتها الملحة مبهمة، شاعرية لو أنها سُئلتْ بدقة ماذا كانت تتوقع فلربما أجابت، "العجائب". كان جوعاً لم يأتِ من أي منطقة محددة من مناطق جسدها. كان حقيقياً، ما قاله أحدهم عنها بعد أن انتقدتْ كاتباً التقته ذات يوم :"أنتِ لا تستطيعين أن تريه كما هو، لايمكنك أن تري أحداً كما هو عليه في الواقع. سوف يكون دوماً مخيباً للأمل لأنك تتوقعين [أحداً ما ".]

كانت تتوقع أحداً ما - كل مرة يُفتح فيها الباب، كل مرة تذهب فيها إلى حفلة من الحفلات، في أي حشد من الناس، كل مرة تدخل فيها مقهىً، مسرحاً. لا أحدَ من الرجال الذين أفردتهم كونهم مرافقين مرغوباً بهم للرحلة راكبين متن القطار. لذا فتحت الكتاب الذي كانت تحمله. كان

"عشيق الليدي تشاترلي".

في ما بعد لم تتذكر إيلينا شيئاً من هذه الرحلة سوى الإحساس بدفء جسدي هائل، كما لو أنها جرعتْ زجاجةً كاملةً من البيرغندي الممتاز، وإحساس بالغيظ العظيم لدى اكتشافها سراً بدا لها مكبوحاً جنائياً من قبل الناس كلهم. اكتشفت قبل كل شيء أنها لم تعرف أبداً الأحاسيس التي وصفها لورنس، وثانياً، أن هذه كانت طبيعة جوعها. إنما ثمة حقيقة أخرى لم تكنْ تعيها وعياً تاماً. شيء ما خلق فيها حالةً من الدفاع الدائم بإزاء احتمالات التجربة بعينها، الرغبة الملحة في الهرب الذي يأخذها بعيداً عن مشاهد اللذة والاتساع. وقفتْ مراراً على الحافة تماماً، ومن ثم فرتْ. هي نفسها كان يُنحى عليها باللائمة بسبب ما أضاعته، تجاهلته. كانت المرأة الخفية في كتاب لورنس هي التي رقدتْ ملتفةً في داخلها، في النهاية عُريتْ، جُعلتْ ذات حساسية، مهيئة كما لو بوساطة وفرة من المداعبات من أجل وصول [شخص ما].

انبثقتْ امرأة جديدة من القطار عند (كو). لم يكن ذلك هو المكان الذي ودّتْ أن تبدأ منه رحلتها. كو كانت قمه جبل، معزولة، تطل على (بحيرة جنيف). كان الموسم ربيعا، الثلج يذوب، وبينما كان القطار الصغير ينفث البخار صاعداً الجبل، شعرتْ إلينا بسخط بخصوص بطئه، الإيماءات البطيئة لكل ما هو سويسري، الحركات البطيئة للحيوانات، المنظر الطبيعي الساكن، ثقيل الوطأة، بينما كانت أمزجتها ومشاعرها عارمة وصاخبة مثل سيول مولودة حديثاً. لم تخطط للبقاء هنا مدةً طويلةً جداً. سترتاح إلى أن يكون كتابها الجديد جاهزاً للطبع.

من المحطة مشتْ إلى (شاليه) بدا أشبه بمنزلٍ من منازل حكايات

الجان.والمرأة التي فتحتْ الباب بدتْ أشبه بساحرة. تطلعتْ بعينين سوداوين كالفحم إلى إيلينا وطلبت منها أن تدخل. بدا لـ إيلينا أن المنزل كله شُيد من أجلها، بأبواب وقطع أثاث أصغر من المعتاد. لم يكنْ ذلك وهماً، ذلك أن المرأة التفتت إليها قائلةً، "قطعتُ سيقان المناضد والكراسي العائد لي.هل أعجبك منزلي. أنا أسميه كازوتزا - [البيت الصغير]- باللغة الرومانية."

تعثرتْ إيلينا بكتلة من أحذية الثلج، السترات، قبعات الفراء، الكابات وعصي قرب المدخل. هذه الأشياء فاضت من الخزانة وتركتْ هناك على البلاط. صحون الفطور ما تزال على المائدة.

حذاءا الساحرة أصدرا صوتاً شبيهاً بصوت حذاءين خشبيين حين صعدتْ درجات السلم. كان لها صوت رجل، وإطار أسود صغير من الشعر حول شفتيها، مثل شارب مراهق. كان صوتها قوياً، عميقاً.

أرتْ إيلينا غرفتها. كانت تنفتح على شرفة، مقسمة بوساطة قواطع من الخيزران، وسعتْ طول الجانب المشمس من المنزل، مواجهةً للبحيرة. في الحال استلقتْ إيلينا معرّضة نفسها للشمس، مع أنها كانتْ تفزع من الحمامات الشمسية. فهذه الحمامات تجعلها شهوانية وداعية بصورة متقدة بجسدها كله. غالباً كانت تداعب نفسها. الآن أغمضتْ عينيها وتذكرتْ مشاهدَ من "عشيق الليدي تشاترلي".

إبان الأيام التالية سارتْ مسافات طويلةً. كانت تتأخر دوماً عن الغداء. آنذاك كانت مدام كازيمير تحدجها بنظراتٍ غاضبة ولا تتكلم بينما هي تقدم لها صنوف الطعام والشراب. الناس كل يوم يأتون لزيارة مدام كازيمير بخصوص تسديد أقساط الرهن على المنزل. كانوا يهددونها

ببيعه. كان جلياً أنها إذا حُرمتْ من منزلها، قوقعتها التي تحميها، ظهر السلحفاة، فإنها ستكون في عداد الأموات. في الوقت نفسه، كانت تصرف كل النزلاء الذين لا ترغب بهم وترفض إيواء الرجال.

في الختام استسلمتْ لدى رؤية عائلة - زوج، زوجة، وفتاة صغيرة وصلوا صباح يوم ما مباشرة من القطار، سحرهم المظهر الرائع لـ كازوتزا. وما كاد يمر وقت طويل حتى كانوا جالسين في الشرفة جنب شرفة إيلينا وراحوا يتناولون فطورهم في الشمس.

ذات يوم التقت إلينا الرجل، يسير وحيداً صوب قمة الجبل الواقع خلف (الشاليه). سار مسرعاً، ابتسم لها بينما هو يتجاوزها، وتابع مشيه كما لو كان ملاحقاً من قبل الأعداء. كان قد خلع قميصه كي يتلقى أشعة الشمس مباشرةً. رأت جذع رياضي جميلاً ذهبياً في ذلك الحين. كان رأسه فتياً، يقظاً، إلا أنه مكسو بشعر أشيب. العينان لم تكونا آدميتين تماماً. كانت لهما النظرة الثابتة. المنومة لحيوان داجن، شيء آمر، عنيف. شاهدتْ إيلينا مثل هذا التعبير في سحنات القوادين الذين يقفون في زوايا حي (مونمارتر)، بقبعاتهم ولفاعاتهم ذوات الألوان الصارخة.

بصرف النظر عن عينيه، كان هذا الرجل أرستقراطياً. كانت حركاته نشيطة وبريئة. كان يتمايل في أثناء مشيه، كما لو أنه مخمور قليلاً. قوته كلها تركزتْ في النظرة التي تطلع بها إلى إيلينا، وبعدها ابتسم ببراءة، بعفوية، وتابع السير. إيلينا توقفتْ بفعل النظرة وغضبت قليلاً من جرأتها. إلا أن بسمته الفتية أذابتْ التأثير الكاوي لعينيه وخلفتْ في كيانها مشاعرَ لم تستطع أن تجد لها تفسيراً. سلكتْ طريق

العودة. حين وصلت كازوتزا، كانت قلقة، متململة. كانت تبغي المغادرة كانت الرغبة في الهرب أكدتْ نفسها. من خلال هذا أدركتْ أن خطراً يتربص بها. فكرتْ بالعودة إلى باريس. في النهاية مكثتْ. ذات يوم البيانو، الذي أصبح صدئاً في الطبقة السفلى، شرع يسكب الموسيقى. النوتات الزائفة قليلاً بدتْ أشبه ببيانوهات الحانات الصغيرة الحقيرة. ابتسمتْ إيلينا. كان الغريب يسلي نفسه. كان، في الواقع، يعزف بحسب طبيعة البيانو ويمنحه صوتاً مغايراً تماماً لتفاهته البورجوازية، لاشيء يشبه ما كان يعزف عليه في سالف الزمان من قبل الفتيات السويسريات الصغيرات ذوات الجدائل الطويلة.

على حين غرة أمسى المنزل مبتهجاً، وودتْ إيلينا أن ترقص. توقف البيانو، إنما ليس قبل أن يعبئها مثل دمية متحركة. وحيدةً على الشرفة، دوّرتْ قدميها كما تفعل الدمية المتحركة. بصورة غير متوقعة تماماً سُمِعَ صوت رجل قريب جداً منها وهو يقول، "ثمة أناس أحياء في هذا المنزل على أي حال!" وقهقه.

كان يبحلق بهدوء عبر شقوق الخيزران، وكان بوسعها أن ترى هيئته ملتصقةً هناك أشبه بحيوان حبيس.

"ألا تأتين معي للنزهة مشياً على الأقدام؟" سألها. "في اعتقادي أن هذا المكان قبر. إنه [بيت الموتى.]مدام كازيمير هي [المحجرة الكبيرة.] سوف تصنع رواسب كلسية (٢٠) منا. سوف تسمح لنا بدمعة واحدة في الساعة، نتدلى من سقف كهف ما، دموع الرواسب الكلسية."

وهكذا انطلقت إيلينا والجار في نزهتها الراجلة. أول شيء قاله هو: "لديك عادة الرجوع، تبدئين المسيرة ثم ترجعين. هذا شيء سيء جداً.

هي أولى الجرائم ضد الحياة. أنا أؤمن بالوقاحة."

"الناس يصفون الوقاحة بطرق شتى"، قالتْ إيلينا. "من عادتي أن أرجع، كما تقول، ومن ثم أذهب إلى البيت وأؤلف كتاباً يغدو هاجس مراقبي المطبوعات."

"هذا سوء استخدام للقوى الطبيعية"، قال الرجل.

"لكنني بعد ذلك"، قالتْ إيلينا. "أستخدم كتابي كالديناميت، أضعه في المكان الذي أريد أن يقع فيه الانفجار، ومن ثم أنسق طريقي معه!".

حين قالت هذه الكلمات حدث انفجار في مكان ما في الجبل حيث يُشق طريق ما، وضحكا على المصادفة.

"أنتِ إذاً كاتبة"، قال الجار. "أنا رجل المهن كلها، رسام، كاتب، موسيقي، متشرد. الزوجة والطفلة استأجرتهما وقتياً ـ من أجل الظهور. كنتُ مجبراً على استعمال جواز سفر صديق لي. هذا الصديق أرغم على إعارتي الزوجة والطفلة. من دونهما ما كنتُ لأصل إلى هنا. لي موهبة إغاظة الشرطة الفرنسية. لم أقتل المرأة البوابة خاصتي، مع أنه كان يلزمني أن أفعل ذلك. كانت أغاظتني بدرجة كافية. كنتُ حصراً، شأني شأن ثوريين لفظيين كثيرين، مجدتُ الثورة بصوتٍ عالٍ جداً في أمسيات كثيرة جداً في المقهى نفسه، وكان رجل من شرطة التحري أحد التابعين المتحمسين لي ـ تابع، حقيقة! أفضل أحاديثي هي دوماً تلك التي أدلي بها وأنا سكران!"

"أنتِ لم تذهبي إلى هناك"، استطرد الرجل، "أنتِ لا تذهبين إلى المقاهي. أكثر النساء اللواتي تلازمنا هي تلك التي لا نستطيع أن نجدها

في المقـهى المزدحم عندمـا نبـحث عنهـا ، تلك التي يجب أن نصطادها ، ونفتش عنها من خلال المظاهر الخادعة لقصصها."

عيناه، باسماً، بقيتا عليها طوال الوقت الذي تكلم فيه معا. كانتا مثبتتين عليها مع المعرفة الدقيقة لتملصاتها ومراوغاتها ، وكان فعلهما أشبه بفعل مادة محفزة عليها ، رسخاها في البقعة التي كانتْ واقفةً فيها ، والريح ترفع تنورتها كتنورة راقصة باليه، نافخةً شعرها كما لو أنها ستطير مع الريح في رحلة كاملة. كان يعي قدراتها في أن تصبح غير مرئية. إلا أن قوته كانت أعظم، وكان بمستطاعه أن يبقيها راسخةً هناك طالما أراد هو ذلك. حين أدار رأسه جانباً حينذاك حسب تحررت هي ثانيةً. إلا أنها لم تتحرر كي تفلت منه.

بعد ثلاث ساعات من المشي، ارتميا على سرير من إبر الصنوبر على مرأى من (الشاليه). كان هناك عزف على بيانو آلي.

ابتسم لها قائلاً، "سيكون موضعاً مدهشاً نقضي فيه الليل والنهار. هل تحبينه؟"

جعلها تدخن بهدوء، مضطجعةً على إبر الصنوبر. لم تجبْ. ابتسمت.

بعدها سارا إلى (الشاليه) وطلب وجبة طعام وحجرة. كان من المفروض أن تصل وجبة الطعام إلى الحجرة. أعطى أوامره برقة، من دون أن يترك شكاً حول أمنياته. حسمه للأفعال الصغيرة منحها الإحساس بأنه بالقدر نفسه سوف يزيح جانباً كل المعوقات التي تقف أمام رغباته الأكبر. لم تكنْ تميل إلى أن ترجع من حيث أتتْ، وأن تتملص منه. شعور بالقوة كان يتنامى بداخلها ، بوصول ذروة العاطفة التي سوف تدفعها

خارج ذاتها من أجل الخير، والتي سوف تسلمها إلى غريب. لم تكنْ تعرف حتى اسمه، ولا يعرف هو اسمها. نظراته المثبتة عليها بشكل واضح كانت أشبه باختراق. في طريق صعودهما السلم، كانت ترتجف.

حين ألفيا نفسيهما وحيدين في الحجرة بسريرها العميق، المنحوت بمشقة، سارتْ في البدء إلى الشرفة، وتبعها هو. شعرتْ أن الإيماءة التي سيقوم بها ستكون امتلاكية، إيماءة لايمكن التملص منها. انتظرت. ما حدث، لم تكنْ تتوقعه أبداً.

لم تكنْ هي التي ترددتْ، بل هذا الرجل الذي جاء به نفوذه إلى هنا. وقف أمامها فجأةً رخواً، أخرق، عيناه قلقتان. قال بابتسامة ملطفة للنقمة، "ينبغي لك أن تعرفي، بطبيعة الحال، أنك أول امرأة حقيقية عرفتها في حياتي كلها - امرأة يمكنني أن أحبها. أنني أجبرتك على دخول هذا المكان. أريد أن أتيقن من كونك تريدين أن تكوني هنا. أنا..."

لدى هذا الاعتراف بجبنه، تأثرت حالاً تأثراً عميقاً بالرقة، رقة لم تجربها من قبل. كانتْ قوته تخضع لها، تتردد أمام إتمام الحلم الذي نما بينهما. الرقة ابتلعتها. كانت هي التي تحركتْ إليه وقدمتْ فمها.

عندئذ قبلها، يداه على ثدييها. شعرتْ بأسنانه. قبل عنقها حيث كانت الأوردة تنبض بسرعة، وحنجرتها، يداه تطوقان رقبتها كما لو كان سيفصل رأسها عن بقية جسمها. تمايلتْ من جراء الرغبة في أن يمتلكها كلياً. بينما كان يقبلها خلع ملابسها. الثياب سقطتْ حولها وكانا ما يزالان واقفين يتبادلان القبلات. عندئذ من دون أن ينظر إليها حملها إلى السرير، وكان فمه مايزال على وجهها وحنجرتها وشعرها.

خارج ذاتها من أجل الخير، والتي سوف تسلمها إلى غريب. لم تكنْ تعرف حتى اسمه، ولا يعرف هو اسمها. نظراته المثبتة عليها بشكل واضح كانت أشبه باختراق. في طريق صعودهما السلم، كانت ترتجف.

حين ألفيا نفسيهما وحيدين في الحجرة بسريرها العميق، المنحوت بمشقة، سارتْ في البدء إلى الشرفة، وتبعها هو. شعرتْ أن الإيماءة التي سيقوم بها ستكون امتلاكية، إيماءة لايمكن التملص منها. انتظرت. ما حدث، لم تكنْ تتوقعه أبداً.

لم تكنْ هي التي ترددتْ، بل هذا الرجل الذي جاء به نفوذه إلى هنا. وقف أمامها فجأةً رخواً، أخرق، عيناه قلقتان. قال بابتسامة ملطفة للنقمة، "ينبغي لك أن تعرفي، بطبيعة الحال، أنك أول امرأة حقيقية عرفتها في حياتي كلها - امرأة يمكنني أن أحبها. أنني أجبرتك على دخول هذا المكان. أريد أن أتيقن من كونك تريدين أن تكوني هنا. أنا..."

لدى هذا الاعتراف بجبنه، تأثرت حالاً تأثراً عميقاً بالرقة، رقة لم تجربها من قبل. كانتْ قوته تخضع لها، تتردد أمام إتمام الحلم الذي نما بينهما. الرقة ابتلعتها. كانت هي التي تحركتْ إليه وقدمتْ فمها.

عندئذ قبلها، يداه على ثدييها. شعرتْ بأسنانه. قبل عنقها حيث كانت الأوردة تنبض بسرعة، وحنجرتها، يداه تطوقان رقبتها كما لو كان سيفصل رأسها عن بقية جسمها. تمايلتْ من جراء الرغبة في أن يمتلكها كلياً. بينما كان يقبلها خلع ملابسها. الثياب سقطتْ حولها وكانا ما يزالان واقفين يتبادلان القبلات. عندئذ من دون أن ينظر إليها حملها إلى السرير، وكان فمه مايزال على وجهها وحنجرتها وشعرها.

مداعباته كانت لها طبيعة غريبة، تارةً رقيقة ومُذيبة، وطوراً عنيفة، كالمداعبات التي توقعتها حين ركز نظراته عليها، مداعبات حيوان متوحش.

كان ثمةً شيء حيواني في ما يتعلق بيديه، اللتين جعلهما تمتدان فوق كل أنحاء جسدها، واللتين جمعتا فرجها وشعرها معاً كما لو أنه سيفصلهما عن الجسد، كما لو أنه أمسك بالأرض والحشائش معاً.

حين أغمضت عينيها شعرتْ أن له أياديَ كثيرة، لمستها في الأمكنة كلها، وأفواهاً عديدة، مرتْ فوقها بخفة كبيرة، وبحدة ذئبية، أسنانه غاصتْ في أكثر أجزائها بدانةً. عارياً الآن، رقد بكامل قامته فوقها. استمتعتْ بثقله فوقها، استمتعتْ بكونها تنسحق تحت بدنه. كانت تروم أن يلتحم بها، من الفم إلى القدم. الارتجافات سرتْ عبر جسدها. كان يهمس بين الحين والحين، قائلاً لها أن ترفع ساقيها، مثلما لم تفعلْ من قبل، إلى أن تمس ركبتاها ذقنها؛ همس لها أن تستدير، وبسط مؤخرتها بيديه. استقر بداخلها، استراح وانتظر.

بعدها انسحبتْ عنه، اتخذت وضع نصف الجلوس، شعرها هائج وعيناها مخدرتان، وعبر نصف السديم رأته يضطجع على ظهره. انزلقت إلى الأسفل في السرير إلى أن وصل فمها قضيبه. شرعتْ تطبع القبلات في ما حوله. أرسل تنهدة. القضيب كان يهتز قليلاً عند كل قبلة. كان يتطلع إليها. كانت يده على رأسها وضغطه إلى الأسفل بحيث يهوي فمها فوق عضو ذكورته. بقيت يده فوقها بينما كانت تتحرك صعوداً ونزولاً ومن ثم ارتمت، ارتمت بتنهدة من جراء اللذة التي لا تطاق، ارتمت على بطنه وظلت هناك، عيناها مغمضتان، متذوقةً سعادتها.

لم تستطع أن تنظر إليه بينما كان هو يتطلع إليها. لم تكنْ ترى بوضوح بسبب ضراوة أحاسيسها. حين نظرتْ إليه انجذبتْ مغناطيسياً من جديد كي تلمس جسده، بفمها أو يديها، أو بجسدها كله. دعكتْ بدنها كله ببدنه، بترف حيواني، مستمتعةً بالاحتكاك. ثم هوتْ على جنبها ورقدتْ هناك. ماسةً فمه كما لو أنها تقولبه المرة تلو المرة مثل رجل أعمى يروم أن يكتشف شكل الفم، شكل العينين، شكل الأنف، كي تتحقق بالتجربة من شكله، من ملمس جلده، من طول وبينة شعره، شكل الشعر الكائن خلف الأذنين. كانت أصابعها خفيفة بينما كانت تفعل ذلك، بعدها فجأةً تغدو أصابعها مسعورة، تضغطان عميقاً في اللحم وتؤذيه، كما لو أن هذه الطريقة الضارية تؤكد لها واقعيته.

كانت هذه هي الأحاسيس الخارجية للجسدين اللذين كانا يكتشفان أحدهما الآخر. من جراء التماس الكثير جداً أصبحا مخدرين. كانت إيماءاتها بطيئة وحالمة. كانت أيديهما بطيئة. فمه لم يغلق أبداً.

يا للعسل الذي سال منا. دس أصابعه فيه بتمهل، ثم عضو ذكورته، بعدها حركها بحيث رقدت فوقه، ساقاها مرميتان فوق ساقيه، وبينما كان يمتلكها، كان بوسعه أن يرى نفسه يدخل فيها، وكانت هي قادرة على رؤيته أيضاً. شاهدا جسديهما يتموجان معاً، ينشدان ذروتهما الجنسية. كان ينتظرها، مراقباً حركاتها.

لأنها لم تسارع حركاتها، غيّر وضعها، جعلها ترقد على ظهرها. جثم فوقها بحيث كان بمستطاعه أن يأخذها بقوة أكبر، ملامساً أعمق أعماق رحمها، ملامساً جدران الجسد عينها المرة تلو المرة، وبعدها خبرت الاحساس أنه بداخل رحمها استيقظتْ بعض الخلايا الجديدة، أصابع

جديدة، أفواه جديدة، استجابتْ كلها لدخوله والتحقت بالحركة الإيقاعية، فهذا الامتصاص أصبح شيئاً فشيئاً مُرضياً أكثر فأكثر، كما لو أن الاحتكاك أثار طبقات جديدة من المتعة. تحركتْ أسرع كي تأتي الذروة الجنسية، وحين رأى هذا، سارع حركاته بداخلها، وحثها على وصول الذروة معغه، مع كلماته، بيديه اللتين كانتا تداعبانها، وأخيراً بفمه الملتحم بفهما، بحيث أن اللسانين تحركا في الإيقاع نفسه كالرحم والقضيب، والذروة توزعتْ بين فمها وفرجها، في تيارات متعاكسة من اللذة المتزايدة، إلى أن صرختْ، كان صراخها نصف بكاء ونصف ضحك، من جراء فيضان الفرح الذي اجتاح جسدها.

حين عادت إيلينا إلى كازوتزا، رفضتْ مدام كازيمير التحدث إليها. حملتْ شبحها الغاضب هنا وهناك بصمت إنما بصورة عميقة جداً بحيث كان بالمستطاع الإحساس به عبر أرجاء المنزل كلها.

أرجأت إيلينا عودتها إلى باريس. بيير لم يستطع الرجوع. كانا يلتقيان كل يوم، غالباً يقضيان الليل كله بعيداً عن كازوتزا. استمر الحلم من دون انقطاع طوال عشرة أيام. إلى أن جاءت امرأة لإستدعائه. حصل ذلك في مساء كانت فيه إيلينا وبير خارج المنزل. زوجته استقبلتها. أقفلا الباب على نفسيهما. مدام كازيمير حاولتْ أن تصيخ السمع لما كانا يقولانه إلا أنهما لمحا رأسها عند واحدٍ من الشبابيك الصغيرة.

كانت المرأة روسية. كانت جميلة بصورة غير اعتيادية، ذات عينين بنفسجيتين وشعر داكن، ملامحها ذات طابع مصري. لم تتكلم كثيراً جداً. بدتْ منزعجة بدرجة كبيرة.حين وصل بيير صباحاً وجدها هناك. بان

عليه الذهول بصورة واضحة جداً. تلقتْ إيلينا صدمةً من القلق غير القابل للتفسير. خافتْ من المرأة في الحال. شعرت بالخطر على حبها. مع ذلك حين التقى بها بيير بعد ساعات، شرح الأمر على أساس عمله. أرسلتْ المرأة مع أوامر. توجب عليه أن يسافر. أعطي مهمة ما كي يقوم بها في جنيف. أُنقذ من التعقيدات في باريس مع ادراكه أنه يجب عليه إطاعة الأوامر من الآن فصاعداً. لم يقلْ لـ إيلينا، "تعالي معي إلى جنيف". انتظرتْ كلماته.

"كم ستطول مدة بقائك هناك؟"

"لا أدري."

"أنت مسافر مع...؟" لم يكن بمستطاعها حتى تكرار اسمها.

"نعم، هي المسؤولة."

" إذا توجب عليّ أن لا أراك بعد الآن، بيير، أخبرني في الأقل بالحقيقة." لكن لا تعبيره ولا حتى كلماته ظهر أنهما جاءا من الرجل الذي عرفته بحميمية. بدا أنه يقول ما أجبر على قوله، لاشيء أكثر. فقد كل نفوذه الشخصي. كان يتكلم كما لو أن شخصاً ما كان يصغي إليه. لزمتْ إيلينا الصمتْ. ثم اقترب منها بيير وهمس قائلاً، "لستُ مغرماً بأي امرأة. لم أُغرم بأي امرأة. أنا أحب عملي. كنتُ معك في خطر كبير. لأننا كان بوسعنا أن نتحدث معاً، لأننا كنا قريبين جداً من أحدنا الآخر في أمور كثيرة جداً، مكثتُ معكِ زمناً طويلاً جداً. نسيتُ عملي." كان على إيلينا أن تعيد هذه الكلماتَ لنفسها المرة تلو المرة. تذكرتْ سحنته بينما كان يتكلم، نظراته ما عادتْ مثبتةً عليها بتركيز استحواذي، بل أصبحتْ شبيهة بنظرات رجل يطيع الأوامر، وليس قوانين

الرغبة والحب. بيير، الذي فعل أكثر من أي مخلوق بشري كي يسحبها من كهوف سرها، حياتها المنطوية، هو ذا الآن يرميها في لجة الخوف والريبة. كان السقوط أعظم مما عرفته من قبل طراً، لأنها قطعتْ شوطاً بعيداً جداً في مغامرتها العاطفية وأسلمتْ نفسها لها.

لم تسأل عن مغزى كلمات بيير ولم تفكرْ في ملاحقته. غادرتْ كازوتزا قبل أن يفعل هو ذلك. على متن القطار تذكرتْ طلعته كما كانت عليها، صريحةً جداً، آمرة، ومع ذلك في موضع ما، سريعة التأثر ولينة أيضاً. الجانب المروع جداً من مشاعرها هو أنها كانت غير قادرة على أن تعود إلى إنكماشها كالسابق، وأن تنغلق عن العالم، تصبح صماء، عمياء، وترمي نفسها في فانتازيا معينة طويلة ـ متطاولة، الأمر الذي فعلته عندما كانت فتاةً صغيرة كي تحل (أي الفانتازيا) محل الواقع. انتابتها الهواجس من جراء القلق على أمنه وسلامته، من جراء القلق على الحياة الخطيرة التي كان يعيشها؛ أدركتْ أنه لم يخترقْ جسدها حسب بل أيضاً كينونتها بعينها. كلما فكرتْ ببشرته، بشعره حيث غيرتْ لونه الشمس إلى الذهبي الجميل، بعينيه الخضراوين الهادئتين، تطرفان فقط في اللحظة التي ينحني فيها فوقها كي يأخذ فمها بين شفتيه القويتين، بعدها إهتز جسدها، وهي ما تزال مستجيبةً للصورة، وشعرتْ بالعذاب واللوعة.

بعد ساعات من وجع حيوي وشديد جداً بحيث أنها فكرتْ أن هذا الألم سوف يحطمها كلياً، وقعتْ في حالة غريبة من السبات، نصف النوم. بدا كما لو أن شيئاً ما تهشم بداخلها. لم تعدْ تشعر بالألم أو السعادة. كانت مخدرة. الرحلة برمتها أمستْ غير واقعية. جسدها مات من جديد.

بعد ثماني سنوات من الإنفصال أقبل ميغيل إلى باريس. أقبل ميغيل لكنه لم يجلب لـ إيلينا أي سعادة أو ارتياح، ذلك أنه هو نفسه كان رمز هزيمتها الأولى. كان ميغيل حبها الأول.

عندما التقته كانا مجرد طفلين، ابنا عمومة ضاعا في غداء عائلي كبير ضم أبناء وبنات عمومة وخالات وأعماماً. انجذب ميغيل إلى إيلينا مغناطيسياً، تبعها كاظل، أصغى لكل كلمة من كلماتها، كلماتها لا يستطيع أحد أن يسمعها، كان صوتها ضعيفاً جداً وشفافاً.

جعل يكتب لها الرسائل من ذلك اليوم فصاعداً، يأتي إلى زيارتها بين الحين والحين خلال العطل المدرسية ـ صداقة رومانسية، اتخذ فيها كل واحد منهما الآخر تجسيداً للأسطورة أو القصة أو الرواية التي كانا قرآها. كانت إيلينا كل البطلات، ميغيل كل الأبطال.

حين التقيا، كانا مغلفين بكثير جداً من الوهم بحيث لم يستطيعا أن يمس أحدهما الآخر. لا بل حتى يمسك أحدهما بيد الآخر. كل واحد منهما كان خياله يُستثار بحضور الآخر، حلقا معاً، أستثيرا المشاعر ذاتها. كانت هي أول من جرّب عاطفةً أعمق.

ذهبا ليرقصا معاً، غير واعيين بجمالهما. كان الآخرون يعون. شاهدت إيلينا كالفتيات الصغيرات الأخريات يتطلعن إلى ميغيل ويحاولن جذب انتباهه.

بعدها رأته موضوعياً، بمعزل عن هذا الحب الشديد الدافئ الذي كانت غلفته فيه. وقف على بعد ياردات قليلة عنها، شاب طويل جداً ورشيق، حركاته عفوية، جميلة، قوية، عضلاته وأعصابه كتلك التي يمتلكها نمر، ذو مشية انزلاقية إنما في استعداد للقفز. كانت عيناه

خضراوين كورق الشجر، مرنتين. كانت بشرته مضيئة، شمس غامضة تتوهج لامعةً من خلالها، أشبه ببشرة فسفورية لحيوان من حيوانات تحت سطح البحر. كان فمه فضفاضاً، يلوح فيه مظهر الجوع الجنسي، بأسنان مثالية لحيوان مفترس.

ولأول مرة رآها خارج الأسطورة التي غلفها فيها، رآها مطاردة من قبل الرجال جميعاً، جسدها لايعرف السكون، هو في حركة دائمة، خفيف على قدميه، مطواع، زائل تقريباً، مُعذب. الصفة التي حرضتْ الجميع على اصطيادها هو شيء ما فيها كان حسياً بصورة ضارية، حياً، دنيوياً؛ فمها الفضفاض كان كثير الحيوية بكل معنى الكلمة بسبب الجسد الرقيق الذي تحرك بهشاشة القول.

هذا الفم، المدفون في وجه من العالم الآخر، انبعث منه صوت لامس الروح مباشرةً، لذا فإن ميغيل المغوي لم يكن ليسمح للصبيان الآخرين بالرقص معها. في الوقت نفسه أي جزء من جسده لم يمسها إلا عندما كانا يرقصان. عيناها سحبتاه إلى داخلها، وإلى عوالم كان فاقد الحس فيها، كشخص مخدر.

لكنها، بينما كانت ترقص معه، أصحبتْ واعيةً ببدنها، كما لو أنه تحول فجأةً إلى جسد ـ جسد ملتهب، ترمي فيه كل حركة من حركات الرقص لهباً. كانت تروم الوقوع إلى أمام في داخل لحم فمه، تُسلم نفسها لسُكر مبهم.

كان سُكر ميغيل من نوع آخر. تصرف كما لو كان مغوياً من قبل كائن غير حقيقي، من قبل خيال جامح. كان جسده ميتاً بإزاء جسدها. كلما اقترب منها أكثر شعر بهذا (التابو) المحيط بها، ووقف كما لو أنه

يقف قبالة صورة مقدسة. حالما دخل حياتها، ما استسلم له كان نوعاً من الإخصاء.

عندما أصبح جسدها دافئاً بفعل دنوه منها، لم يجدْ شيئاً يقوله سوى اسمها: "إيلينا!" . عند ذاك،ذراعاه وساقاه وعضوه أصحبتْ كلها مشلولة بحيث توقف عن الرقص. ما كان واعياً به حين تلفظ باسمها هو أمه، أمه كما رآها عندما كان صغيراً؛ أي، امرأة أضخم من النساء الأخريات، هائلة، وافرة، بتعاريج أمومتها تفيض من ثيابها البيض غير المحكمة، الثديان اللذان غذى نفسه منهما واللذان التصق بهما متجاوزاً سن الضرورة، حتى الوقت الذي أصبح فيه واعياً بالموضوع المبهم تماماً للجسد.

لذا كل مرة يرى فيها ثديي امرأة ضخمة، ممتلئة تشبه أمه، تنتابه الرغبة بمصهما، بمضغهما، بعضّهما وحتى إيذائهما، بأن يضغطهما على وجهه، بالاختناق تحت إكتنازهما المتفجر، يملأ فمه بالحلمتين، لكنه لم يشعر بالرغبة في الامتلاك مع الاختراق الجنسي.

الآن إيلينا، حين التقى بها أول مرة، كان لها ثديان صغيران جداً لفتاة في الخامسة عشرة، أثارا في ميغيل ازدراءً من نوعٍ ما. لم تكنْ تملك أياً من الخواص الإيروتيكية لأمه. لم ينزعْ أبداً إلى خلع ملابسها. لم يتخيلها أبداً كامرأة. كانت هي صورة، كصور القديسين والقديسات على البطاقات الصغيرة، كصور النساء البطوليات في الكتب، كرسوم النساء.

المومسات وحدهن كن يمتلكن أعضاءً جنسية. ميغيل شاهد مثل هؤلاء النسوة في وقت مبكر جداً حين جره أشقاؤه الأكبر منه سناً إلى

بيوت الدعارة. بينما امتلك أشقاؤه الغانيات، داعب هو أثداءهن. ملأ فمه بها، بجوع. لكنه خاف مما رآه بين سيقانهن. بدا له أشبه بفم ضخم، رطب، جائع. شعر أنه لن يشبعه أبداً. كان خائفاً من الشق المغوي، الحافتان صلبتان تحت الإصبع الملاطِف، السائل المنبعث كاللعاب من إنسان جائع. تخيل جوع المرأة هذا كونه هائلاً، نهماً، لايشبع. بدا له أن قضيبه سوف يُبتلع إلى الأبد. المومسات اللواتي حدث أن رآهن كن يملكن فروجاً ضخمة، حافات فروجهن جلدية، مؤخرات ضخمة.

ما الذي بقي هناك لـ ميغيل كي يتحول إليه برغباته؟ الصبيان، الصبيان من دون فتحات شرهة، الصبيان بأعضاء ذكورة كعضوه هذا، هي لا تخيفه، يمكنه أن يشبع رغباتهم.

لذا في الأمسية ذاتها التي خبرتْ فيها إيلينا هذه الوثبة المفاجئة للرغبة والدفء في الجسد، اكتشف ميغيل الحل الوسط، غلام أثاره من دون (تابوات)، مخاوف وشكوك.

إيلينا، الجاهلة كلياً بالغرام بين الصبيان، نشجت طوال الليل بسبب بُعد ميغيل. لم تكنْ من قبل أكثر جمالاً، شعرتْ بحبه، بعبادته. إذاً لماذا لم يلمسها؟ الرقصة جمعتهما معاً، لكنه لم يُستثر. ماذا يعني هذا؟ أي سر هذا؟ أي لغز؟ لماذا شعر بالغيرة حين دنا منها الآخرون؟ لماذا راقب الصبيان الآخرين الذين كانوا يتحرقون شوقاً للرقص معها؟ لماذا لم يلمس حتى يدها؟

مع ذلك سكنها هو، وسكنته هي. صورتها هيمنتْ على صورة كل النساء. كانت أشعاره لها، ابداعاته، ابتكاراته، روحه. الفعل الجنسي وحده حدث بعيداً عنها. كم من المعاناة الكبيرة التي تجنبتها عرفتها

هي، فهمتها. كانت أرق من أن تسأله بصراحة، وكان هو خجولاً جداً كي يكشف نفسه.

وهو ذا الآن ميغيل هنا، بحياته الماضية المعروفة للجميع، سلسلة طويلة من قصص الحب مع الغلمان، سلسلة لا نهائية. كان دائم البحث، غير مُشبَع دائماً - ميغيل بالسحر نفسه، أصبح فقط أكثر جمالاً، أقوى.

ثانيةً أحستْ ببعده، بالمسافة الفاصلة بينهما. لم يأخذ حتى ذراعها، تلمع سمراء في شمس الصيف الباريسية. كان معجباً بكل ما تلبسه، خواتمها، حمالات صدرها ذوات الرنين، فستانها، خفيها، إنما من دون أن يلمسها.

خضع ميغيل للتحليل النفسي على يد أشهر الأطباء النفسانيين الفرنسيين. في كل مرة يُستثار فيها، يمارس فيها الحب، يمتلك شخصاً ما، كانت عقد حياته تبدو وكأنه تدنو أكثر فأكثر حول حنجرته. كان يروم التحرر، التحرر كي يبقي شذوذه حياً. هذا ما لم يملكه. كل مرة يمارس فيها الحب مع غلام، كان يفعل ذلك بإحساس بالجريمة. كانت النتيجة هي الذنب. وبعدها كان يفتش عن تعويض المعاناة.

الآن بوسعه أن يتكلم عنه، وفتح حياته كلها أمام إيلينا، من دون حياء. لم يسبب لها ذلك أي ألم. أراحها من شكوكها حول نفسها. لأنه لم يفهم طبيعته، في بادئ الأمر أنحى عليها باللائمة، عبء برودته الجنسية نحو النساء ألقاه عليها. قال إن ذلك ناجم عن كونها ذكية، والنساء الذكيات يمزجن الأدب والشعر بالحب، الأمر الذي شلّه؛ وإنها كانت إيجابية، ذكورية، في بعض طرائقها، وهذا أرعبه. كانت يافعة

جداً في ذلك الوقت، كانت قبلتْ في ذلك الحين هذا الأمر وحدث أن اعتقدت أن النساء الرشيقات، الذكيات، الإيجابيات، لايمكن أن يُرغبن.

كان يقول: "ليتك كنت كسولةً، مطيعةً جداً، خاملةً جداً، فلربما أشتهيك. لكنني أشعر دوماً أن بداخلك بركاناً يوشك أن ينفجر، بركاناً من العاطفة، وهذا يخيفني." أو يقول: "لو أنكِ كنت مجرد مومساً، وبوسعي أن أشعر بأنك لن تكوني كثيرة المطالب، انتقادية جداً، فلربما أشتهيك. لكنني أشعر أن عقلك الذكي يراقبني ويستصغرني إذا أخفقت، إذا، على سبيل المثال، كنتُ عاجزاً جنسياً بصورة مفاجئة."

إيلينا المسكينة، على مدى سنوات طوال تغاضت كلياً عن الرجال الذين كانوا يشتهونها. لأن ميغيل كان الشخص الذي أرادت أن تغويه، بدا لها أن ميغيل وحده هو الذي سيختبر طاقتها.

ميغيل، في حاجته الماسة إلى شخص ما ناهيك عن محلله النفساني يثق به، قدم إيلينا إلى عشيقه، دونالد. حالما رأت إيلينا دونالد أحبته أيضاً، كما تحب طفلاً، طفلاً مزعجاً، سيء الطبع وفطناً.

كان جميل الطلعة، كان له بدن مصري رشيق، شعر هائج كشعر طفل كان يركض. في أوقات معينة رقة إيماءاته جعلته يبدو ضئيل البدن، لكنه حين يقف، مؤسلباً، واضح السلوك، منبسطاً، حينذاك يبدو طويل القامة. كانت عيناه في نشوة، وكان يتكلم بإنسيابية، كوسيط (٢١).

كانت إيلينا مفتونةً به بحيث أنها بدأتْ تتمتع بصورة ماكرة ومبهمة بممارسة ميغيل الحب معه - معها. دونالد بصفته امرأة، كون ميغيل يمارس الحب معه، متغزلاً بسحره الفتي، بأهداب عينيه الجارفة، بأنفه الصغير، المستقيم، أذنيه الشبيهتين بأذني فون، يديه الصبيانيتين، القويتين.

ميزتْ في دونالد أخاً توأماً كان يستخدم كلماتها، غنجها، براعاتها. كانت تستحوذ عليه نفس الكلمات والمشاعر التي كانتْ تستحوذ عليها. كان يتحدث باستمرار عن رغبته في أن يُستهلك كلياً في الحب، عن توقه إلى النكران الزهدي للذات وإلى حماية الآخرين. كان يمكنها سماع صوتها الخاص. هل كان ميغيل يعي أنه كان يمارس الحب مع أخ توأم لـ إيلينا، مع إيلينا في جسم غلام؟

حين تركهما ميغيل عند مائدة المقهى لحظةً، تطلع كل منهما إلى الآخر بنظرة إهتمام خاص. من دون ميغيل لم يعدْ دونالد امرأة. قوّم جذعه، نظر إليها من دون إجفال، وتكلم عن كيفية بحثه عن القوة والتوتر قائلاً إن ميغيل لم يكنْ الأب الذي كان يحتاجه - ميغيل كان فتياً جداً، ميغيل لم يكنْ سوى غلام آخر. كان ميغيل يروم أن يمنحه جنةً في مكان ما، ساحلاً حيث يمكنهما أن يمارسا الغرام بحرية، وأن يتعانقا ليلاً ونهاراً، جنةً من المداعبات والمضاجعات؛ أما هو، دونالد، فكان يفتش عن شيء آخر. كان يحب جحيمات (جمع جحيم) الحب، الحب الممزوج بالعذابات العظيمة والمعوقات الكبيرة. كان يبغي قتل المسوخ وقهر الأعداء والكفاح على غرار دون كيخوته.

بينما كان يتحدث عن ميغيل، بأن على وجهه نفس التعبير الذي يظهر على وجوه النساء حين يغوين رجلاً، تعبير بالقناعة المزهوة. احتفال داخلي، منتصر، لايمكن السيطرة عليه بقوة الفرد.

كل مرة يتركهما فيها ميغيل لحظةً كان دونالد وإيلينا يعيان بشدة عادة بأصرة التماثل بينهما، وبمؤامرة أنثوية خبيثة لسحر وإغواء وخداع ميغيل.

بنظرة مؤذية قليلاً، كان دونالد يقول لـ إيلينا: "التكلم معاً نوع من الجماع الجنسي. أنت وأنا حاضران معاً في كل البلدان المهتاجة للعالم الجنسي - أنتِ تسحبينني إلى دنيا الأعاجيب. بسمتُكِ تحتفظ بتدفق ساحر."

عاد إليهما ميغيل. لماذا هو متململ جداً هكذا؟ مضى ليجلب السجائر. مضى إلى شيء آخر. تركهما وحيدين. كل مرة يعود فيها تجد هي أن دونالد تغير، أصبح امرأةً من جديد، معذباً. رأتهما يداعبان أحدهما الآخر بنظراتهما، يضغطان ركبتي أحدهما الآخر تحت الطاولة. كان ثمة تيار قوي وعارم من الحب بينهما بحيث أنها انجرفت إليه. رأتْ جسد دونالد الأنثوي يتوسع، رأتْ وجهه يتفتح كالزهرة، عيناه ظمآنتان، وشفتاه نديتان. كان ذلك أشبه بالدخول إلى غرف سرية للحب الحسي لأشخاص آخرين، ورأتْ في دونالد وميغيل معاً ما كان بالمستطاع أن يكون خلاف ذلك مخفياً عنها. كانت خطيئة غريبة.

قال ميغيل: "أنتما الإثنين متشابهان تماماً."

"لكن دونالد يثق بالناس أكثر"، قالتْ إيلينا، معتقدةً أنه أظهر بسهولة حقيقية كونه لايحب ميغيل كلياً، بينما هي أخفتْ هذا، انطلاقاً من خوفها على إيذاء الآخر.

"لأنه يحب بدرجة أقل"، قال ميغيل. "هو نرجسي."

إنبجس دفء عبر (التابو) القائم بين دونالد وإيلينا، وميغيل وإيلينا.

الحب الآن تدفق بين ثلاثتهم، اشترك، تنقل، ناقلاً العدوى، الخيوط ربطتهم معاً.

كان بوسعها أن تنظر بعيني ميغيل إلى جسد دونالد ذي التصميم الجميل، الخصر الضيق، الكتفين الصلبتين والقويتين كما في تمثال مصري مجسم، الإيماءات المؤسلبة. عبَّر وجهه عن انحلال صريح جداً بحيث بدا أشبه بالافتضاح (٢٢). كل شيء ظهر للعيان، عارياً للعينين.

ميغيل ودونالد أمضيا أوقات ما بعد الظهيرة معاً، وبعدها كان دونالد يفتش عن إيلينا. معها أكد ذكورته وشعر أنها نقلتْ إليه الذكوري فيها، القوة. أحست بذلك قائلةً، "دونالد، إني أمنحك الذكوري في روحي." في خلال حضورها أمسى منتصباً، متيناً، نقياً، جدياً. حصل التحام. بعدها كان هو الخنثوي المثالي.

غير أن ميغيل لم يستطع أن يرى هذا. استمر في معاملته كامرأة. حقيقية، حين يكون ميغيل حاضراً، كان جسد دونالد يلين، وركاه يبدأان بالتأرجح، يصبح وجهه كوجه ممثلة رخيصة، مغوية الرجال تتلقى الأزهار بينما أهداب عينيها تطرفان. كان مرفرفاً كالطير، ذا فم وقح مزموم من أجل القبلات الصغيرة، زينة وتنويع بكل معنى الكلمة، محاكاة للإيماءات الصغيرة الخاصة بالإنذار والوعد التي تقوم بها النساء. لماذا يحب الرجال هذه المحاكاة الساخرة التي تقوم بهاالمرأة ومع ذلك يتملصون من المرأة؟

وفي الكلام المتناقض، كان هناك الغضب الشديد الذكوري لـ دونالد ضد مسألة أن يُمتلك كامرأة: "تغاضى هو كلياً عن الذكوري فيَّ"، شكى. "امتلكني من الخلف، ألح على أن يعطيني إياه عبر المؤخرة، وعاملني كامرأة. وأنا أكرهه لهذا السبب. سوف يصنع مني جباناً حقيقياً.أريد شيئاً آخر. أود أن يتم انقاذي من أن أغدو امرأة.

وميغيل وحشي وذكوري معي. يبدو أنني أعذبه. كن يجبرني على أن أنقلب على بطني ويمتلكني كما لو كنتُ مومساً."

"هل هذه هي أول مرة عوملتْ فيها كامرأة؟"

"نعم، قبل هذه كنتُ لا أفعل شيئاً غير المص، ليس هذا ـ الفم والقضيب، كان هذا كل شيء ـ تجثين أمام الرجل الذي تحبينه وتضعينه في فمك."

نظرتْ إلى فم دونالد الصغير، الطفولي واندهشتْ كيف يستطيع أن يضع عضوه فيه. تذكرتْ ليلةً ما عندما أصابها جنون مؤقت من جراء مداعبات بيير بحيث أنها طوقت قضيبه وخصيتيه وشعره بيديها بنوعٍ من الشره. كانت تروم أن تضعه في فمها، كان ذلك أمراً لم ترغبْ بفعله مع أحد ما من قبل، ولم يدعها تفعل لأنه كان يحب كثيراً أن يكون داخل رحمها، وكان يريده هناك أفضل.

والآن بوسعها أن ترى بصورة حيوية جداً قضيباً ضخماً ـ قضيب ميغيل الأشقر، أغلب الظن، يدخل فم دونالد الصغير الشبيه بفم طفل. تصلبتْ حلمتاها حين تخيلتْ الصورة وحولتْ عينيها جانباً.

"كان يأخذني طوال النهار، أمام المرايا، على أرض الحمام، بينما هو يمسك الباب بقدمه، على السجادة. هو لايشبع، وكان يتجاهل الذكر بداخلي. إذا رأى قضيبي، الذي كان حقيقة أكبر من قضيبه، وأجمل منه ـ حقيقة، هو كذلك ـ هو لايلاحظه. يأخذني من الخلف، يهرسني كامرأة، يترك قضيبي متدلياً. هو يتجاهل ذكورتي. ليس ثمة إتمام بيننا."

"هو، إذاً، أشبه بالغرام بين النساء"، قالت إيلينا. "ليس ثمة إتمام، ليس ثمة امتلاك حقيقي."

ذات يوم، بعد الظهر، طلب ميغيل من إيلينا أن تأتي إلى حجرته. حين قرعتْ الباب سمعتُ عدواً. كانت تهم بالرجوع حين جاء ميغيل إلى الباب وقال، "أدخلي، أدخلي." إلا أن وجهه كان محتقناً، وكانت عيناه محتقنتين بالدم، شعره هائج وكان فمه معلّماً بالقبلات.

قالت إيلينا، "سآتي لاحقاً."

رد ميغيل، "لا، تعالي، يمكنك الجلوس في الحمام برهةً قصيرةً. دونالد سيغادر."

كان يريدها أن تكون هناك! كان بوسعه أن يصرفها. غير أنه قادها عبر الأروقة الصغيرة إلى داخل غرفة الحمام المتاخمة لغرفة النوم، وأجلسها هناك، ضاحكاً. بقي الباب مفتوحاً. كان بمستطاعها أن تسمع التأوهات واللهاث البطيء. بدا كما لو أنهما يتقاتلان في الحجرة المظلمة. صرَّ السرير بصورة إيقاعية، وسمعتْ دونالد يقول، "أنت تؤذيني". غير أن ميغيل كان يلهث وتوّجب على دونالد أن يكرر، "أنت تؤذيني."

بعدها تواصل الأنين، وتسارع الصرير الإيقاعي لنوابض السرير، وبالرغم من كل ما أخبرها به دونالد سمعتْ تأوه السعادة خاصته. ثم قال، "أنتَ تخنقني."

المشهد في الظلام استفزها بصورة غريبة. شعرتْ أن جزءاً من كيانها يساهم فيه، كامرأة، هي كامرأة في داخل جسم دونالد الصبياني، ميغيل يمارس معها الحب.

كانت تأثرتْ كثيراً بحيث أنها، كي تلهي نفسها، فتحتْ حقيبتها واستلتْ رسالةً وجدتها في صندوق رسائلها قبيل المغادرة لكنها لم تقرأها حتى الآن.

حين فتحتها، كان وقعها كالصاعقة: "عزيزتي إيلينا المتملصة والجميلة، أنا في باريس ثانيةً، من أجلك. لم أستطع نسيانك. حاولتْ. حين أسلمتِ نفسكِ كلياً، أنت أيضاً أخذتني تماماً وكلياً. هل ستزورينني أنتِ لم تتراجعي وتنكمشي من ورائي من أجل الخير؟ أنا أستحق هذا، أما إذا لمَ تفعلي، فإنك سوف تقتلين حباً عميقاً، أعمق من أجل كفاحه نحوك. أنا في باريس...."

نهضت إيلينا وهرعتْ خارج المبنى السكني، صفقتْ الباب حينما غادرتْ. حين وصلتْ فندق بيير كان هو في انتظارها، متلهفاً. لم يكنْ ثمة ضوء مشتعل في حجرته. بدا كما لو أنه كان يريد أن يلتقي بها في العتمة، كي يتحسس بشرتها، جسدها، فرجها بصورة أفضل.

الانفصال جعلهما شديدي الإنفعال. بالرغم من لقائهما الضاري لم تستطع إيلينا أن تصل الذروة الجنسية. في قرارة نفسها كان هناك خزين من الخوف، ولم يكن بمستطاعها أن تسلم نفسها. لذة بيير جاءت بتلك القوة بحيث أنه لم يستطع أن يكبحها بغية انتظار إيلينا. كان يعرفها جيداً جداً كان يحس سبب انسحابها السري، الجرح الذي أورثها إياه، تحطيم إيمانها في حبه.

إضطجعتْ مرهقةً من الرغبة والملاطفات، إنما من دون إتمام. بيير انحنى فوقها وقال بصوت وديع: "أنا أستحق هذا. أنتِ تختبئين، مع أنك ترغبين اللقاء بي، كان من الجائز أن أخسرك إلى الأبد."

"لا"، قالت إيلينا، "انتظر، امنحني وقتاً كي أثق بك من جديد."

قبل أن تغادر بيير، حاول هو أن يمتلكها ثانيةً. لقي ثانيةً تلك الكينونة السوية المنغلقة نهائياً، هي التي حققتْ كمالاً في اللذة الجنسية

أول مرة داعبها فيها. بعدها أحنى بيير رأسه وجلس على حافة الفراش، مهزوماً، كئيباً.

"لكنكِ ستأتين غداً، ستعودين؟ ما الذي أستطيع أن أفعله كي أجعلكِ تثقين بي؟"

كان في باريس من دون أوراق ثبوتية، معرضاً نفسه لخطر الاعتقال. من أجل سلامة أكبر خبأته في شقة صديقة كانت في مكان بعيد. أصبحا يلتقيان يومياً الآن. كان يفضل أن يلتقيها في الظلام، بحيث أنهما قبل أن يشاهدا أحدهما الآخر، كانت أيديهما تغدو واعية بحضور الآخر. كالعميان، كانا يتحسسان جسد أحدهما الآخر، يتمهلان في التعاريج كثيرة الدفء، يقومان بالمسار المنحني نفسه كل مرة؛ عارفين من خلال اللمس المواضع التي يكون فيها الجلد ناعماً جداً ورقيقاً جداً والمواضع التي يكون فيها أقوى ومعرضاً لنور النهار؛ حيث، فوق الرقبة، تردد صدى نبضة القلب؛ حيث ارتجفتْ الأعصاب عندما اقتربت اليد من المركز، بين الساقين.

كانت يداه تعرفان امتلاء كتفيها غير المتوقع أبداً في جسدها الرشيق، انشداد ثدييها والشعرات المحمومة تحت ذراعيها، التي طلب منها أن لا تحلقها. كان خصرها صغيراً جداً، وكانت يداه تحبان ذلك المنعطف ينفتح أوسع فأوسع من الخصر حتى الوركين. تبع كل منحنى بحنان، باحثاً عن امتلاك جسدها بيديه، متخيلاً لونه.

مرةً واحدةً فقط تطلع إلى جسدها في وضح النهار، في كو، صباحاً، وبعدها ابتهج بلونه. كان عاجياً شاحباً، وناعم الملمس، وقرب الفرج حسب هذا العاج أصبح ذهبياً أكثر، مثل فاقوم [٢٢] كبير السن.

كان يسمى فرجها "الثعلب الصغير"، الذي كان شعره ينتصب بخشونة حين كانت يده تمتد نحوه.

شفتاه تبعتا يديه؛ أنفه، أيضاً، غاص في روائع جسدها، مفتشاً عن السلوى، باحثاً عن العقار المنبعث من جسمها.

كانت إيلينا تملك خالاً صغيراً مخفياً في طيات لحمها السري بين الفخذين. كان يتظاهر بالبحث عنه حين كانت أصابعه تطوفان صعوداً بين الساقين وخلف أجمة الثعلب، يتظاهر بأنه يريد أن يلمس الخال الصغير وليس الفرج؛ وبينما هو يداعب الخال، بالمصادفة مس الفرج، برقة شديدة، برقة تكفي لأن يحس بالتقلص النباتي السريع للسعادة الذي أحدثته أصابعه، أوراق النبات الحساس تنغلق، واضعاً حداً للتهيج، حابساً سعادته السرية، التي شعر بتموجها السريع.

مقبلاً الخال وليس الفرج، بينما كان يتحسس كيف كان يستجيب لقبلاته الممنوحة على بعد مسافة صغيرة، مسافراً تحت الجلد، من الخال إلى قمة الفرج، الذي انفتح وانغلق حينما اقترب فمه. دفن رأسه هناك، مخدراً بروائح خشب الصندل، روائح قواقع البحر؛ مخدراً بملاطفة شعر عانتها، أجمة الثعلب، إحدى الخصل ضيعتْ نفسها داخل فمه، خصلة أخرى ضيعتْ نفسها وسط ثياب الفراش، حيث وجدها في ما بعد، لامعةً مكهربةً. عادةً كان شعر عانتيهما يختلطان. مستحمةً في ما بعد، تجد إيلينا خصلاً من شعر بيير ملتفةً وسط خصلها، شعره أطول، أسمك، وأقوى.

سمحتْ إيلينا لفمه ويديه أن تعثر على كل صنوف الملاجئ والزوايا، وتستقر هناك، واقعةً في حلم الملاطفات المغلقة، محنية رأسها

فوق رأسه حين وضع فمه على حنجرتها، مقبلاً الكلمات التي لم تستطع أن تنطقها. بدا أنه كان يتكهن بالموضع الذي كانت تريد أن يطبع عليه القبلة التالية، وأي جزء من جسمها كان يحتاج إلى الدفء. وقعتْ عيناها على قدميها هي، وبعدها مضتْ قبلاته إلى هناك، أو تحت ذراعها، أو في حفرة ظهرها، أو حيث يدخل البطن إلى وادٍ، حيث تبدأ شعرات العانة، صغيرة وخفيفة ومتباعدة.

مد بيير ذراعه كما يفعل القط، كي يُمسد. رد رأسه إلى الوراء مرات عدة، أغمض عينيه، وجعلها تغطيه بقبلات فراشه كانت مجرد وعد بمجيء المزيد من القبلات الضارية. عندما لم يعدْ قادراً على تحمل اللمسات الحريرية الخفيفة، فتح عينيه وقدم فمه كثمرةٍ ناضجة جاهزة للعض، وهوتْ بجوع عليه، كما لو أنها تستقي منه منبع الحياة بحد ذاته.

حين تغلغلتْ الرغبة عبر كل مسامة صغيرة وعبر كل شعرة من شعرات الجسم، عندئذ أسلما نفسيهما للمداعبات العنيفة. بين الحين والآخر كان بمستطاعها أن تسمع طقطقة عظامها عندما رفع ساقيها فوق كتفيه، كان بوسعها أن تسمع مص القبلات، صوت قطرة المطر للشفاه واللسانين، الرطوبة تنتشر في دفء الفم كما لو كانا يأكلان ثمرةً ذابتْ وتحللتْ كان بمستطاعه أن يسمع صوت دندنتها الغريبة المكتومة، كصوت طائر غريب جداً في خلال النشوة؛ وهي أيضاً، نَفَسه أصبح بطيئاً أكثر بينما كان دمه يغدو أثخن، أغنى.

حين ازداد انفعاله كان نَفَسه أشبه بنَفَس ثور أسطوري يعدو بصورة هائجة نحو اختراق مهتاج مستخدماً قرنه، اختراق من دون ألم، اختراق

رفعها تقريباً كلياً من الفراش، رفع فرجها في الهواء، كما لو أنه سوف يندفع عبر جسدها ويمزقه تمزيقاً، تاركاً إياها فقط عندما حصل الجرح، جرح النشوة واللذة الذي شق جسدها كالبرق، وجعلها تهوي من جديد، متأوهةً، ضحية سعادة عظيمة، سعادة كانت أشبه بموت صغير، موت صغير باهر لايمكن أن يمنحه أي عقار أو أي نوع من الكحول، لاشيء يمكن أن يمنحه غير جسدين يحبان أحدهما الآخر، حباً عميقاً في داخل كيانيهما، بكل ذرة وخلية وعصب، وفكرة.

كان بيير جالساً عند حافة السرير مرتدياً سرواله الداخلي بسرعة وكان يشد أبزيم حزامه. كانت إيلينا لبستْ فستانها بسرعة إلا أنها ما زالتْ ملتفةً حوله بينما كان جالساً. ثم أراها حزامه. نهضتْ كي تنظر إليه. كان حزاماً جلدياً ثقيلاً، قوياً بأبزيم فضة إلا أنه الآن مهترئ كلياً بحيث بدا على وشك التمزق. كانت قمته بالية. المواضع التي يُشد فيها الأبزيم كانت تقريباً خفيفة كقطعة قماش.

"حزامي مهترئ"، قال بيير، "وهو يجعلني حزيناً لأنني أملكه منذ عشر سنوات." درسه بتأمل.

حين تطلعتْ إليه جالساً هناك، وحزامه لم يُشد بعد، تذكرت بحدة اللحظة التي سبقت حله للحزام كي يخلع سرواله الداخلي. لم يكنْ ليرخيه مالم تثر مداعبة ما، أو يثر تطويق محكم لجسديهما معاً، رغبته بحيث أن القضيب المسجون يبدأ بمضايقته.

كانت هناك دوماً تلك الثانية من الترقب قبل أن يرخي سرواله الداخلي ويخرج عضو ذكورته لها كي تلمسه. غالباً كان يدعها هي تخرجه. إذا لم تكنْ قادرةً على فك أزرار ثيابه الداخلية بسرعة كافية،

عندئذ يفعل ذلك بنفسه. صوت الطقطقة الصغيرة للأبزيم يستفزها. كانت هي لحظة أيروتيكية بالنسبة لها، كما هي بالنسبة لـ بيير، اللحظة التي تسبق نزعها لسروالها الداخلي أو إرخائها لأربطة الجوارب.

مع أنها كانت مُشبعة كلياً قبل لحظة، أُستثيرت من جديد. كانت تحب أن ترخي الحزام، تجعل سرواله الداخلي ينزلق إلى الأسفل وتلمس هي قضيبه مرةً أخرى. حين انبثق أول مرة من السروال الداخلي، قوّم نفسه (أي القضيب) بيقظة كي يشير إليها، كما لو أنه يميزها.

بعدها فجأة معرفة أن الحزام كان عتيقاً جداً، أن بيير كان يلبسه دوماً، أصابها بألم غريب، حاد. رأته يرخيه في أمكنة أخرى، حجرات أخرى، في ساعات أخرى، من أجل نساء أخريات.

كانت غيورة، غيورة بصورة حادة، من جراء هذه الصورة التي تعيد نفسها. كانت تنوي أن تقول: "ارمِ الحزام جانباً. في الأقل لا تحمل الحزام نفسه الذي لبسته من أجلهن. سأمنحك حزاماً آخر."

بدا كما لو أن إحساسه بالعاطفة نحو الحزام كان إحساسا بالعاطفة نحو الماضي الذي لا يستطيع أن يتخلص منه تماماً. بالنسبة لها، كان الحزام يمثل الإيماءات التي قام بها في الماضي. سألتْ نفسها ما إذا كانت المداعبات كلها هي نفسها.

على مدى أسبوع أو نحو ذلك استجابتْ إيلينا لعناقاته، تقريباً فقدتْ وعيها بين ذراعيه، نشجتْ مرةً واحدةً من جراء شدة أفراحها. من ثم لاحظت تغيراً في مزاجه. كان مشغول البال. لم تسأله. فسرتْ انشغاله بطريقتها الخاصة. كان يفكر بنشاطه السياسي، الذي كان تنازل عنه من أجلها. أغلب الظن كان يعاني من كسله. ما من رجل يستطيع

أن يحيا كلياً من أجل الحب كما تفعل المرأة، أن يجعل هذا هدف حياته ويملأ أيامه به.

كان بوسعها أن تحيا من أجل الحب وحده ـ الواقع، كانت تحيا من أجل الحب فقط. بقية الوقت ـ عندما لا تكون معه ـ كانت لا تشعر ولا تسمع شيئاً بصورة واضحة. كانت شاردة الذهن. كانت فقط تأتي إلى الحياة كلياً في حجرته. طوال اليوم، بينما هي تفعل أشياء أخرى، كانت أفكارها تحوم حوله. وحيدةً في الفراش، كانت تتذكر تعابيره، الضحكة في زاوية عينيه، تصلب ذقنه، لمعان أسنانه، شكل شفتيه حين يطلق كلمات الرغبة.

عصر ذلك اليوم رقدتْ بين ذراعيه، لاحظت السحب على وجهه، العينين الغائمتين، ولم تستطع أن تتجاوب معه. عادةً كانا في تناغم. كان يشعر عندما تكون سعادتها متعاظمة، وتشعر هي بسعادته. بطريقة مبهمة كانا يحبسان الذروة الجنسية إلى أن تحل اللحظة التي يكون فيها كلاهما مستعدين لها. عادةً كانا بطيئين في حركاتهما الإيقاعية، بعدها أسرع، بعدها أسرع قليلاً، متوافقين مع الحرارة المرتفعة للدم والأمواج المتصاعدة للسعادة، ووصلا الذروة الجنسية معاً، ارتجف قضيبه بينما كان يلفظ الحيامن، وارتعش رحمها من جراء الحركات السريعة، التي كانت أشبه بألسنة نار خافقة بداخلها.

اليوم انتظرها هو. تحركتْ كي تلاقي طعناته، مقوّسةً ظهرها، لكنها لم تبلغْ الذروة. توسل إليها قائلاً، "أبلغي، حبيبتي. ابلغي، حبيبتي. لا أستطيع أن أنتظر أكثر. أبلغي، حبيبتي."

أفرغ نفسه فيها وهوى على صدرها من دون صوت. إضطجع هناك

كما لو أنها لاطفته. لم يجرحه شيء أكثر من عدم استجابتها.

"أنت قاسية"، قال. "لماذا تتأخرين عني الآن؟"

لزمتْ الصمت. هي نفسها كانت حزينةً ذلك أن قلقها وريبتها بوسعها أن يغلقا بسهولة كبيرة كيانها أمام امتلاك كانت تريده. حتى إذا كان هذا هو الأخير، أرادته هي. إنما لأنها خافتْ من أن يكون الأخير، انغلق كيانها، وحُرمتْ هي من الاتحاد الحقيقي به. ومن دون الذورة الجنسية التي جرباها معاً، لم يكنْ ثمة اتحاد، ليس ثمة صلة حميمة مطلقة بين الجسدين. بعدها، عرفت، أنها ستتعذب، كما تعذبتْ في المرات الأخرة. ستُترك غير مشبعة، مع بصمات جسده على جسدها.

كانت تتمثل ثانيةً المشهد في بالها، تراه منحنياً فوقها، ترى كيف كانت سيقانهم تظهر عندما تشابكت معاً، كيف كان يخترقها قضيبه المرة تلو المرة، كيف كان يخمد عندما ينتهي كل شيء، وكانت تجرب الجوع المحرّض من جديد، وتكون معذبة بالرغبة في الاحساس به في أعماق جسدها. كانت تعرف توتر الرغبة غير المشبعة، الأعصاب بصورةٍ لا تطاق: متيقظة، حادة، مجردة، الدم في إهتياج عظيم، كل شيء معد لذروة جنسية لن تحصل. بعدها لم تستطع النوم. كانت تشعر بالتشنجات على امتداد ساقها، مما جعلها تهتز كحصان سباق متململ. صور إيروسية مقلقة طاردتها طوال الليل.

"ما الذي تفكرين به؟" قال بيير، متأملاً وجهها.

"أفكر في مسألة كم سأكون حزينة عندما أغادرك، بعد كوني لستُ ملكاً حقيقياً لك".

"ثمة شيء آخر يجول في خاطرك، إيلينا، كان ثمة شيء ما هناك

حين أتيتِ، شيء ما أريد أن أعرفه."

"أنا مهتمة بكآبتك وسألتُ نفسي ما إذا اشتقتُ إلى نشاطك السياسي وترغب بالعودة إليه."

"أو، هو ذاك. هو ذاك. كنتِ تهيئين نفسك لرحيلي ثانيةً. غير أن هذا لا يخطر ببالي. على العكس. رأيتُ أصدقاءً سيساعدونني على البرهنة أنني لم أكن نشيطاً، وأنني كنتُ مجرد ثوري مقهى. هل تتذكرين تلك الشخصية في قصة غوغول؟ الرجل الذي تكلم ليل نهار إنما لم يتحرك، لم يقمْ بأي عمل؟ تلك الشخصية هي أنا. ذلك هو كل ما فعلته ـ التكلم. إذا تمتْ البرهنة على ذلك، عندئذ يكون بوسعي أن أبقى وأكون حراً. هذا هو ما أناضل من أجله."

يا لتأثير هذه الكلمات على إيلينا! ـ كالتأثير العظيم لمخاوفها على كينونتها الحسية، كابحةً حوافزها، متغلبةً عليها. أوحبستْ منها خيفة. هي الآن تريد أن تستلقي فوق بيير وتجعله يمتلكها. كانت تعرف أن كلماته كانت كافية لأن تطلق سراحها. لعله تنبأ بهذا، ذلك أنه واصل مداعباته زمناً طويلاً، منتظراً لمسة أصابعه على بشرتها الندية كي تثير رغبته من جديد. وبعد ذلك بزمن طويل، حينما استلقيا في الظلام، امتلكها ثانيةً، وعندئذ توجب عليها أن تكبح قوة وسرعة ذروتها الجنسية كي تكون مترافقةً مع ذروته، وصرخ كلاهما، وبكتْ هي من جراء السعادة.

من ذلك اليوم فصاعداً كان كفاح غرامهما يهدف إلى دحر هذا البرود الذي رقد ساكناً فيها وأن كلمةً واحدةً، جرحاً صغيراً، شكاً معيناً، كلاً منها كان كفيلاً بأن يأتي به (أي البرود) كي يدمر امتلاكهما

لأحدهما الآخر. أصبح بيير قلقاً من جرائه. كان منكباً على مراقبة أمزجته وميولها أكثر من أمزجته وميوله هو. حتى وهو يستمتع بها كانت عيناه تفحصانها بحثاً عن علامة من علامات ذلك التغيم المستقبلي، الذي كان معلقاً دوماً فوقهما. أضنى نفسه منتظراً ذروتها. كبح ذروته. غضب حيال جوهر كينونتها هذا الذي لا يُقهر، الذي كان بالمستطاع أن ينغلق بمواجهته وقتما يشاء. بدأ يفهم شيئاً من حب الرجال المنحرف للنساء الباردات جنسياً.

الحصن - المرأة العذراء المنيعة: المنتصرة في بيير، التي لم تنفجر كي تقوم بثورة حقيقية، أسلمتْ نفسها إلى هذا الانتزاع، كي تكسر مرةً وإلى الأبد هذا الحاجز الذي كان بوسعها أن تشيده حياله. لقاءات العاشقين الخاصة بها أمستْ معركةً سريةً بين إرادتين، سلسلةً من الخدع.

إذا حصل بينهما شجار (وتشاجر هو معها بسبب علاقتها الحميمة مع ميغيل ودونلاد، لأنه قال لها إنهما كانا يمارسان الحب معها من خلال جسدي أحدهما الآخر) عندئذ كان يعرف أنها ستكبح ذروتها منه. كان يغضب ويسعى إلى قهرها من خلال أكثر المداعبات ضراوةً. عاملها بوحشية من حين إلى آخر، كما لو كانت مومساً وكان بمستطاعه أن يدفع أجراً عن خضوعها. في أوقات أخرى حاول أن يذيبها بالرقة والوداعة. جعل من نفسه صغيراً، أشبه بطفل في حضنها.

أحاطها بجو إيروسي. جعل من حجرتهما وكراً، مغطى بالسجاجيد والأنسجة المزدانة بالرسوم والصور، معطراً. كان يسعى إلى الوصول إليها من خلال استجابتها للجمال، الترف، الروائع. اشترى لها كتباً

إيروسية، طالعاها معاً. كان هذا آخر أشكال الاخضاع خاصته - أن يثير نشاطاً جنسياً فيها، نشاطاً قوياً جداً بحيث أنها لن تستطيع أن تقاوم لمسته. عندما كانا يضطجعان على الكنبة معاً ويقرأان، كانت أيديهما تتجول فوق جسد أحدهما الآخر، فوق الأمكنة الموصوفة في الكتاب. أنهكا نفسيهما في اسرافات من الصنوف كلها، باحثين عن كل سعادة معروفة للعشاق، مستثارين بوساطة صور وكلمات ونعوتات لأوضاع جديدة. آمن بيير أنه أوقظ فيها هاجساً جنسياً مقلقاً بحيث لم يكنْ بمستطاعها أن تسطير على نفسها ثانيةً. وبدا أن إيلينا أُفسدتْ. عيناها بدأتا تلمعان بطريقة استثنائية، ليس بسطوع النهار، بل بضوء مقلق أشبه بما هو عند مريض مصاب بالتدرن الرئوي، مع حرارة شديدة جداً بحيث أحرقت حلقاتٍ حولهما.

الآن كف عن عادته في أن يترك الغرفة مظلمةً. كان يطيب له أن يراها تصل الذروة مع هذه الحمى في عينيها. بدا أن جسمها أصبح أثقل. حلمتاها كانتا دوماً صلبتين، كما لو أنهما كانتا باستمرار في حالة تهيج إيروسي. بشرتها أصبحتْ حساسةً جداً بحيث أنه ما إن يلمسها حتى تتموج تحت أصابعه. سرتْ الرعشة عبر ظهرها، ماسةً كل عصب من أعصابه.

كانا يستلقيان على بطنيهما، مايزالان يرتديان ثيابهما، يفتحان كتاباً جديداً ويطالعان معاً، وأيديهما تداعب أحدهما الآخر. كانا يطبعان القبلات على الصور المثيرة للشهوة الجنسية، فماهما الملتصقان معاً، يهويان على مؤخرات النساء الضخمة البارزة، على السيقان المفتوحة كفرجار، رجال يقعون كالكلاب، بأعضاء ذكورة ضخمة تكاد تنسحب على الأرض.

كان هناك صورة لإمرأة مُعذَبة، مخوزقة على عصا سميكة دخلتْ في فرجها وخرجتْ من فمها. كانت تظهر عليها ملامح الامتلاك الجنسي التام وأوقظت في إيلينا إحساساً بالنشوة. حين امتلكها بيير، بدا لها أن السعادة التي شعرت بها عندما هاجمها قضيبه انتقلتْ إلى فمها. فتحته، وبرز لسانها إلى الأمام، كما في الصورة، كما لو أنها أرادتْ عضو ذكورته في فمها في الوقت نفسه.

طوال أيام عدة كانت إيلينا تستجيب بجنون، تقريباً أشبه بإمرأة تكاد تفقد صوابها. غير أن بيير اكتشف أن خصاماً ما أو كلمةً فظة صادرة منه يمكن أن تكبح ذروتها وتقتل اللهب الإيروسي في عينيها.

حين استنفذا بِدع الإيروتيكا، وجدا عالماً جديداً ـ عالم الغيرة، الرعب الريبة، الغضب، الضغينة، التنافر، عالم النضال الذي يخوضه البشر بين الحين والآخر ضد الآصرة التي تربط أحدهما بالآخر.

سعى بيير الآن إلى أن يمارس الحب مع الذوات الأخرى لـ إيلينا، الذوات المدفونة عميقاً، الذوات الرقيقة جداً. راقب نومها، راقب فستانها، راقبها وهي تمشط شعرها أمام المرآة. فتش عن مفتاح روحي لكينونتها، مفتاح يستطيع أن يصل إليه بشكل جديد من الجماع. لم يعدْ يتجسس عليها كي يتأكد من أنها استمتعتْ بذروة جنسية، لسبب بسيط جداً ألا وهو أن إيلينا قررتْ الآن أن تتظاهر بالاستمتاع حتى عندما لم تكنْ تحس به.

أصحبتْ ممثلة من الطراز الأول. أظهرت كل أعراض اللذة: تقلص الفرج، تسارع النَفَس، النبض، تسارع نبضات القلب، التراخي المفاجئ، الخمود، ضباب نصف الإغماء الذي يعقبه. كان بوسعها أن تتظاهر بكل

شيء ـ بالنسبة لها ممارستها الحب وممارسة الحب معها كانا مختلطين بصورة تامة جداً مع سعادتها بحيث كان بمستطاعها أن تحقق استجابةً عاطفية لاهثة، حتى عندما لاتحس بمتعة جسدية ـ بكل شيء، هو ذاك، عدا الوجيب الداخلي للذروة الجنسية. غير أن هذا، عرفت هي، كان يصعب اكتشافه مع القضيب. كانت تجد كفاح بيير في الحصول دوماً على ذروة جنسية منها مدمراً، وتكهنت أنه ربما ينتهي تماماً في أن يسحب ثقته بحبها وفي الختام يفصلهما الواحد عن الآخر. اختارتْ سبيل الإدعاء.

لذا الآن حوّل بيير اهتماماته إلى نوعٍ آخر من التودد. حالما تدخل كان يلاحظ كيف كانت تتحرك، كيف تخلع معطفها وقبعتها، كيف تهز شعرها، أي نوع من الأقراط تلبس في أذنيها. كان يعتقد أنه من خلال هذه العلامات كلها يمكنه أن يكتشف مزاجها. بعدها هذا المزاج يصبح سببه للإخضاع. اليوم هي أشبه بطفلة، مرنة، شعرها محلول، رأسها منحنٍ بعفوية من جراء عبء حياتها كلها. وضعتْ كميةً أقل من مساحيق التبرج، يلوح على وجهها تعبير بريء، كانت ترتدي فستاناً خفيفاً ذا ألوان صارخة. اليوم سوف يداعبها برفق، بوداعة، ملاحظاً مثالية أصابع قدميها، على سبيل المثال، الحرة على غرار أصابع اليد، أي يد؛ ملاحظاً كاحليها، اللذين تظهر من خلالهما أوردة زرق باهتة؛ ملاحظاً بقعة الحبر الصغيرة التي وُشمتْ إلى الأبد تحت ركبتها، حيث، عندما كانت في الخامسة عشرة ـ تلميذة مدرسة وترتدي جوارب سوداً ـ غطت ثقباً صغيراً في الجورب بالحبر. كُسر رأس قلم الحبر خلال العملية، جرحها وعلّم بشرتها بصورة أفضل. كان ينظر إلى إظفر مكسور لأحد

أصابع اليدين بحيث أنه ربما يأسى لفقدانه، لمنظره المحزن المقطوع بين أظفارها الأخرى الطويلة، المدببة. كان يقلق على آلامها الصغيرة كلها. كان يقرب إليه الفتاة الصغيرة الساكنة فيها، تلك التي كان يود التعرف إليها. سألها: "إذاً كنتِ ترتدين جوارب قطنية سوداً؟"

" كنا في غاية الفقر، كما كان ذلك جزءاً من الزي الرسمي للمدرسة."

"ماذا كنتِ تريدين أيضاً؟"

"بروزات فضفاضة ذوات ياقات بحرية وتنورات زرقاً داكنة، التي كنتُ أكرهها. كنتُ أحب الملابس المبهرجة إلى حد بعيد."

"وتحتها؟" سألها، بتلك البراءة كما لو كان يسألها ما إذا كانت تلبس معطفاً مطرياً في المطر.

"لستُ متيقنة كيف كانت ثيابي الداخلية حينذاك ـ كنتُ أحب التنورات التحتانية التي عليها كشاكش، على ما أتذكر. أنا متأسفة كنتُ مرغمةً على لبس ثياب داخلية صوفية. وفي الصيف، أرتدي قمصاناً تحتانية وسراويل تحتانية فضفاضة مزمومةً عند الركبتين كلها بيضاء اللون. لم أكنْ أحب هذه السراويل. كانت منتفخةً جداً. حلمتُ بالدانتيلا يومذاك، وكنتُ أتطلع بإستمرار إلى الملابس الداخلية في واجهات المخازن، مسلوبة اللب، متخيلةً نفسي بالساتان والدانتيلا. لن تجد شيئاً مبهجاً في ما يتعلق بالثياب الداخلية لفتاة صغيرة."

إلا أن بيير اعتقد نعم، وأن المسألة لا تفرق كثيراً إذا كانت هذه الثياب بيضاً أو ربما بشعةً، يمكنه أن يتخيل نفسه عاشقاً مدنفاً لـ إيلينا بجواربها السود.

كان يريد معرفة متى خبرتْ ارتعاشها الحسي الأول. كان ذلك خلال القراءة، قالت إيلينا. وبعدها عندما كانت تبحر في محاذاة الساحل على مزلجة مع غلام رقد بكامل قامته فوقها، وبعدها حين وقعتْ في غرام رجال عرفتهم فقط من بعيد، ذلك أنهم ما إن يقتربون منها، حتى تكتشف عيباً ما يجعلها تنفر منهم. كانت تحتاج إلى الغرباء، رجل تراه عند إحدى النوافذ، رجل شاهدته ذات يوم في الشارع، رجل رأته مرةً في قاعة الحفلات الموسيقية. بعد هكذا لقاءات، كانت إيلينا تجعل شعرها يتدلى هائجاً، تهمل فستانها، المجعد قليلاً وتجلس كامرأة صينية قلقة من جراء وقائع صغيرة وأحزان رقيقة.

بعدها، مضطجعاً إلى جنبها، ممسكاً بيدها فقط، تكلم بيير عن حياته، مقدماً لها صوراً عن نفسه حين كان غلاماً، كي يضاهي صور الفتاة الصغيرة التي قدمتها له. بدا ذلك كما لو أن في كل صورة من الصور ذابتْ الأصداف الأكبر سناً لشخصيتيهما الناضجتين، كهيكل إضافي، كتركيب، كاشفةً اللباب.

إبان طفولتهما، كانت إيلينا ما أصبحتْ عليه فجأةً ومن جديد بالنسبة له ـ ممثلة، مقلدة، إنسانة عاشتْ في فانتازياتها وأدوارها من دون أن تعرف ما كانت تشعر به حقيقةً.

كان بيير متمرداً. نشأ وترعرع وسط النساء، من دون أبيه، الذي مات في البحر. المرأة التي اعتنتْ به عناية الأم بأولادها كانت مربيته، وأمه كانت تحيا من أجل أن تجد من يحل محل الرجل الذي فقدته. لم يكنْ بداخلها إحساس بالأمومة. كانتْ خليلة بالفطرة. عاملتْ ابنها كعشيق صغير السن. دللته بصورة مفرطة، استقبلته صباحاً في فراشها،

الذي كان بوسعه أن يكتشف فيه الوجود الحديث لرجل. قاسمها فطورها الكسول الذي كانت تأتي به المربية، التي كانتْ دوماً تسخط سخطاً شديداً عندما تجد الغلام مستلقياً في الفراش لصق أمه، فقبل لحظة كان عشيقها يستلقي هناك.

كان بيير مغرماً بشهوانية أمه، الجسد يظهر دوماً من خلال الدانتيلا، الخط الخارجي للجسم شفاف بين تنورات الشيفون؛ أحب الكتفين المنحدرتين، الأذنين الضعيفتين، العينين الطويلتين الخادعتين، الذراعين البراقتين البارزتين من الكمين المنفوخين تماماً. كان انشغال بالها يتركز على كيفية جعل الأيام كلها أعياداً. أقصتْ الناس الذين كانوا غير ممتعين، وكل الأفراد الذين كانوا يروون قصص المرض أو سوء الحظ. إذا مضتْ للتسوق، فإنها تفعل ذلك بتبذير، كما لو أنها تتبضع لمناسبة عيد الميلاد، وتبتاع لكل فرد في الأسرة، هدايا للجميع؛ ولنفسها - نزوات وأشياء عديمة الفائدة، كانت تتراكم حولها إلى أن تهبها للناس الآخرين.

في العاشرة كان بيير دخل قبل الآن في كافة الاستعدادات التي ملأتها الحياة بالعشاق المطلوبين. كان يسدي العون عند تبرج أمه، يراقبها عندما ترش المسحوق تحت الذراعين وتدس قطيفة المسحوق في داخل فستانها، بين ثدييها. كان يراها تبزغ من الحمام نصف مغطاة بفستانها الكيمونو، ساقاها عاريتان، ويراقبها وهي ترتدي جواربها الطويلة جداً. كانت تحب أن تمسك بها أربطة جواربها في مستوى عال جداً، بحيث كانت الجوارب تمس تقريباً وركيها. بينما هي ترتدي ثيابها كانت تتحدث عن الرجل الذي سوف تلتقيه، تطري لـ بيير الطبيعة

الأرستقراطية لهذا الرجل، تمدح سحر آخر، فطرية ثالث، عبقرية رابع - كما لو أن بيير سيغدو يوماً ما هؤلاء كلهم بالنسبة لها. -

عندما أصبح بيير في العشرين أعاقت هي كل صداقاته مع النساء، حتى زياراته لبيوت الدعارة. إن الفكرة القائلة بأنه كان يفتش عن نساء يشبهنها لم تترك فيها انطباعاً قوياً. في دور البغاء كان يطلب من العاهرات أن يرتدين ثيابهن من أجله، بتروٍ وبطء، بحيث يكون بوسعه أن يستمتع بسعادة غامضة، غير قابلة للتفسير - السعادة نفسها التي خبرها في حضور أمه. من أجل هذا الطقس كان يطالب بغنج وبثياب خاصة. كانت المومسات يسايرنه ضاحكات. خلال هذه المباريات تصبح رغباته وحشية بصورة مفاجئة؛ كان يمزق الملابس، وممارسته الحب كانت تبدو أشبه باغتصاب.

وراء هذا تكمن الحقول الناضجة لتجربته التي لم يعترف بها لـ إيلينا ذلك اليوم. أعطاها فقط الصبي، براءته الخاصة، انحرافه الخاص.

كانت هناك أيام تصعد فيها إلى السطح شظايا معينة من ماضيه، شظايا إيروسية جداً، تتخلل كل حركة من حركاته، تهب لعينيه التحديق المقلق الذي رأته أول مرة فيه، ولفمه الارتخاء والتهتك، و لوجهه كله تعبيراً لرجلٍ ما فاتته أي تجربة من التجارب. كان بوسعها آنئذ أن ترى بيير وواحدة من مومساته معاً، باحثاً عنيداً عن الفقر، القذارة والإنحلال كون هذه كلها المرافقة الطبيعية الوحيدة لأفعال معينة. ظهر فيها الأباشي، السوقي، رجل الرذيلة الذي كان بوسعه أن يحتسي الخمر طوال ثلاثة نهارات وثلاث ليال، مسلماً نفسه لكل تجربة من التجارب كما لو أنها الأخيرة، مبدداً رغبته كلها على امرأة شديدة البشاعة، يشتهيها

لأنها لم تغتسل، لأن رجالاً كثيرين جداً امتلكوها ولأن لغتها مشحونة بالبذاءات. كان ذلك شغف بتحطيم الذات، بالخسة، بلغة الشارع، بامرأة الشارع، بالخطر. قُبض عليه في غارات الأفيون وأُعتقل لأنه باع لإمرأةٍ ما شيئاً منه.

كان استعداده للفوضوية والفساد الأخلاقي هو الذي منحه بين حين وآخر تعبير رجل قادر على كل شيء، وأبقى في إيلينا عدم ثقتها به. في الوقت ذاته، كان يعي تماماً إنجذابها هي إلى الشيطاني الدنيء، إلى سعادة السقوط، سعادة تدنيس وتدمير الذات المثالية. إنما بسبب حبه لها، لم يكنْ ليسمح لها أن تعيش أياً من هذه معه. كان يخشى أن يلقنها وأن يسلمها إلى رذيلة أو أخرى، إلى إحساسٍ ما لم يكنْ بوسعه أن يهبها إياه. لذا فإن هذا الباب المؤدي إلى العنصر الفاسد في طبيعتها كان لايُفتح إلا لماماً. لم ترغبْ بمعرفة ماذا فعل جسده، فمه، عضو ذكورته. كان يتوجس خيفةً من تعرية الامكانات الكامنة فيها.

"أعرف"، قال، "إنكِ مؤهلة لعشاق كثيرين، وإنني سأكون الأول، وإنكِ من الآن فصاعداً ليس ثمة ما يمنعك من أن توسعي غرامياتك. أنتِ حسية، حسِية جداً."

"أنتَ لا تستطيع أن تغرم مرات كثيرة جداً"، أجابت."أريد أن يمتزج شبقي بالحب. والحب العميق لا يخبره المرء في أحوال كثيرة."

كان يغار من مستقبلها، وهي من ماضيه. كانت تعي أنها في الخامسة والعشرين وهو في الأربعين، وأنه خبر أشياءً كثيرةً كان سئماً منها قبل الآن أما هي فلم تعرفها حتى الآن.

عندما طال الصمت ولم ترَ إيلينا على وجه بيير تعبير البراءة، بل

على العكس، بسمةً مرفرفةً، ازدراءً معيناً في الخطوط الخارجية للشفتين، عندئذ عرفتْ أنه كان يتذكر الماضي. اضطجعتْ إلى جنبه ناظرةً إلى أهداب عينيه الطويلة.

بعد لحظةٍ قال، "إلى أن عرفتك، إيلينا، كنتُ دون جوان. لم أرغبْ أبداً أن أعرف حقاً امرأةً ما. لم أشأ البقاء مع إحداهن. كنتُ أشعر دوماً أن المرأة، أي امرأة، تستخدم سحرها ليس من أجل علاقة شهوانية بل كي تكسب من الرجل علاقةً متينةً ـ الزواج، مثلاً، أو في الأقل الصحبة ـ كي تنال، في الختام، نوعاً من السلام، الامتلاك. كان هذا هو الذي زرع الخوف في داخلي ـ الاحساس بأنه وراء المرأة ذات العلاقات الغرامية المثيرة تختبئ امرأة بورجوازية صغيرة تريد الأمان في الحب. ما جذبني إليك هو أنك بقيتِ الخليلة أنت تحافظين على الحماسة والقوة. عندما تشعرين أنك غير كفوءة لمعركة الحب العظيمة، تتنحين جانباً. ثمة شيء آخر، ليستْ اللذة التي أستطيع أن أمنحها لكِ هي التي تربطك بي. أنتِ تنكرينها عندما لا تكونين مقتنعة عاطفياً. لكنكِ قادرة على الأشياء كلها، على كل شيء. أشعر بذلك. أنتِ منفتحة على الحياة. أنا الذي فتحتك. أول مرة أندم على قدرتي على فتح النساء على الحياة، على الحب. كم أحبك حين ترفضين أن تتصلي مع الجسد، باحثةً عن سبل أخرى للتغلغل إلى الكيان برمته. فعلتِ كل شيء كي تدمري مقاومتي للذة. أجل، في البداية، لم أستطعْ أن أتحمل هذه القدرة التي تملكينها في الإنسحاب. بدا لي أنني أفقد طاقتي."

هذا الكلام أثار من جديد في إيلينا إحساساً بعدم رسوخ علاقتها مع بيير. لم تقرع جرسه من دون أن تسائل نفسها ما إذا كان رجل. في

خزانةٍ عتيقةٍ اكتشف هو كدساً من الكتب المثيرة للشهوة الجنسية مخفية تحت بطانيات عائدة لشاغلي المسكن السابقين. الآن صار يلتقيها يومياً مع قصة كي يجعلها تضحك. أدرك أنه أورثها الحزن. لم يكنْ يعرف أنه حين يمتزج الإيروسي والحساس في امرأةٍ ما، فإنهما يكوّنان آصرةً فعالةً، تقريباً ترسيخاً. كان بمستطاعها أن تفكر فقط في الصور الإيروسية بالارتباط معه، مع جسده. إذا شاهدتْ فيلماً مثيراً من الأفلام التي يراها المرء في الجادات لقاء بنس واحد، فإنها تجلب فضولها أو تجربةً جديدةً إلى لقائهما التالي. بدأتْ تهمس أمنياتٍ معينة في أذنه.

كان بيير يندهش دوماً عندما تكون إيلينا راغبةً بمنحه اللذة من دون أن تنالها هي نفسها. كانت هناك أوقات معينة بعد إفراطاتهما عندما كان متعباً، أقل فعالية، ومع ذلك كان يرغب بتكرار الإحساس بالإلغاء. عندئذ كان يثيرها بمداعباته، بحركة خفيفة لليدين بحيث اقتربتْ من الاستمناء. خلال ذلك كانت يداها تدوران حول قضيبه كعنكبوت رقيق برؤوس أصابع ذكية، مستْ أعصاب الاستجابة الأكثر اختباءً. ببطء، انغلقتْ الأصابع على القضيب، في البداية لاطفتْ غلافه اللحمي؛ بعدها تحسستْ تدفق الدم السميك الذي يمده؛ متحسسةً الانتفاخ الطفيف للأعصاب، الانشداد المفاجئ للعضلات؛ شاعرةً كما لو أنها (أي الأصابع) تعزف على آلة وترية. من خلال درجة التوتر كانت إيلينا تعرف متى لا يستطيع بيير أن يحافظ على صلابة كافية كي يثقبها كانت تعرف متى تستطيع فقط أن يستجيب لأصابعها المتوترة، عندما يريد أن تمارس العادة السرية له بيدها، وفي الحال لذته تبطئ نشاط يديه عليها. عندئذ يكون مخدراً بيديها، يغمض عينيه ويُسلم

نفسه لمداعباتها. مرةً أو مرتين يحاول، كما لو في النوم، أن يواصل حركة يديه، لكنه بعدئذ يضطجع بكسل، كي يتحسس بصورةٍ أفضل المعالجات البارعة الذكية باليد، التوتر المتزايد. "الآن، الآن"، يغمغم. "الآن". هذا يعني أن يدها يجب أن تكون أخف حركةً كي تجاري الانفعال البالغ النابض بداخله. أصابعها تعمل بتناغم مع نبضات الدم المتسارعة، بينما صوته يتوسل قائلاً، "الآن، الآن، الآن."

أعمتْ نفسها عن كل شيء عدا لذته، انحنتْ فوقه، شعرها متدلٍ فمها قريب من عضو ذكورته، مواصلةً حركة يديها وفي الوقت نفسه لاعقةً طرف قضيبه في كل مرةٍ يكون في متناول لسانها ـ هذا، إلى أن بدأ جسده يرتعش ورفع نفسه كي يُلتهم من قبل يديها وفمها، كي يُمحق، ويأتي السائل المنوي، أشبه بمويجات تتكسر على الرمل، كل موجة تتدحرج فوق الأخرى، مويجات من الرغوة المالحة تنبسط على ساحل يديها. ثم طوقتْ القضيب المنهك بفمها برقة، كي تغربل السائل النفيس للحب.

لذته وهبتها فرحاً ما بحيث أنها ذُهلت حين شرع يقبلها بعرفان بالجميل، بينما كان يقول، "لكنك لم تحصلي على أي لذة."

"أوه، نعم،" قالت إيلينا، بصوتٍ لم يستطع أن يرتاب فيه.

ذهلتْ لدى استمرارية شدة نشاطيهما. ساءلتْ نفسها متى يدخل غرامهما عهد السكون.

كان بيير يكتسب الحرية. كان في أحوال كثيرة في الخارج عندما اتصلتْ به هاتفياً. في أثناء ذلك كانت تنصح صديقة قديمة اسمها (كي)، عادت تواً من سويسرا. في القطار التقت (كي) رجلاً يمكن أن يكون الأخ الأصغر سناً لـ بيير. كانت كي دوماً متطابقة جداً مع إيلينا،

مُهيمن عليها جداً من قبل شخصية إيلينا، بحيث أن الشيء الوحيد الذي كان يرضيها هي مغامرة، في الأقل بطريقة سطحية نوعاً ما، مشابهةً لمغامرة إيلينا.

هذا الرجل أيضاً كانت عنده مهمة. ماذا كانت هذه المهمة، لم يكشف النقاب عنها، لكنه استخدمها كمبرر، ربما كعذر، حين كان يمضي بعيداً أو عندما يتعين عليه أن يمضي يوماً كاملاً من دون رؤية كي. ظنتْ إيلينا أنها وهبتْ بديل بيير حيويةً أقوى مما امتلكها فعلاً. أولاً، وهبته قوةً غير طبيعية أفسدتها فقط عادته في النعاس قبل أو بعد الجماع مباشرةً، من دون أن ينتظر أن يشكرها. كان يمر من منتصف حوارٍ ما إلى رغبةٍ مفاجئة في الاغتصاب. كان يكره الثياب الداخلية. علمها أن لا ترتدي أي شيء تحت فستانها. كانت رغبته ملحة - وغير متوقعة. لم يستطع الانتظار. منه تعلمتْ المغادرات المستعجلة من المطاعم، الدوافع الجامحة في سيارات الأجرة مُسدلة الستائر، جلسات استحضار الأرواح خلف الأشجار في الـ (بوا)، الاستمناء باليد في صالات دور السينما - ليس في سرير برجوازي، في دفء وارتياح حجرة نوم. كانت رغبته متنقلة وبوهيمية بوضوح. كان يحب الأرضيات المكسوة بالسجاد، حتى الأرضيات الباردة لحجرات الحمام، الحمامات التركية المحمية، أوكار الأفيون، حيث لايدخن هو بل كان يروق له أن يستلقي معها على حصير ضيق، وعظامهما تؤلمهما في ما بعد بسبب النعاس. كانت مهمة (كي) هي أن تبقى متيقظة بدرجة كافية كي تتبع نزواته، وأن تحاول الإمساك بلذتها المتملصة، في هذا السباق الوحشي، التي ربما تأتي أسهل مع راحة قليلة تطوقها.

لكن لا، تمتع هو بهذه الهيجانات الإستوائية المباغته. تبعته هي كالمسرنمة، مانحةً إيلينا الإحساس بأنها إصطدمتْ به في حلم يقظة، كما لو أنها تصطدم بقطعة أثاث. غالباً، عندما يحدث المشهد بسرعة شديدة كي تزهر هي بشهوانية وبصورة تامة تحت اغتصابه، كانت تضطجع إلى جانبه بينما هو نائم وتكتشف عشيقاً ضليعاً أكثر. كانت تغمض عينيها وتفكر: يده الآن ترفع فستاني ببطء، ببطء شديد. ينظر إليّ أولاً. يد واحدة تستقر على مؤخرتي، والأخرى تبدأ بالاستكشاف، بالانزلاق، بالدوارن. هو الآن يقحم إصبعه هناك، حيث الموضع الرطب. يتلمسه كامرأة تتلمس قطعة من الحرير، كي يرى طبيعته. ببطء شديد.

بديل بيير ينقلب على جنبه، وتكبح(كي) نَفَسها. إذا فاق من نومه يجدها ويراها في وضع غريب. بعدها فجأةً، كما لو أنه خمن أمنياتها، يضع يده بين ساقيها ويتركها هناك، بحيث أنها لن تستطيع أن تتحرك. وجود يده أثارها أكثر من أي وقت مضى. آنئذ تغمض عينيها من جديد وتحاول أن تتخيل يده وهي تتحرك. كي تخلق صورةً حيويةً بصورة كافية لنفسها، كانت تبدأ بتضييق وفتح مهبلها، بصورةٍ إيقاعية، إلى أن تشعر بالذروة الجنسية.

لم يكنْ لـ بيير شيء يخافه من إيلينا التي عرفها وأبحر مطوفاً حولها بصورة رقيقة جداً. إنما كانت هناك إيلينا لا يعرفها، إيلينا الذكورية. مع أنها لا تتخذ شعراً قصيراً أو تلبس زي الرجال، تمتطي حصاناً، تدخن السجائر أو تتردد على الحانات حيث تحتشد نساء من هذا الطراز، كانت هناك إيلينا الذكورية روحياً، الهاجعة فيها راهناً.

في الشؤون كلها عدا شؤون الحب، كان بيير يائساً. لم يكنْ بوسعه

أن يثبت مسماراً في جدار ما، أن يعلق صورةً، أن يصلح كتاباً، أن يناقش المسائل التقنية من أي نوع. كان يحيا في فزعٍ من الخدم، البوابين، السمكريين. لم يكنْ بوسعه أن يتخذ قراراً، أن يوقع عقداً من أي نوع؛ لم يكنْ يعرف ماذا كان يريد.

نشاطات إيلينا اندفعتْ بسرعة في داخل هذه الفجوات. أصبح عقلها أكثر خصوبةً. كانت تشتري الكتب والصحف، تحرض على النشاط، تتخذ القرارات. سمع بيير بهذه الأمور. لاءم ذلك لامبالاته. كانت تفوز في ما يتعلق بالجرأة.

كانت تشعر أنها تحميه. حالما ينتهي العدوان الجنسي، يضطجع هو كباشا ويدعها تحكم. لم يلاحظ إيلينا أخرى تظهر، مؤكدةً تعاريج جديدةً، عاداتٍ جديدة، شخصيةً جديدة. اكتشفت إيلينا أن النساء كن ينجذبن إليها.

دعتها (كي) كي تلتقي ليلى، وهي مغنية نادٍ ليلي ذائعة الصيت، إمرأة ذات جنس مشكوك فيه. ذهبتا إلى منزل ليلى. كانت مضطجعةً في الفراش. كانت الغرفة مضمخة بعطر النرجس، وكانت ليلى تستند على اللوحة الرأسية [٢٤] بطريقة واهنة، مخدرة. حسبت إيلينا أنها كانت تصحو من ليلة شرب، إلا أن هذا كان وضع ليلى الطبيعي. ومن هذا الجسد الواهن جاء صوت رجل. بعدها العينان البنفسجيتان ركزتا نفسيهما على إيلينا، مقيّمةً إياها باحتراس رجالي.

عشيقة ليلى، ماري، دخلتْ الحجرة حينذاك، بصوتٍ صاخب لتنوراتها الحرير الواسعة المنتفخة بفعل خطواتها السريعة. رمتْ نفسها عند قدم السرير وتناولتْ يد ليلى. نظرتْ كل منهما إلى الأخرى بشهوة

جنسية كبيرة جداً بحيث خفضتْ إيلينا عينيها. إن وجه ليلى حاد، أما وجه ماري فغير واضح، وجه ليلى مرسوم بقلم الفحم الكثيف حول العينين كما في النقوش المصرية البارزة، أما وجه ماري فمرسوم بأقلام الباستيل - عينان باهتتان، أجفان خضر كالبحر وأظفار وشفتان مرجانيتا اللون؛ حاجبا ليلى طبيعيان، أما حاجبا ماري، فمجرد خط قلم رصاص. حين كانتا تنظران إلى إحداهما الأخرى كانت قسمات ليلى تبدو وكأنها تذوب، أما قسمات ماري فتبدو وكأنها تنال بعض وضوح قسمات ليلى. إلا أن وجهها بقي غير حقيقي، وتعابيرها لا نهائية، عائمة. كانت ماري مضطربةً في حضور إيلينا. بدلاً من أن تعبر عن العداء أو الخوف، اتخذتْ الموقف الأنثوي، كما لو أنها بإزاء رجل، وسعتْ إلى أن تفتنها. لم تحبذ الطريقة التي كانت ليلى تنظر بها إلى إيلينا. جلستْ قرب إيلينا، ثانيةً ساقيها تحتها كفتاةٍ صغيرةٍ، ومبرزةً فمها إلى الأعلى صوبها بينما كانت تتكلم، بصورةٍ مغرية. غير أن هذه التكلفات (جمع تكلف) الصبيانية كانت هي بعينها التكلفات التي كانت إيلينا تكرهها في النساء. استدارتْ نحو ليلى التي كانت إيماءاتها ناضجة وبسيطة. قالت ليلى، "لنذهب سويةً إلى الأستوديو. سأرتدي ثيابي." حين وثبتْ خارج سريرها هجرتْ كسلها. كانت طويلة القامة. استخدمت فرنسية قاطع طريق باريسي، كغلام، إنما بوقاحة ملكية. ما كان بمستطاع أحد أن يستخدمها ضدها. لم تكنْ تسلي في النادي الليلي، كانت تحكم. كانت مركزاً مغناطيسياً لعالم النساء اللواتي يعدّن أنفسهن محكومات برذيلتهن. كانت تجلدهن كي يكنَّ فخورات بانحرافاتهن، وليس مستسلمات لأخلاقهن البورجوازية. شجبتْ بقوة حوادث الانتحار

والانحلال. كانت تحبذ النساء الفخورات بكونهن سحاقيات. وضعتْ هي القدوة. كانت ترتدي ثياب الرجال بالرغم من أنظمة الشرطة. لم يتحرشْ بها أحد. فعلتْ ذلك بكياسة ورباطة جأش. كانت تمتطي صهوة الحصان في الـ (بوا) مرتديةً ثياب الرجال. كانتْ في منتهى الأناقة، لطيفة جداً، أرستقراطية جداً، بحيث أن الناس الذين لم يكونوا يعرفونها انحنوا لها، بصورةٍ لا واعية تقريباً. كانت تجعل النساء الأخريات يرفعن رؤوسهن. كانت هي المرأة الذكورية التي عاملها الرجال بصفتها رفيقاً. مهما كانت الروح القابعة وراء هذا السطح الصقيل فاجعةً.

دخلت في غنائها، الذي بوساطته مزقتْ هدوء الناس إلى قطع صغيرة، ناشرةً القلق والحسرات والنوستالجيا أينما حلت.

في سيارة الأجرة، جالسةً لصقها، تحسستْ إيلينا ليس قوتها بل جرحها السري. غامرت بإيماءة تنم عن الرقة. أخذتْ اليد الملكية واحتفظت بها. لم تدعْ ليلى يدها تستقر هناك، لكنها استجابتْ للضغط بقوة عصبية. عرفتْ إيلينا قبل الآن ما الذي أخفقت هذه القوة عن تحقيقه لها: الإتمام. يقيناً، صوت ماري الناشج وحيلها الصغيرة الجلية ما كانت لتقنع ليلى. النساء لم يكن يتحملن كالرجال النساء اللواتي يجعلن أنفسهن صغيرات وضعيفات مقارنةً بغيرهن، ظانات أنهن يلهمن حباً فاعلاً. لابد أن تعاني ليلى أكثر من الرجل، أي رجل، بسبب بعد نظرها فيما يتعلق بالنساء، وكونها غير قابلة للخداع.

حين وصلن الأستوديو، شمتْ إيلينا رائحة غريبة لكاكاو محترق، لكماً طازج. دخلن ما بدا أنه معبد عربي مليء بالدخان. كان حجرةً ضخمة محاطة برواق مكوّن من فجوات في الجدران مؤثثة فقط بالحصران

والمصابيح الصغيرة. الجميع يلبسون الكيمونو. سُلِمَ واحدٌ إلى إيلينا. وعندئذ فهمتْ الأمر. كان هذا وكر من أوكار الأفيون: المصابيح محجوبة، الناس مستلقون، غير مبالين بالقادمات الجديدات؛ سكون عظيم؛ مامن حوارات طويلة البقاء، إنما إشارة بين الحين والآخر. قليل ممن أوقظ الأفيون شهوتهم الجنسية رقدوا في الزوايا شديدة الظلمة، بشكل الملعقة، كما لو أنهم نيام. لكن في الصمت، انطلق صوت امرأة ما بدا أولاً أنها أغنية، ومن ثم اتضح أنه نوع آخر من النطق، نطق طائر غريب قبض عليه أخيراً في موسم التعتيم. كان هناك شابان يمسك كل منهما الآخر، يتهامسان.

سمعتْ إيلينا بين آنٍ وآخر سقوط وسائد على الأرض، انسحاق الألبسة الحريرية والقطنية. نطق المرأة أصبح أوضح، أكثر ثباتاً، تصاعد متناغماً مع لذتها، منتظماً جداً في إيقاعه بحيث أن إيلينا صاحبته بحركةٍ من رأسها، إلى أن بلغ ذروته. رأتْ إيلينا أن هذا الإيقاع أزعج ليلى. لم تشأ أن تسمعه. كان جلياً جداً، أنثوياً جداً، يظهر وسادة الحب اللينة العائدة للنساء المثقوبة من قبل الذكر، مطلقاً مع كل دفعة قوية صرخة صغيرة من جراء الجرح النشوان. مهما كانت تفعل النساء لإحداهن الأخرى، ما كان بوسعهن أن يولدن هذا الإيقاع المتصاعد، هذه الأغنية المهبلية؛ فقط سلسلة من الطعنات، اغتصابات رجل متكررة، بوسعها أن تنتج هذا.

استلقتْ النساء الثلاث على حشيات صغيرة، جنباً إلى جنب. أرادتْ ماري أن تستلقي قريباً من ليلى. لم تسمح لها ليلى بذلك. المضيفة قدمت لهن أنابيب الأفيون. رفضتْ إيلينا أحدها. كانت مخدرة

بصورة كافية بالمصابيح المحجوبة، بالجو المليء بالدخان، بالأشياء الغريبة المعلقة على الجدران، الروائح، الأصوات المكتومة للمداعبات. كان وجهها منتشياً جداً بحيث أن ليلى نفسها ظنتْ أن إيلينا كانت تحت تأثير عقار آخر. لم تدرك أن ضغط يد ليلى في سيارة الأجرة قد زج إيلينا في حالة لا تشبه مطلقاً أي شيء أثاره بيير فيها من قبل.

بدلاً من أن تصل مباشرةً إلى مركز جسدها، صوت ليلى ولمستها غلفاها بعباءة شهوانية من الأحاسيس الجديدة، شيء في ترقب قلق لاينشد الإتمام إنما الإطالة. مثل هذه الغرفة، تستفز المرء بمصابيحها المبهمة، بروائحها القوية، بكواها الظليلة، بأشكالها نصف المرئية، بمتعها الغامضة. حلم. لم يستطع الأفيون أن يكبر أو يوسع أحاسيسها أكثر مما كانت عليه، ولم يكنْ بوسعه أن يهبها إحساساً أعظم بالفرح.

امتدتْ يدها إلى يد ليلى. كانت ماري تدخن في ذلك الحين وعيناها مغمضتان. كانت ليلى مضطجعة، وعيناها مفتوحتان، تتطلع إلى إيلينا. تناولتْ يد إيلينا، أمسكتْ بها برهةً، وبعدها دستها تحت الكيمونو خاصتها. وضعتها على ثدييها. بدأتْ إيلينا تداعبها. فتحتْ ليلى زيها المخيط عند خياط، لم تكنْ تلبس بلوزة. إلا أن بقية جسدها كانت مغلفة بتنورة مُحكمة. عندئذ شعرتْ إيلينا بيد ليلى تتجول برقة تحت فستانها، باحثةً عن فتحةٍ بين أعالي جوربيها وسروالها الداخلي. انقلبتْ إيلينا برفق على ناحيتها اليسرى، بحيث يكون بمستطاعها أن تضع رأسها على صدر ليلى وتقبله.

كانت تتوجس خيفةً من أن ماري ربما تفتح عينيها وتستشيط غضباً. كانت تتطلع إليها بين حين وآخر. ابتسمتْ ليلى. ثم انقلبت كي

تهمس لـ إيلينا: "سوف نلتقي ذات يوم ونكون معاً. هل تريدين هذا؟ هل ستأتين إلى منزلي غداً؟ لن تكون ماري هناك."

ابتسمتْ إيلينا،وافقتْ بإيماءة من رأسها، اختلستْ قبلةً أخرى واضطجعتْ. إلا أن ليلى لم تسحب يدها. راقبتْ ماري وتابعتْ مداعبتها لـ إيلينا. ذابتْ إيلينا تحت أصابعها.

بدا لـ إيلينا أنهما كانتا مستلقيتين هناك لحظة واحدة فقط، لكنها لاحظتْ حينذاك أن الأستوديو أصبح أكثر برودةً وأن الصباح حل. وثبتْ، مندهشةً. بدا الآخرون نائمين. حتى ليلى خمدتْ وهي نائمة الآن. لبستْ إلينا معطفها بسرعة وغادرتْ. الفجر المبكر أنعشها من جديد.

أرادتْ أن تتحدث إلى شخص ما. رأت أنها كانت قريبةً جداً من أستوديو ميغيل. كان ميغيل نائماً مع دونالد. أوقظته من نومه وجلستْ عند قدم السرير. تحدثتْ. لم يكد ميغيل يفهم كلامها. حسب أنها كانت مخمورة.

"لماذا لم يكنْ حبي لـ بيير قوياً بصورة كافية كي يبعدني عن هذا؟" كررت هذا السؤال. "لماذا يرميني غرامي في علاقات غرامية أخرى؟ وعلاقات غرامية مع امرأة؟لماذا؟"

تبسم ميغيل. "لماذا أنتِ خائفة جداً من إنعطافة صغيرة؟ إنها لاشيء البتة. سوف تمر. غرام بيير أوقظ طبيعتك الحقيقية. أنتِ طافحة جداً بالحب. سوف تغرمين بأناس كثيرين."

"لاأريد ذلك، ميغيل، أريد أن أكون كاملة."

"تلك ليستْ خيانة كبيرة، إيلينا. في امرأة أخرى أنتِ فقط تفتشين عن نفسك."

من مسكن ميغيل مضتْ إلى مسكنها، استحمتْ واستراحتْ وذهبت إلى بيير. كان بيير في مزاج رائق. بلطف شديد هدأ شكوكها وكربها السري، ونامتْ بين ذراعيه.

انتظرتها ليلى من دون جدوى. على مدى يومين أو ثلاثة أبعدتْ إيلينا نفسها عن التفكير بها، كاسبةً من بيير براهين أعظم على الحب. كانت تنشد أن تكون مطوّقة، محمية عن الهيام بعيداً عنه.

سرعان ما اكتشفت محنتها. تقريباً بوساطة الغريزة، استبقاها حين أرادتْ أن تغادر بوقت أبكر، منعها بدنياً من أن تذهب إلى أي مكان آخر. ثم مع (كي)، إلتقتْ إيلينا نحاتاً اسمه جين. كان وجهه ناعماً، أنثوياً، فاتناً. إلا أنه كان عاشق النساء. كانت إيلينا في وضع دفاعي. طلب عنوانها. حين أقبل لزيارتها تكلمتْ بهذر ضد الحميمية.

قال جين، "أريد شيئاً محبباً أكثر إلى النفس وأكثر دفئاً."

كانت خائفة. أصبحتْ حتى موضوعية أكثر. كان كلاهما قلقاً. فكرت، الآن فسد الأمر. لن يعود هو. وتأسفتْ على الأمر. كان هناك إنجذاب غامض لم تستطع أن تحدده. كتب لها رسالةً: "حين غادرتك، شعرتُ أني حديث الولادة، مطهراً من ضروب الكذب كلها. كيف استعطتِ أن تلدي ذاتاً جديدةً حتى من دون أن ترغبي بذلك؟ سأخبرك ما جرى لي مرةً واحدة. وقفتُ عند زاوية الشارع في لندن متطلعاً إلى القمر. نظرتُ إليه بمواظبة تامة بحيث نومني. لا أتذكر كيف وصلتُ إلى البيت، بعد ساعات وساعات. شعرتُ دوماً خلال ذلك الوقت أنني وقعتُ في غرام القمر. هذا ما فعلتِه لي، في تلك الزيارة." حين قرأتْ هذا أصبحتْ واعيةً بحيوية بصوته المترنم، بسحره بعث رسائل أخرى مع قطع

من البلور الصخري [٢٥]، مع خنفسة سوداء مصرية. تركتْ الخطابات من دون جواب.

شعرتْ بجاذبيته، غير أن الليلة التي أمضتها مع ليلى وهبتها خوفاً غريباً. عادتْ إلى بيير ذلك اليوم كما لو أنها عائدة من رحلة طويلة وأنها كانتْ مبعدة عنه. كل صلة يجب تجديدها. هذا الانفصال هو الذي توجستْ منه خيفة، البُعد الذي خلقه (أي الانفصال) بين حبها العميق وذاتها.

انتظرها جين عند باب منزلها ذات يوم، ولمحها بينما كانت تمشي بخطى واسعة، مرتعشة، شاحبة من جراء التهيج، غير قادرة على النوم. كانت غاضبة ذلك أنه كان يملك القدرة على أن يثير أعصابها.

بالمصادفة، التي لاحظها هو، كان كلاهما يرتدي ثياباً بيضاً. الصيف غلفهما كان وجهه ناعماً، والهيجان العاطفي في عينيه أوقعها في شباكه. كانت له ضحكة طفل، مليئة بالصراحة والصدق. تحسستْ بيير في داخلها، يتشبث بها، يستبقيها. أغمضتْ عينيها كي لا ترى عينيه. ظنتْ أنها ربما كانتْ تعاني حصراً بسبب العدوى، عدوى حماسته.

جلسا إلى طاولة مقهى متواضع. أراقت النادلة الفيرموت [٢٦]. منزعجاً، طلب أن تمسح الطاولة، كما لو كانت إيلينا أميرة.

قالت إيلينا، "أشعر أنني شبيهة نوعاً ما بالقمر الذي تملكك لحظةً ومن ثم أعاد روحك إليك. ماكان ينبغي لك أن تحبني. ينبغي للمرء أن لا يحب القمر. إذا دنوتَ قريباً جداً مني، سوف أؤذيك."

لكنها شاهدتْ في عينيه أنها آذته في ذلك الحين. مشى بعناد إلى جنبها تقريباً إلى باب شقة بيير السكنية.

وجدته بوجه مُتلف. رآهما في الشارع، تبعهما من المقهى الصغير. راقب كل إيماءة وتعبير مرّ بينهما. قال: "كانت هناك إيماءات عاطفية قليلة جداً بينكما".

كان أشبه بحيوان بري، شعره منسدل على جبينه، عيناه منهكتان. على مدى ساعة كان مكفهر الوجه، خارجاً عن طوره من جراء الغضب والشك. توسلتْ إليه، توسلتْ بحب، أخذتْ رأسه ووضعته على صدرها، مهدهدةً إياه. من جراء الإرهاق التام داهمه النعاس. ثم انسلتْ من السرير ووقفتْ عند نافذته. تضاءل تدريجياً سحر النحات. كل شيء تضاءل تدريجياً مقارنةً بعمق غيرة بيير. فكرتْ بجسد بيير، بنكهته، بالحب الذي ساد بينهما، وفي الوقت نفسه سمعتْ ضحكة جين المراهقة، مؤتمنة، حساسة ورأتْ سحر ليلى الفعال.

كانت خائفة. كانت خائفة لأنها لم تعدْ مرتبطة بصورة متينة بـ بيير بل بامرأة مجهولة، مستلقية في فراشها، لدنة، منفتحة، منفرجة.

استفاق بيير من نومه. مط ذراعيه وقال، "انتهى الأمر الآن." عندئذ بكتْ. أرادت أن تتوسل إليه كي يبقيها سجينة، كي لايدع أحداً يغويها. تبادلا القبلات بشهوانية. استجاب لشهوتها بأن شبكها بين ذراعيه بقوة ما بحيث أن عظامها طقطقتْ. قهقهتْ وقالت، "أنتَ تخنقني." ذابتْ عندئذ، بفعل احساس أمومي، احساس كونها أرادتْ أن تحميه من الوجع؛ هو، من الناحية الأخرى، بدا وكأنه يشعر أن بوسعه أن يمتلكها مرةً وإلى الأبد. غيرته حرضته على نوعٍ من الغضب الشديد. تصاعدتْ الحيوية بداخله بقوة كبيرة بحيث لم ينتظر لذتها. وهي لم تردْ هذه اللذة. شعرتْ بنفسها كامرأة تستقبل طفلاً في كيانها، تسحبه إلى

الداخل كي تهدهده، كي تحميه. لم تشعرْ بحافز جنسي بل بحافز للإنفتاح، للإستقبال، للتغليف فقط.

في الأوقات التي كانت تجد فيها بيير ضعيفاً، كسولاً، متقلباً، جسده مرتخٍ، متملصاً حتى من جهد ارتداء الثياب، جهد التمشي بخطى واسعة في الشارع، حينذاك تشعر بأنها حادة، فاعلة كانت لها مشاعر غريبة عندما كان النعاس يداهمهما معاً. أثناء النوم كان يبدو سريع التأثر. كانت تجد قوتها مستثارة، متيقظة. أرادتْ آنئذ أن تدخله، كرجل، أن تمتلكه. كانت تريد أن تثقبه بطعنة سكين. استلقت بين النوم واليقظة، تماثلتْ مع رجولته، تخيلتْ نفسها أنها صارتْ هو ممتلكةً إياه كما امتلكها هو.

وبعدها، في أزمنة أخرى، تراجعتْ، أصبحتْ هي نفسها ـ بحر ورمل ورطوبة، وما من عناق وقتذاك بدا ضارياً بصورة كافية، وحشياً بدرجة كافية، بهيمياً بما فيه الكفاية.

لكن إذا كان جماعهما بعد غيرة بيير أصبح أكثر ضراوةً، ففي الوقت نفسه كان الجو كثيفاً؛ كانت مشاعرهما في اضطراب؛ كانت هناك كراهية، تشوش، وجع. لم تكنْ إيلينا تعرف ما إذا كان حبهما ترسخ ونبت له جذر أم تشرّب سماً يعجل في خرابه.

هل كان ثمة فرح مبهم في هذا افتقدته هي، كما افتقدت ميولاً مَرضية، مازوشية امتلكها أناس آخرون نحو الهزيمة، التعاسة، الفقر، الإذلال، الإرباكات، الإخفاقات؟ قال بيير مرةً، "أكثر الأشياء التي أتذكرها هي الآلام الكبيرة لحياتي. اللحظات السارة نسيتها تماماً."

بعدها جاءت (كي) لترى إيلينا، (كي) مولودة حديثاً، متألقة.

مزاجها في العيش وسط عشاق عديدين أصبح أخيراً أمراً واقعاً. جاءت لتخبر إيلينا كيف وازنت حياتها بين عشيقها المتلهف وامرأة ما. جلستا على سرير إيلينا، تدخنان، تتكلمان.

قالت كي، "أنتِ تعرفين المرأة، إنها ليلى."

لم تتمالك إيلينا نفسها عن التفكير. إذاً ليلى تحب امرأةً ضئيلة البدن ثانيةً. ألن تحب امرأةً نداً لها؟ امرأةً قويةً مثلها؟ كانت جريحةً من جراء الغيرة. أرادت أن تكون في موضع (كي) محبوبةً من قبل ليلى.

سألت هي: "كيف هو الأمر عندما تكونين محبوبةً من قبل ليلى؟"

"إنه شيء مذهل بصورة لا تصدق، إيلينا. شيء لايصدق. في المقام الأول، هي تعرف دوماً ماذا يريد المرء، في أي مزاج أنا، ماذا أشتهي. هي دقيقة دوماً. تنظر إلى حين نلتقي وتعرف الأمر. كانت تستغرق وقتاً طويلاً في ممارسة الحب كانت تعجز المرء في مكان عجيب - لابد أن يكون مكاناً عجيباً قبل كل شيء، تقول هي. ذات مرة كنا مجبرتين على استخدام حجرة في فندق، لأن ماري كانت تقيم في شقتها. كان المصباح شديد الإضاءة. غطته بسروالها الداخلي. مارستْ الحب مع الثديين أولاً. بقينا ساعات نتبادل القبلات حصراً.انتظرت إلى أن سكرنا بالتقبيل. كانت تريد أن نتجرد من ثيابنا كلها، وبعدها نضطجع ملتصقتين معاً، نتدحرج فوق أحدنا الأخرى، ما نزال نقبل أحدانا الأخرى. جلستْ فوقي كما لو أنها تمتطي ظهر حصان وبعدها جعلتْ تتحرك عليّ، داعكةً إياي. على مدى زمن طويل لم تدعني أبلغ الذروة. إلى أن أصبح الجماع موجعاً. إيلينا، إنه جماع طويل جداً،

متطاول جداً. إنه يجعلك تشعرين بوخز خفيف، يجعلك تريدين المزيد."

بعد هنيهة أضافت قائلةً، "تحدثنا عنك. هي تريد أن تعرف عن حياتك الغرامية. أخبرتها أنك مهووسة بـ بيير."

"ماذا قالت؟"

"قالت إنها لم تعرفْ أبداً بيير سوى كونه عشيق امرأة أشبه بالمومس بيجو."

"بيير أحب بيجو؟"

"أو، على مدى أيام قلائل."

صورة بيير يضاجع بيجو ذائعة الصيت طمستْ صورة ليلى وهي تضاجع (كي). كان يوم الغيرات (جمع غيرة). هل يصبح الحب سلسلةً طويلةً واحدة من الغيرات؟

يومياً كانت (كي) تجلب تفاصيل جديدةً. لم يكنْ بوسع إيلينا أن ترفض سماعها. عبرها كلها، كانت تكره أنوثة كي وتحب ذكورية ليلى. خمنتْ كفاح ليلى من أجل أن تكون متممة وتنبأت بهزيمتها. رأتْ ليلى مرتديةً قميصها الرجالي الحريري وزري كمي القميص الفضيين. أرادتْ أن تسأل (كي) عن شكل سروالها الداخلي. كانت تريد رؤية رداء ليلى.

بدا لـ إيلينا أنه، مثلما أصبح الذكر غير الفعال المصاب بالشذوذ الجنسي صورةً كاريكاتيرية لامرأةٍ بالنسبة لذكر فعال مصاب بالشذوذ الجنسي، فإن النساء اللواتي خضعن لحب سحاقي مهيمن أصبحن صورةً كاريكاتيرية لسجايا النساء الأقل أهمية. (كي) أظهرتْ هذا، بالغتْ في نزواتها ـ ضاجعتْ نفسها من خلال ليلى، حقيقة. معذبةً ليلى، أيضاً، مثلما لم تجرؤ على تعذيب رجل. شاعرة أن المرأة الكامنة في ليلى ستكون متساهلة.

كانت إيلينا متيقنةً من أن ليلى كانت تعاني من القدرة المتوسطة للنساء اللواتي بوسعها أن تمارس الحب معهن. العلاقة لن تكون سامية بصورة كافية، بوصمة الطفالة ( ) خاصتها (أي الخاصة بالعلاقة). تصل (كي)، آكلةً الحلوى التي تخرجه من جيبها كطالبة مدرسة. تجهمتْ. ترددتْ في مطعم ما قبل الطلب، وبعدها غيرتْ طلبها، كي تلعب دور المرأة اللعوب، المرأة ذات الأهواء التي لا تقاوم. في الحال شرعت إيلينا تتملص منها. بدأتْ تفهم المأساة الكامنة وراء علاقات ليلى الغرامية كلها. ليلى اكتسبتْ جنساً جديداً من خلال نموها وراء الرجل والمرأة. فكرت بـ ليلى بصفتها شخصية أسطورية، موسعة، معظمة. ليلى لازمتها.

مقادةً بحدس مبهم، قررتْ الذهاب إلى صالة شاي إنجليزي فوق مخزن لبيع الكتب في رو دي ريفولي، حيث كان يحب الرجال المصابون بالشذوذ الجنسي والسحاقيات أن يحتشدوا معاً. كانوا يجلسون في مجموعات منفصلة. رجال متوحدون في منتصف العمر يفتشون عن غلمان يافعين؛ وسحاقيات بالغات يبحثن عن نساء في مقتبل العمر. كان الضوء ضعيفاً، الشاي عطراً، الكعك متفسخاً بصورة مناسبة.

حالما دخلتْ إيلينا رأتْ ميغيل و دونالد جالسين معاً فانضمت إليهما. كان دونالد منكباً على دوره كمومس. كان يريد أن يري ميغيل كيف أنه قادر على جذب الرجال، كيف أنه من اليسير أن يدفعوا له الأجر لقاء اتصالاته الجنسية كان مستثاراً لأن رجالاً إنجليزياً ذا أهمية كبيرة، أشيب الشعر، رجلاً كان معروفاً عنه كونه يدفع أجوراً سخية لقاء مسراته، نظر إليه. نشر دونالد سحره أمامه، واهباً نظرات مائلة كنظرات

امرأة خلف خمار. كان ميغيل نصف غاضب. قال: "لو أنك فقط عرفتَ ما يطلب هذا الرجل من الغلمان، لكففت عن التغازل معه."

"ماذا ؟" سأل دونالد، بفضول قاتل.

"أتريد حقاً أن أخبرك؟"

"أجل، أريد أن أعرف."

" كان يريد حسب أن يستلقي الغلمان تحته بينما هو يجثم فوق وجوههم، ويغطي وجوههم بـ ـ يمكنك أن تحدس ماذا."

كشر دونالد تعبيراً عن اشئمزازه وتطلع إلى الرجل أشيب الشعر. لم يكدْ يصدق هذا، مشاهدا الجلسة الأرستقراطية للرجل، روعة ملامحه. مشاهداً الرقة التي كان يمسك بها مبسم سيجارته، تعبير عينيه الحالم والرومانسي. كيف كان هذا الرجل حقيقةً ينجز فعلاً كهذا ؟ أنهى هذا دلالات (جمع دلال) دونالد المزعجة.

عندئذ دخلتْ ليلى، شاهدتْ إيلينا وأقبلتْ إلى منضدتهم. كانت تعرف ميغيل ودونالد. كانت تحب تقليدات دونالد الساخرة للطاووس ـ نشر ألواناً خيالية، ريشاتٍ كبيرة لا يمتلكها المرء؛ من دون الشعر الملون، الأهداب الملونة، الأظفار الملونة، التي تملكها النساء. ضحكتْ مع دونالد، أُعجبت بكياسة ميغيل، ثم التفتتْ إلى إيلينا وأغطستْ عينيها الداكنتين في عينيّ إيلينا الخضراوين.

"كيف حال بيير؟ لماذا لا تجلبينه إلى الأستوديو بين حين وآخر ؟ أذهب إلى هناك كل مساء قبل أن أغني. لم تأتِ يوماً لتسمعي غنائي. أنا في النادي الليلي كل ليلة في نحو الحادية عشرة."

بعدها عرضتْ عليها: "هل تدعينني آخذك بالسيارة إلى حيث

تذهبين؟" غـادرتا مـعـاً ودخلتـا في المقـعـد الخلفي لـ ليـمـوزين ليلى السودا ء. مـالتْ ليلى فـوق إيلينا وغطتْ فـمـهـا بشـفـتيـهـا المكتنزتين في قبلة لامتناهية بحيث أن إيلينا كـادتْ تفقد وعـيـهـا. سقـطتْ قبعتـاهما بينمـا كانتـا تردان رأسيـهـمـا على المقـعـدين. ليلى ابتلعـتـهـا. فم إيلينا سقط على حنجرة ليلى، في الشق الطولي لفستانهـا الأسـود، الذي كـان مفتوحاً بين الثديين. تعين عليها فـقـط أن تزيح الحرير بفمها كي تتحسس بداية الثديين.

"هل ستتملصين مني ثانيةً؟" سألتْ ليلى.

إيلينا ضـغطتْ بأصـابعـهـا على الوركين المكسـوين بالحـرير، مـسـتـشـعـرةً اكـتـناز الوركين، امـتـلاء الـفـخـذين، مـداعـبـةً إياها. النعـومـة المعذبة للبشرة وحرير الفسـتـان ذابتا في إحداهما الأخرى. شعـرتْ بالبروز الصـغـيـر لربـاط الجـوارب. أرادتْ أن تفـتـح ركـبـتي لـيلى، هناك تمامـاً. أعطتْ ليلى أمراً للسائق لم تسمعه إيلينـا. غيّرت السيارة اتجاهها. "هذا خطف"، قالتْ ليلى، ضاحكةً ضحكةً عميقةً.

حاسرتي الرأسين، شعرهما متطاير، دخلتـا شقـتـهـا المظلمة، حيث كـانت السـتـائر مـسدلة بإزاء حرارة الصـيـف. قـادتْ ليلى إيلينـا من يدها إلى حجرة نومها وهوتا على السرير المترف معاً. الحرير ثانيةً، حرير تحت الأصابع، حرير بين الساقين كـتـفـان، عنق، شعـر كلها من الحرير. شـفـتـان من الحرير ترتعشان تحت الأصابع. كـان ذلك شبيهاً بالليلة التي أمضتـهـا في وكـر الأفيـون؛ الملاطفات طالتْ، الترقب أبقي إلى حد بعـيد. كل مرة كـانتـا تقـتـربان فـيـهـا من الذروة الجنسـيـة، أمـا ليلى أو إيلينا، مـلاحظةً تسارع الحركة، تستأنف التقـبـيل من جديد ـ حمّام من الجماع، كـمـا

يحتمل أن ينال المرء في حلمٍ لا متناهٍ، الرطوبة تخلق أصوات صغيرة من المطر بين القبلات. كان اصبع ليلى متيناً، آمراً، كعضو ذكورته؛ لسانها، الذي يصل إلى مسافة بعيدة، يعرف زوايا كثيرةً جداً حيث حرك الأعصاب حركةً خفيفةً.

بدلاً من أن تملك لباً جنسياً واحداً، بدا جسم إيلينا وكأنه يملك مليون فتحة جنسية، أصبحتْ حساسة بدرجة متساوية، كل خلية من خلايا البشرة كبرتْ بفعل حساسية فم ما. لحم مؤخرتها انفتح فجأةً وتقلص مع مرور لسان أو أصابع ليلى. ناحتْ، وعضتْ ليلى اللحم، كما لو أنها تروم أن توقظ نواحاً أكبر. لسانها بين ساقي إيلينا كان أشبه بطعنة، خفيف الحركة وحاد. حين جاءت الذروة الجنسية، كانت نابضة الحيوية بدرجة كبيرة بحيث هزتْ جسديهما من الرأس إلى القدم.

حلمتْ إيلينا بـ بيير وبيجو. بيجو ممتلئة الجسد، المومس البهيمة، اللبوة، ربة الوفرة المترفة، جسدها فراش الحسية ـ كل مسامة. من مسامها وكل انعطافة من انعطافاتها. في الحلم كانت يداها تمسكان، جسدها خفف بطريقة جبلية، تنهدية، مهتاجاً، مشبعاً بالرطوبة، طوي إلى عدة طبقات شهوانية. كانت بيجو دوماً ميالةً، هامدةً، متيقظةً فقط إلى لحظة الحب كل سوائل الشهوة تسيل على امتداد الظلال الفضية لساقيها، حول الوركين الشبيهين بالكمان، هابطين وصاعدين مع صوت الحرير الندي حول تجويفي ثدييها.

تخيلتها إيلينا في كل مكان، بالتنورة المحكمة للبغي، دائماً تفترس وتنتظر. أحب بيير مشيتها الداعرة، نظرتها الساذجة، عنادها السُكري (أي المصحوب بالسُكر)، صوتها العذري. على مدى ليال

قـلائل، أحب هو ذلـك الفـرج السـائر، ذلك الرحم المتنقل، المفـتـوحين للجميع.

والآن ربما أحبها من جديد.

عرض بيير على إيلينا صورةً فوتوغرافية لأمه، الأم الخصبة. كان الشبه مع بيجو مروعاً في كل شيء عدا العينين. كانت عينا بيجو مطوقتين باللون البنفسجي الزاهي. أما عينا أم بيير فكانتا تبدوان أكثر عافية. لكن الجسد.

بعدها فكرتْ إيلينا، أنا ضائعة. لم تصدقْ قصة بيير كون بيجو صدّته الآن. بدأتْ تتردد على المقهى الذي التقى فيه بيير وبيجو، آملةً في اكتشاف ينهي شكوكها. لم تكتشف شيئا، سوى أن بيجو كانت تحب الشبان اليافعين، طازجي السحنات، طازجي الأجساد، طازجي الدماء. هدأها ذلك نوعاً ما.

بينما كانت إيلينا تسعى إلى لقاء بيجو وفضح العدو، كانت ليلى تسعى إلى لقاء إيلينا مع الحيل.

والتقتْ النسوة الثلاث، دخلن إلى المقهى نفسه في يوم غزير المطر: ليلى، معطرة وأنيقة، رافعةً رأسها عالياً؛ دثار ثعلب فضي يتموج حول كتفيها فوق ردائها الأسود المزركش؛ إيلينا في مخمل بلون الخمر؛ وبيجو، في زي البغي خاصتها، الذي لم تستطع أن تهجره، الفستان المحكم الأسود والحذاءين بالكعبين العاليين. ابتسمتْ ليلى لـ بيجو، بعدها ميزتْ إيلينا. مرتعشات، الثلاث جلسن قبل المشهيات. ما لم تتوقعه إيلينا هو أن تسكر كلياً بسحر بيجو الشهواني. إلى يمينها جلستْ ليلى، حادة، متوردة، وإلى يسارها، بيجو، كفراش من الحسية

أرادتْ إيلينا أن تسقط فيه.

لاحظتها ليلى وتعذبتْ. بعدها بدأتْ تغازل بيجو، التي كانت قادرة على أن تفعل بصورة أفضل بكثير من إيلينا. لم تكنْ بيجو تعرف النساء على غرار ليلى، كانت تعرف فقط النساء اللواتي عملن معها، اللواتي، عندما لايكون الرجال هناك، ينهمكن مع بيجو في انغماسات مفرطة من القبلات، كي يعوضن عن وحشية الرجال. يجلسن ويقبلن أنفسهن في حالة منوِّمة، كان ذلك كل شيء.

كانت عرضةً لإطراء ليلى اللطيف، لكنها في الوقت نفسه مسحورة مع إيلينا. كانت إيلينا بدعة كاملة بالنسبة لها. كانت إيلينا تمثل بالنسبة للرجال طرازاً من النساء نقيض المومس، إمرأة تضفي على الحب مسحة الشعر وتفرغه في قالب مسرحي، تمزجه مع العاطفة، امرأة تبدو وكأنها مصنوعة من مادة أخرى، امرأة يتصورها المرء وكأنها مخلوقة بوساطة أسطورة. نعم، عرفتْ بيجو الرجال بصورة كافية كي تعرف أن هذه أيضاً امرأة حرضوها كي تبدأ بالانغماس في الشهوات الحسية، امرأة تمتعوا برؤيتها تصبح مستعبدة من قبل الإنغماس في الشهوات الحسية. كلما كانت المرأة أسطورية أكثر، كانت اللذة أعظم في تدنيسها، وإثارة شهوتها الجنسية. في أعماق أعماقها، كانت، دون الحلمية كلها، محظية أخرى، تحيا أيضاً من أجل لذة الرجل.

بيجو، التي كانت مومس المومسات، ودتْ أن تغير المواقع مع إيلينا. المومسات يحسدن دوماً النساء اللواتي يمتلكن القدرة على إيقاظ الرغبة والوهم فضلاً عن الجوع. بيجو، العضو الجنسي السائر من دون تنكر، كانت تروم الحصول على مظهر إيلينا. وكانت إيلينا تفكر كيف

أرادتْ أن تغير المواقع مع بيجو، لأن الرجال - وعلى مدى مرات كثيرة - عندما كانوا يسأمون من التغزل يطلبون الجنس من دونه، بهيمياً ومباشراً. كانت إيلينا تتوق توقاً شديداً كي تُغتصب من جديد يومياً، من دون اعتبار لمشاعرها؛ أما بيجو فكانت تتوق توقاً شديداً كي تكون ذات صفات مثالية. ليلى وحدها كانت راضية بكونها ولدتْ غير خاضعة لإستبداد الرجل، قانعةً بكونها غير خاضعة للرجل. لكنها لم تكنْ تدرك أن تقليد الرجل لم يكنْ ليجعلها متحررةً منه.

أدتْ توددها بلطف، بتملق، مع مومس المومسات. بما أن أياً من النساء الثلاث لم تتخلَ عن حقها، سرن أخيراً بخطى واسعة معاً. دعتْ ليلى إيلينا وبيجو إلى شقتها.

حين وصلن، كانت الأخيرة تفوح برائحة بخور مشتعل. كان الضوء الوحيد يأتي من كرات زجاج مضاءة مملوءة بالماء وبسمك، مرجان، أفراس بحر زجاج، كلها متقزحة اللون. جعل هذا الحجرة تظهر وكأنها واقعة تحت سطح البحر، وهبها مظهر حلم، مكان أطلقت فيه النساء الثلاث الجميلات بصورة مختلفة أشذاءً شهوانيةً بدرجة كبيرة بحيث أن الرجل، أي رجل، سيكون مُنهكاً.

توجست بيجو من الحركة. كل شيء بدا هشاً جداً بالنسبة لها. جلستْ مقاطعة الساقين كامرأة عربية، تدخن. بدتْ إيلينا وكأنها تشع ضوءاً كالكرات الزجاجية. لمعتْ عيناها ساطعتين ومنفعلتين في نصف العتمة. بعثت ليلى سحراً غامضاً إلى كلتا المرأتين، جواً من المجهول.

ثلاثتهن جلسن على الكبنة الواطئة جداً، على بحر من الوسائد يعلو وينخفض بصورة إيقاعية. أول من تحركتْ هي ليلى، التي دستْ

يدها المرصعة بالجواهر تحت تنورات بيجو ولهثت بقليل من الدهشة عند اللمسة غير المتوقعة للحم. حيث توقعتْ أن تجد سروالاً داخلياً حريرياً. اضطجعتْ بيجو وأدارتْ فمها صوب إيلينا، قوتها أُغويت بفعل هشاشة إيلينا، عارفةً أول مرة ماذا يعني أن تشعر كرجل وأن تشعر بتفاهة امرأة تنحني تحت عبء فم، الرأس الصغير مائل إلى الخلف بفعل يديها الثقيلتين، الشعر الخفيف يتطاير هنا وهناك. يدا بيجو القويتان طوقتا العنق اللذيذ ببهجة. أمسكتْ الرأس كما تمسك بكأس بين يديها كي تحتسي من الفم جرعات طويلة من الرحيق، لسانها يتموج.

شعرتْ ليلى بلحظةٍ من الغيرة. كل ملاطفة تمنحها لـ بيجو، كانت بيجو تنقلها إلى إيلينا ـ الملاطفة نفسها. بعد أن قبلتْ ليلى فم بيجو الخصب، أخذتْ بيجو شفتي إيلينا بين شفتيها. حين اندستْ يد ليلى أبعد تحت فستان بيجو، دستْ بيجو يدها تحت فستان إيلينا. إيلينا لم تتحرك، مالئةً نفسها بالكسل. بعدها تزحلقتْ ليلى على ركبتيها واستخدمت كلتا يديها في مداعبة بيجو. حين رفعتْ فستان بيجو إلى أعلى، ردتْ بيجو جسمها إلى الوراء وأغمضتْ عينها كي تتحسس بصورة أفضل حركات اليدين الدافئتين، الحادتين. إيلينا، وهي ترى بيجو تهب نفسها، تجرأتْ على لمس جسدها الشهواني وتعقبتْ كل الخطوط المحيطية للمنحنيات الخصبة ـ سرير من اللحم الأملس، الناعم، المتين من دون عظام، يفوح برائحة خشب الصندل والمسك. تصلبتْ حلمتاها هي عندما لمستْ ثديي بيجو. حين مرتْ يدها حول مؤخرة بيجو، لاقت يد ليلى.

عندئذ شرعتْ ليلى تتجرد من ثيابها، عارضةً مشداً صغيراً ناعماً

أسود ساتان، قيّد جواربها مع أربطة الجوارب السود متناهية الصغر. فخذاها، رشيقان وبيضاوان، ومضا، فرجها بقي في الظل. أرختْ إيلينا أربطة الجوارب كي تتأمل ظهور الساقين الصقيلتين. طرحتْ بيجو فستانها فوق رأسها وبعدئذ انحنت للأمام كي تكمل نزعه، عارضةً بينما هي تفعل ذلك امتلاء إليتيها، النقرات الصغيرة أسفل العمود الفقري، الظهر الملتوي، عندئذ خلعتْ إيلينا فستانها بسرعة. كانت ترتدي سروالاً داخلياً أسود من الدانتيلا كان شقاً طولياً مفتوحاً من الأمام والخلف، كاشفاً فقط الطيات الظليلة لأسرارها الجنسية.

تحت أقدامهن كان ثمة فراء ضخم أبيض. هوين عليه، الأجساد الثلاثة في إنسجام، متحركات الواحدة على الأخرى كي يتحسسن الصدر على الصدر والبطن على البطن. لم يعدن ثلاثة أجساد. أصبحن كلهن أفواهاً وأصابع وألسنة وحواساً. كل فم كان يفتش عن فم آخر، حلمة أخرى، بظر آخر. اضطجعن متشابكات، متحركات ببطء شديد. قبلن إحداهن الأخرى إلى أن أصبح التقبيل عذاباً والجسد أمسى متململاً. كانت أيديهن تجد في أحوال كثيرة لحماً لدناً، فتحةً. الفراء الذي كن يرقدن فوقه بعث رائحة حيوان، امتزجتْ مع الروائح الجنسية.

بحثتْ إيلينا عن جسد بيجو الأكثر امتلاءً. كانت ليلى أكثر عدوانية. كانت بيجو مضطجعة إلى جانبها، إحدى ساقيها مطروحة فوق كتف ليلى، وكانت تقبل بيجو بين الساقين. بين الفينة والفينة كانت بيجو ترتج إلى الوراء، مبتعدةً عن القبلات اللاسعة والعضات، وعن اللسان الذي كان صلباً كقضيب رجل.

حين تحركتْ هكذا، رُميت مؤخرتها كلياً على وجه إيلينا. بيديها:

كانت إيلينا تتمتع بشكليهما، والآن أدخلتْ إصبعها في الفتحة الصغيرة المحكمة. كان بوسعها آنذاك أن تتحسس كل تقلص سببته قبلات ليلى، كما لو كانت تمس الجدار الذي كانت تحرك ليلى لسانها عليه. بيجو، منسحبة عن اللسان الذي فتش عنها، تحركتْ نحو الإصبع الذي منحها الفرح. تم التعبير عن لذتها في تموجات صوتها الشجية، وبين الفينة والفينة، كمتوحش يوبخ بطريقة مهينة، كشفتْ عن أسنانها وحاولتْ أن تعض تلك التي كانت تعذبها.

حين كانتْ على وشك بلوغ الذروة ولم تعدْ قادرة على حماية نفسها من لذتها، توقفتْ ليلى عن تقبيلها، تاركةً بيجو في منتصف المسافة على ذروة إحساس معذِب، نصف مجنونة. توقفتْ إيلينا في اللحظة ذاتها.

الآن أصبحتْ بيجو متعذرة الضبط، كمومسة كبيرة، رمتْ نفسها فوق بدن إيلينا، باعدتْ ساقيها، وضعتْ نفسها بينهما، لصقتْ فرجها بفرج إيلينا، وتحركتْ، تحركتْ بيأس. كرجل الآن، وقعتْ على إيلينا محدثةً صوتاً مكتوماً، كي تشعر بالفرجين يلتقيان، يلتحمان. عندئذ حين شعرتْ بقدوم لذتها أوقفتْ نفسها، كي تطيلها، ارتمتْ إلى الوراء وفتحتْ فمها لصدر ليلى، للحلمتين المحترقتين اللتين كانتا تنشدان مداعبة.

كانت إيلينا الآن أيضاً في نوبة السُعر قبيل الذروة الجنسية. شعرتْ بيدٍ تحتها، يد يمكنها أن تدعك نفسها بها. أرادتْ أن ترمي نفسها على هذه اليد إلى أن تجعلها تبلغ الذروة، غير أنها ودتْ أيضاً أن تطيل لذتها. وتوقفتْ عن الحركة. لاحقتها اليد. نهضتْ، وسافرت اليد

ثانيةً نحو فرجها. عندئذ شعرت ببيجو واقفة بإزاء ظهرها، لاهثة. تحسستْ الثديين النافرين، المس الخفيف لشعر عانة بيجو بأليتيها. دعكتْ بيجو نفسها بها، ومن ثم تزحلقتْ صعوداً ونزولاً، ببطء، عارفة أن الاحتكاك سوف يرغم إيلينا على الاستدارة كي تشعر بهذا على ثدييها، فرجها، وبطنها. الأيدي، الأيدي في الأمكنة كلها في الوقت نفسه. أظافر ليلى المدببة مدفونة في الجزء الأكثر ليونة من كتف إيلينا، بين صدرها وإبطها، مسببةً أذىً، ألماً لذيذاً، النمرة قبضتْ عليها، مثلتْ بها. جسم إيلينا الساخن حد الاحتراق بحيث خشيت أن أي لمسة كفيلة بأن تحدث الانفجار. شعرتْ ليلى بهذا، وانفصلن.

ثلاثتهن ارتمين على الكنبة. توقفن عن اللمس وتطلعن إلى إحداهن الأخرى، معجبات باضطرابهن، ومشاهدات الرطوبة تتلألأ على امتداد سيقانهن الجميلة.

إلا أنهن لم يستطعن أن يبعدن أيديهن عن إحداهن الأخرى، والآن إيلينا وليلى معاً هاجمن بيجو، عازمتين على أن تسحبا منها الإحساس النهائي. بيجو طُوقتْ، غُلفتْ، غُطيتْ، لُعقت، قُبلتْ، عُضتْ، دُحرجتْ من جديد على سجادة الفرو، عُذبت بمليون يد ولسان. هي الآن تتوسل كي تُشبع رغبتها إشباعا كاملاً، باعدتْ ساقيها، سعتْ إلى إقناع نفسها من خلال الاحتكاك مع جسدي الآخرين. ما كانتا لتدعاها. باللسانين والأصابع فتحتاها، من الخلف والأمام، غالباً كانتا تتوقفان كي تمسا لسان إحداهما الأخرى، إيلينا وليلى، فماً لفم، اللسانان يلتفان معاً، فوق ساقي بيجو المنفرجتين. رفعتْ بيجو نفسها كي تستقبل قبلةً تنهي ترقبها. إيلينا وليلى، ناسيتين إياها، ركزتا أحاسيسهما كلها في

لسانيهما، جعلا ينقران أحدهما الآخر. بيجو، نافذة الصبر، مستثارة بجنون، بدأتْ تلاطف نفسها، بعدها دفعتْ ليلى وإيلينا يدها وارتمتا فوقها. جاءتْ ذروة بيجو أشبه بعذاب رائع. في كل تشنج تحركتْ كما لو أنها كانتْ تُطعنْ. كادتْ تصرخ كي ينتهي الأمر.

فوق جسدها المنبطح، إيلينا وليلى استأنفتا تقبيل لسانيهما من جديد، أيديهما تستكشف بترنح إحداهما الأخرى، تثقب في الأمكنة كلها، إلى أن صرختْ إيلينا. أصابع ليلى وجدتْ إيقاعها، والتصقتْ إيلينا بها، منتظرةً انفجار اللذة، بينما كانت يداها هي تسعيان إلى منح ليلى اللذة ذاتها. حاولتا أن تبلغا الذروة في انسجام، إلا أن إيلينا بلغتْ الذروة أولاً، وقعتْ في كومة، انفصلتْ عن يد ليلى، متأثرة بعنف لذتها. ارتمتْ ليلى جنبها، مانحةً فرجها لفم إيلينا. بينما كانت لذة إيلينا تتضاءل تدريجياً، تنقضي، تخمد، منحتْ لسانها إلى ليلى، نقرَ في فم الفرج إلى أن تقلصتْ ليلى وناحتْ. عضت لحم ليلى الرقيق. في نوبة لذتها، لم تشعر ليلى بالأسنان المدفونة هناك.

فهمتْ إلينا الآن لماذا يرفض بعض الأزواج الأسبان تلقين زوجاتهم كل امكانات الجماع - كي يتجنبوا خطر إيقاظ رغبة جنسية نهمة فيهن. بدلاً من أن تكون راضية، مهدئة بواساطة حب بيير، أضحتْ أسرع تأثراً. كلما اشتهتْ بيير أكثر، تعاظم جوعها إلى علاقات غرامية أخرى. بدا لها أنها كانت تملك ولعاً قليلاً في ترسيخ الحب، في تثبيته. كانت تريد فقط لحظة الرغبة الجنسية من أي فرد.

لم ترغب حتى رؤية ليلى ثانيةً. كانت ترغب برؤية النحات جين لأنه الآن في حالة النار تلك التي أحبتها. كانت تريد أن تحترق. فكرتْ

مع نفسها، إنني أتكلم كالقديسة، كوني أريد الاحتراق من أجل الحب. ليس من أجل حب صوفي، بل من أجل لقاء حسي متلِف. بيير أوقظ فيّ امرأةً لم أكن أعرفها، امرأةً لاتشبع.

تقريباً كما لو أنها أرادتْ أن لذتها تكمل نفسها، وجدتْ حين ينتظر عند الباب. كان، كدأبه، يحمل عطيةً صغيرة في علبة، كان يحملها بصورة خرقاء. الطريقة التي تحرك بها جسده، الطريقة التي ارتعشتْ فيها عيناه حين دنتْ منه، كشفتْ قوة رغبته. أُمتلكتْ في ذلك الحين بوساطة جسده، وتحركَ كما لو أنه مركب في داخلها.

"لم تأتِ يوماً لرؤيتي"، قال بتواضع." لم تشاهدي عملي أبداً".

"دعنا نذهب الآن"، أجابتْ، وبخطوة خفيفة، راقصة، سارتْ إلى جانبه. وصلا إلى جزء غريب، غير جذاب من باريس، قرب احدى البوابات، مدينة من السقائف حُولتْ إلى استوديوهات، جنباً إلى جنب مع مساكن الشغيلة. وهناك سكن جين مع التماثيل بدلاً من الأثاث، تماثيل كبيرة الحجم. هو نفسه كان مرناً، متقلباً، مفرط الحساسية، وخلق صلابةً وقوةً بيديه المرتعشتين.

كانت المنحوتات أشبه بالنُصب، خمسة أضعاف الحجم الطبيعي، النساء حوامل الرجال كسالى وشهوانيون، بأيد وأقدام أشبه بجذور أشجار. رجل وامرأة كانا معجونين معاً بحيث لايقدر المرء أن يكتشف الاختلافات بين جسديهما. الخطوط المحيطية ملتحمة معاً بصورة تامة. مقيدين بعضويهما التناسليين، كانا مرتفعين فوق إيلينا وجين.

في ظل هذا التمثال، تحركا نحو أحدهما الآخر، من دون كلمة، من دون بسمة. حتى أيديهما لم تتحركْ. حين إالتقيا، ضغط جين إيلينا على

التمثال. لم يقبلا أو يمسا أحدهما الآخر بأيديهما. إلتقى جذعاهما فقط، مكررين بجسد بشري دافئ إلتحام جسدي التمثال فوقهما. ضغط أعضاءه التناسلية على أعضائها، بإيقاع بطيء، مبهج، كما لو أنه بهذه الطريقة سوف يدخل جسمها.

انزلق إلى الأسفل، كما لو أنه سيجثو عند قدميها، فقط لينهض من جديد، هذه المرة حاملاً فستانها إلى الأعلى تحت ضغطه، بحيث انتهى في كومة منتفخة من القماش تحت ذراعيها. ومرة أخرى ضغط عليها، تحرك تارةً من اليسار إلى اليمين أو من اليمين إلى اليسار، طوراً في دوائر، ثالثةً اندفع إلى داخلها بعنف مضغوط. شعرتْ بحجم رغبته وهو يدعك كما لو كان يقدح ناراً بحجرين، مثيراً الشرارات كل مرة تحرك فيها، وفي الختام انزلقت إلى الأسفل. كما لو في حلم داعر الجسد. وقعتْ في كومة، أمسكتْ ما بين ساقيه، والآن أراد هو أن يثبت هذا الوضع، أن يخلده، كي يسمر جسدها بوساطة الضغط القوي المتواصل لرجولته المنتفخة. تحركا من جديد، تحركتْ هي كي تقدم أعمق أعماق أنوثتها، أما هو فلكي يربطا نفسيهما معاً. قلصتْ نفسها كي تستشعر وجوده أكثر، متحركة بلهاث من السعادة التي لاتطاق، كما لو أنها مستْ النقطة الأكثر تأثراً من كيانه.

أغمض عينيه كي يستشعر استطالة كيانه هذه التي تركز فيها دمه كله والتي (أي الاستطالة) قبعتْ في عتمتها الشهوانية. لم يعدْ قادراً على التراجع واندفع خارجاً كي يجتاحها، كي يملأ رحمها إلى الحافة بدمه، وبينما استقبلتْ هي هذا، الممر الصغير الذي تحرك فيه انغلق حوله بصورة محكمة أكثر، مبتلعةً جوهر كيانه في داخلها.

ألقى التمثال ظله فوق عناقهما، الذي لم يذبْ. لبثا وكأنهما تحولا إلى حجر، مستشعرين بآخر قطرة من اللذة تنحسر. كانت تفكر في ذلك الحين بـ بيير. كانت تعرف أنها لن تعود إلى جين. فكرتْ [غداً سيكون الأمر أقل جمالاً.]فكرت بخوف خرافي تقريباً أنها إذا مكثت مع جين، عندئذ بيير سوف يتحسس الخداع ويعاقبها.

توقعتْ أن تتعرض للعقاب. حين وقفتْ أمام باب بيير توقعتْ أن تجد بيجو هناك على فراشه، ساقاها متباعدتان كثيراً. لماذا بيجو؟ لأن إيلينا توقعتْ الانتقام بسبب خيانة حبها.

دق قلبها بصورة جامحة حينما فتح بيير الباب. تبسك ببراءة. لكن، ألم تكنْ ابتسامتها بريئة؟ كي تتيقن من هذا، تطلعتْ إلى نفسها في المرآة. هل توقعتْ أن يجبرها الشيطان على الظهور في عينيها الخضراوين؟

لاحظت التجاعيد في تنورتها، ذرات الغبار على خفيها. شعرتْ أن بيير سوف يعرف، إذا ضاجعها، إن جوهر جين كان يسري مع رطوبتها. تملصتْ من مداعباته واقترحت أن يقوما بزيارة منزل بلزاك الواقع في باسي.

كانت بعد ظهيرة رائعة ممطرة، بتلك الكآبة الباريسية الرمادية التي ترغم الناس على البقاء في داخل منازلهم، والتي خلقتْ جواً إيروسياً لأنه سقط كالسقف فوق المدينة، مغلفاً إياها جميعاً في هواء ضعيف، كما لو أنهم في فجوة في جدار غرفة، وفي الأمكنة كلها، شيء ما ذكرهم بحياتهم الإيروسية ـ حانوت، نصف مخفي، يظهر الثياب الداخلية وأربطة الجوارب السود والجزمات السود؛ المشية المثيرة للنساء

الباريسيات، في سيارات الأجرة تنقل عشاقاً يطوقون أحدهم الآخر.

منزل بلزاك انتصب في قمة شارع شديد الانحدار في باسي، يطل على السين. تعين عليهما أولاً أن يقرعا جرس باب شقة سكنية، ثم يهبطا مجموعة من الدرجات بدا أنها تؤدي إلى قبو لكنها انفتحت بدلاً من ذلك على حديقة. بعدها توجب عليهما أن يجتازا الحديقة ويقرعا جرس باب آخر. كان هذا باب منزله، مخفياً في حديقة الشقة السكنية، منزل سري ومبهم، مخفي ومعزول جداً في قلب باريس.

المرأة التي فتحتْ الباب كانت أشبه بشبح من الماضي - وجه ذاوٍ، شعر باهت وثياب باهتة اللون، فاقدة الدم. ساكنةً مع مسودات، صور، نقوش بلزاك للنساء اللواتي أُغرم بهن، الطبعات الأولى، كان ثمة ماضٍ زائل نفذ إليها، والدم كله انحسر عنها. كان صوتها بعينه بعيداً، شبحياً. نامتْ في هذا البيت المليء بالتذكارات الميتة. أصبحتْ غير متسجيبة بالقدر نفسه للحاضر. كما لو أنها كانت كل ليلة تضع نفسها في ضريح بلزاك، كي تنام معه.

قادتها عبر الحجرات، وبعدها إلى مؤخرة المنزل.وصلتْ إلى باب مسحور [٢٧]، دستْ أصابعها العظمية الطويلة عبر الحلقة ورفعته لـ إيلينا وبيير كي يشاهداه. كان ينفتح على درج صغير.

كان ذلك الباب المسحور الذي شيده بلزاك كي تستطيع النساء اللواتي كن يزرنه الهرب من مراقبة أو شكوك أزواجهن. إستخدمه أيضاً، للتهرب من دائنيه المزعجين.كان السلم يفضي إلى ممر ومن ثم إلى بوابة تنفتح على شارع معزول والذي بدوره يؤدي إلى السجن. بوسع المرء الهرب قبل أن يكون للشخص الواقف عند الباب الأمامي للمنزل الوقت

الكافي كي يجتاز الحجرة الأولى.

هذا الباب المسحور الذي أثار كثيراً حب بلزاك للحياة استفز إيلينا وبيير كونه شيئاً مثيراً للشهوة الجنسية. همس بيير لها، "أود أن أمتلكك على الأرض، هنا تحديداً."

المرأة الشبح لم تسمعْ هذه الكلمات التي أطلقت بصراحة إنسان أباشي، لكنها استوعبت النظرة التي رافقتها. لم يكن مزاج الزائرين منسجماً مع قدسية المكان وعجلتْ في صرفها إلى الخارج.

نَفَس الموت جلد حواسهما. استوقف بيير سيارة أجرة. في سيارة الأجرة لم يستطعْ الإنتظار. جعل إيلينا تجلس فوقه، ظهرها إليه، جلستْ بامتداد جسمها كله على جسمه، مخفيةً إياه تماماً. رفع تنورتها.

قالت إيلينا، "ليس هنا، بيير. انتظر ريثما نصل إلى البيت. سوف يرانا الناس. من فضلك انتظر. أو، بيير، إنك تؤذيني! انظر، رجل الشرطة يحدق إلينا. والآن توقفنا هنا، والناس بوسعهم أن يشاهدونا من رصيف المشاة. بيير، بيير، توقف عن ذلك."

لكنها طوال الوقت الذي دافعتْ فيه بضعف عن نفسها، وحاولتْ أن تفلت، كانت اللذة تتغلب عليها. مساعيها في أن تجلس بهدوء تجعلها واعية بصورة أقوى بكل حركة من حركات بيير. الآن توجستْ خيفةً من احتمال أن يعجل بيير عمله، بفعل سرعة سيارة الأجرة والخوف من أنها ستتوقف حالاً أمام المنزل وأن يدير سائق التاكسي رأسه نحوهما. وكانت تريد أن تتمتع بـ بيير، أن تؤكد من جديد آصرتهما، تناغم جسديهما. كان السابلة يلاحظونهما. مع ذلك ما كان بمستطاعها أن تنسحب مبتعدةً، والآن طوقها بذراعيه. عندئذ قفزة عنيفة لسيارة

الأجرة فوق حفرة في الدرب قذفتهما فانفصلا عن أحدهما الآخر. كان الوقت متأخراً جداً كي يستأنفا العناق. توقفت سيارة الأجرة. كان لـ بيير الوقت الكافي لأن يزرر نفسه. شعرتْ إيلينا أنهما حتماً ظهرا سكرانين، متغضني الملابس. تراخي جسدها جعل سيرها أمراً صعباً.

كان بيير ممتلئاً بمتعة منحرفة من جراء هذا الانقطاع. تمتع بإحساسه أن عظامه ذابتْ إلى النصف في جسده، وبالانسحاب الموجع تقريباً للدم. شاطرته إيلينا نزوته الجديدة، وفي ما بعد اضطجعا على الفراش مداعبين أحدهما الآخر ومتحدثين. عندئذ أخبرت إيلينا بيير بالقصة التي سمعتها صباح ذلك اليوم عن شابة فرنسية كانت تخيط لها ثيابها:

"اعتادتْ مادلين أن تعمل لمتجر تنويعي ضخم. انحدرتْ هي من أفقر العوائل التي تجمع النفايات في باريس كلها. أبوها وأمها كلاهما كانا يعيشان على جمع علب النفايات وبيع كسر الصفيح، الجلد والورق التي كانا يعثران عليها. وُضعتْ مادلين في قسم أثاث حجرة النوم الفخم، تحت إشراف ناظر لطيف، مُشمع، مُنشى. لم تنمْ مادلين يوماً على سرير، بل فقط على كومة من الخرق والجرائد في كوخ.عندما لايتطلع إليها الناس كانت تتلمس أغطية السرير الساتان، الأفرشة، وسائد الريش، كما لو كانت فرو القاقوم، أو فرو الشنشيلة (٢٨) النفيس. كانت لها موهبة باريسية طبيعية في الظهور بملابس فاتنة بالمال الذي كانت النساء الأخريات ينفقنه على الجوارب فقط. كانت جذابة، ذات عينين ظريفتين، شعر أسود مجعد ومنحنيات مستديرة جيداً. أظهرت موهبتين، أحدهما في سرقة قطرات من العطر أو ماء الكولونيا من قسم العطور، والأخرى هي أن تنتظر ريثما يغلق المتجر كي تستطيع أن

تستلقي على واحد من أكثر الأسرّة ليونةً وتتظاهر بأنها نائمة هناك. كانت تفضل الأسرّة ذوات الظُلل. كانت تشعر بأمان أكثر وهي مضطجعة تحت الأغطية. كان الناظر عادةً في عجلةٍ من أمره كي يتغاضى عن كونها تركتْ وحيدةً على مدى بضع دقائق كي تشبع رغباتها في هذه الفانتازيا. كانت تعتقد أنها حين تستلقي في هكذا سرير فإن سحرها الأنثوي سوف يزداد مليون مرة، وكانت تتمنى أن يراها رجال أنيقون سبق لها أن شاهدتهم في الشانزليزيه ويدركون كيف ستبدو حسنة المظهر في حجرة نوم جميلة.

"أصبح خيالها الجامح أكثر تعقيداً. رتبت الأمور بحيث تكون لديها منضدة زينة مزودة بمرآة موضوعة أمام السرير بحيث يكون بوسعها أن تعجب بنفسها وهي مستلقية هناك. بعدها، ذات يوم، حين أنجزتْ كل خطوات الطقس، رأتْ أن الناظر كان يراقبها بذهول. حين همتْ بالقفز من السرير أوقفها.

"[سيدة]، قال (كانت تدعى دوماً آنسة)، [أنا مبتهج بالتعرف إليك. آمل أن تكوني مسرورة بالسرير الذي صنعته لك، على وفق طلباتك. هل تجدينه ليناً بدرجة كافية؟ هل تعتقدين أن السيد كومتي سوف يحبه؟["]السيد كومتي لحسن الحظ غائب لمدة أسبوع، وسأكون قادرة على الاستمتاع بسريري مع شخص آخر]، أجابت. بعدها جلستْ وقدمتْ يدها للرجل.]الآن قبلها كما تقبل يد سيدة في بهو. [باسماً، فعل ذلك بأناقة لطيفة. ؟ عندئذ سمعا صوتاً واختفيا كلاهما في اتجاهين مختلفين.

"كانا يسرقان يومياً خمس أو عشر دقائق من صخب ساعة

الإغلاق. متظاهرين بوضع الأشياء في نصابها، في نفض الغبار، في تصحيح الأخطاء في بطاقات الأسعار، كانا يرتبان المشهد الصغير. كان يضيف أكثر اللمسات تأثيراً - برافان. بعدها ملاءات ذوات حافات مزينة بالدانتيلا من قسم آخر. وبعدها كان يرتب السرير ويطوي غطاء السرير. بعد أن يقبل يديها، كانا يتحاوران.كان يدعوها نانا. بما أنها لم تكنْ تعرف الكتاب، أعطاه لها [٢٩]. مايهمه الآن هو التأثير المتنافر لفستانها الأسود الصغير المحكم على غطاء السرير فاتح اللون. كان يستعير مبذلاً شفافاً لبسه (مانيكين) خلال النهار ويغطي مادلين به. حتى إذا مرّ بائع أو بائعة من المتجر، فإنهما لن يريا المشهد الواقع خلف البرافان.

"بعد أن استمتعت مادلين بتقبيل اليد، أودع قبلةً في أعلى ذراعها، في الركن الكائن في داخل المرفق. كان الجلد هناك حساساً، وحين كانت تطوي ذراعها، بدا كما لو أن القبلة كانت مطوقة ومحتضنة. جعلتها مادلين تستقر هناك كزهرة محفوظة وفي ما بعد، حين كانت وحدها، فتحت ذراعها وقبلتْ الموضع نفسه كما لو أنها تبتلعه بحميمية أكثر. هذه القبلة، المودعة برقة كبيرة، كانت أكثر فعاليةً من كل القرصات البذيئة التي تلقتها في الشارع تقديراً لجمالها أو من كل العبارات الفاحشة التي همس بها عمال المتجر:

تعال كي أرتشفك.

"في البدء جلس عند قدم السرير، بعدها مدد نفسه بجانبها كي يدخن سيجارة بكل طقس حالم الأفيون. مواطئ منبهة في الناحية الأخرى من البرافان منحتْ لقاءهما السرية ومخاطر موعد عاشقين. عندئذ تقول مادلين، |أتمنى أن نستطيع الإفلات من المراقبة الغيورة

للكونت. إنه يزعج اعصابي.]غير ان معجبها كان حليما جدا كي يقول، [تعالي معي إلى فندق صغير متواضع.]كان يعرف أن هذا لايمكن أن يحدث في حجرة حقيرة، في سرير من النحاس الأصفر ذي بطانيات ممزقة وملاءات رمادية اللون. أودع قبلةً في أكثر زوايا عنقها دفئاً، تحت الشعر المجعد، ومن ثم على طرف أذنها، حيث لم تستطع مادلين أن تتذوقها في ما بعد، حيث كان بوسعها حصراً أن تمسها بأصابعها. كانت أذنها محترقة طوال اليوم بعد هذه القبلة لأنه بدأ يعضها.

"حالما تستلقي مادلين كان يهيمن عليها التراخي، الذي ربما كان يُعزى إلى تصورها عن السلوك الأرستقراطي، أو إلى القبل التي انهمرت الآن كالقلائد حول حنجرتها وبعيداً إلى الأسفل حيث يبدأ الثديان. لم تكنْ عذراء، غير أن وحشية الاعتداءات التي عرفتها سابقاً، دُفعتْ إزاء جدار ما في الشوارع المظلمة، رُميتْ على أرضية شاحنة، أو تشقلبتْ خلف أكواخ جامعي النفايات حيث كان يتزاوج الناس من دون حتى أن يكلفوا أنفسهم أن يروا وجه أحدهم الآخر، هذه كلها لم تثرها مثلما أثارتها المغازلة التدريجية والاحتفالية لحواسها. مارس الحب مع ساقيها ثلاثة أو أربعة أيام. جعلها تنتعل خفي حجرة نوم مكسوين بالفراء، خلع جواربها وقبل قدميها وأمسك بهما كما لو كان يمتلك جسدها كله. في الوقت الذي أصبح فيه جاهزاً لرفع تنورتها كان أوقد اللهب في بقية أنحاء جسمها بصورة تامة بحيث كانت مستعدة للامتلاك النهائي.

"بما أن الوقت كان قصيراً وأنهما كانا من المتوقع أن يغادرا المتجر مع الآخرين، توّجب عليه أن يمتنع عن المداعبات عندما كرّس نفسه

لإمتلاكها. وهي الآن لاتعرف ماذا كانت تحب أكثر. إذا كانت مداعباته متمهلة جداً لن يكون له الوقت الكافي لإمتلاكها. إذا تقدّم مباشرةً، ستشعر بمتعة أقل. خلف البرافان الآن وقعتْ المشاهد التي حدثت في أكثر حجرات النوم إسرافاً، إنما بصورة أسرع، وفي كل مرة توّجب أن تُكسى (المانكين) بالثياب من جديد، وأن يرتب السرير. مع ذلك لم يلتقيا خارج هذه اللحظة.كان هذا حلمهما حالياً. كان يزدري مغامرات زملائه الدنيئة في فنادق الفرنكات الخمسة. فعل كما لو أنه زار أكثر المومسات إغراءً في باريس، وكان حبيب القلب لإمرأةٍ إستبقاها أغنى الرجال."

"ألم يتحطم الحلم أبداً؟" سأل بيير.

"أجل. أتتذكر الاضراب عن العمل لأضخم المتاجر التنويعية؟ المستخدمون مكثوا فيها مدة أسبوعين. خلال ذلك الوقت اكتشف أزواج آخرون ليونة أفضل الأسرّة، الدواوين والأرائك والكراسي الطويلة، واكتشفوا الاختلافات التي بوسعهم أن يضيفوها لأوضاع الحب عندما تكون الأسرة واسعة وواطئة وأقمشة ثمينة تدغدغ الجلد. حلم مادلين أضحى ملكية عامة وكاريكاتيراً قذراً للملذات التي عرفتها. عزلة لقائهما بعشيقها وصلتْ إلى نهاية ما.

سماها آنسة ثانيةً وسمته هي سيداً. لا بل بدأ يجد خطأ في فن البيع خاصتها وختاماً تركت المتجر."

اشترت إيلينا بيتاً عتيقاً في الريف كي تقضي فيه شهور الصيف، بيتاً كان بحاجة إلى الصبغ. وعدها ميغيل أن يبدي لها المساعدة. بدأ في العلية، التي كانت فاتنة ومعقدة، مؤلفة من سلسلة من الحجرات

الصغيرة غير المنتظمة، حجرات ضمن حجرات أحياناً، أُضيفت كأفكار خطرتْ في البال لاحقاً.

كان دونالد هناك، أيضاً، غير أنه لم يكنْ مولعاً بالصبغ، مضى كي يستكشف الحديقة الواسعة والقرية والغابة المحيطة بالمنزل. إيلينا وميغيل عملا وحدهما، مغطيين نفسهيما فضلاً عن الجدران العتيقة بالصبغ. حمل ميغيل فرشاته كما لو كان يرسم بورتريه، وإبتعد عن المكان كي يلقي نظرة عامة على تقدّمه. العمل معاً أعادهما إلى أمزجة شبابهما.

كي يثيرها ـ تحدث ميغيل عن "مجموعة المؤخرات" خاصته، مدعياً أن هذا الجانب الخاص من الجمال هو الذي أبقاه مفتوناً، لأن دونالد كان يمتلكه (أي الجانب) إلى أقصى الدرجات ـ فن إيجاد مؤخرة ليستْ كروية جداً، كمؤخرة معظم النساء، ليستْ مسطحة جداً، كمؤخرة غالبية الرجال، إنما شيء بين هذين النوعين، شيء يستحق الإمساك به.

كانت إيلينا تضحك. كانت تفكر بأن بيير حين يدير ظهره لها، يصبح كامرأة بالنسبة لها، وكانت ترغب بإغتصابه. كان بوسعها أن تتخيل جيداً مشاعر ميغيل حين يلامس مؤخرة دونالد.

"إذا كانت المؤخرة مدورة بصورة كافية، متينة، وإذا لم يكن الغلام حقق انتصاباً"، قالت إيلينا، "عندئذ ليس ثمة فرق كبير جداً عن امرأة. أمازلتَ تشعر بالفرق؟"

"نعم، بطبيعة الحال. فكري كم سيكون الأمر مزعجاً عندما تكتشفين أن لاشيء هناك، وكذلك حين تجدين الكثير جداً من البروزات الثديية هناك في الأعلى ـ ثديان مخصصان للحليب، شيئاً ما يشل

الشهية الجنسية للمرء."

"بعض النساء يمتلكن حاملات حليب صغيرة جداً"، قالت إيلينا.

جاء دورها في الوقوف على السلم كي تصل افريزاً والزاوية المائلة من السقف. حينما صعدت ذراعها ارتفعتْ تنورتها إلى أعلى. لم تكنْ ترتدي جوارب. كانت ساقاها ملساوين ورشيقتين، من دون "مبالغات كروية" ، كما قال ميغيل، مقدماً لها المدح الآن كون علاقتهما مصانة من أي أمنيات جنسية من جانبها.

كانت رغبة إيلينا في إغواء رجل مصاب بالشذوذ الجنسي خطأ شائعاً عند النساء. كانت هناك عادةً نقطة من فخر الأنثى في هذه المسألة، رغبة في اختيار طاقة الإنسان بإزاء النزاع العسير، إحساس ، ربما، بأن الرجال كافة كانوا يتهربون من دورهم وأنهم يجب إغواؤهم ثانيةً. عانى ميغيل من هذه المحاولات يومياً. لم يكنْ هو متخنثاً. كان يعز نفسه جيداً، كانت إيماءاته رجالية. حالما تبدي إمرأة ما توددها نحوه، يغدو في حالة رعب. في الحال يتنبأ بالدراما كلها: تعدّي المرأة، تفسيرها لكسله على أنه مجرد جبن، خطواتها إلى الأمام، كراهيته للحظة التي يتوجب عليه فيها الصد عنها. لم يكنْ يستطيع أن يفعل هذا بلا مبالاة هادئة. كان رقيقاً ورحيماً جداً. كان يعاني أحياناً أكثر من المرأة، التي كان غرورها أهم الأشياء. كان له علاقة عائلية بدرجة كبيرة مع النساء، بحيث كان يشعر دوماً كما لو أنه كان يجرح أماً، أختاً، أو إيلينا ثانيةً، في تحولاتها الجديدة.

الآن عرف أي أذىً سببه لـ إيلينا في كونه أول من غرس فيها الشك في قدرته على أن تحب أو بأن تُحب. كل مرة يتخلص فيها من

عرض للصداقة من جانب امرأة ما، كان يخيل إليه أنه يرتكب جريمةً صغيرةً، يقتل إخلاصاً وإيماناً من أجل الخير.

كم جميل أن يكون مع إيلينا يستمتع بمواهبها الأنثوية الطبيعية من دون خطر. كان بيير يولي اهتماما بـ إيلينا الحسية. في الوقت نفسه، كم كان ميغيل يغار من بيير، مثلما كان يغار من أبيه حين كان طفلاً. كانت أمه تصرفه دوماً من حجرتها حالما يدخل والده. كان الأب يتحرق شوقاً كي يغادر ابنه الغرفة. كان يبغض الطريقة التي يحبسان فيها نفسيهما معاً على مدى ساعات عدة. حالما يغادر أبوه، يعود إليه حب أمه، عناقاتها، قبلاتها.

"حين قالت إيلينا، "سوف أرى بيير"، كان الأمر نفسه. ما من شيء يستطيع أن يكبحها. مهما كان حجم السعادة التامة التي نالاها معاً، مهما كان حجم الرقة التي أغدقتها على ميغيل، عندما يحين الأوان الذي يجب أن تكون فيه مع بيير، ما من شيء يستطيع أن يمنعها.

غموض ذكورة إيلينا سحره، أيضاً. في كل مرة يكون معها، يشعر بهذا الفعل الحيوي، الفعال، الإيجابي لطبيعتها. في وجودها، كان يُصعق بتيار كهربائي منبعث من كسله، غموضه، مماطلاته. كانت هي المحفز.

تطلع إلى ساقيها. ساقي ديانا(٢٠) الصيادة، المرأة - الغلام. ساقين للعدو الوثب. سيطر عليه فضول طاغٍ لرؤية بقية جسدها. دنا من السلم. الساقان المؤسلبتان اختفتا في السروال الداخلي ذي الحافات المزينة بالدانتيلا. كان يريد أن يرى أبعد من ذلك.

خفضت بصرها ناظرةً إليه وشاهدته واقفاً يتطلع إليها بعينين مفتوحتين على وسعهما.

"إيلينا، أود أن أرى كيف خُلقتِ."

ابتسمتْ له.

"هل تدعينني أنظر إليك؟"

"أنتَ تنظر إليّ الآن."

رفع حافة. تنورتها إلى الخارج فانفتحتْ كمظلة صيفية فوقه، مخفياً رأسه عنها. بدأتْ تنزل الدرج إلا أن يديه أوقفتاها. أمسكتْ يداه بالحزام المطاطي للسروال الداخلي ومطه (أي السروال) كي يزحلقه إلى الأسفل. بقيت في منتصف المسافة على السلم، إحدى الساقين أعلى من الأخرى، الأمر الذي منعه من نزع السروال الداخلي كلياً. سحب الساق إلى الأسفل نحوه، بحيث يكون بوسعه أن يخلع السروال بكل معنى الكلمة. وضع يديه بهيئة الكأس على مؤخرتها بصورة محببة. على غرار نحات، تحقق من الخطوط المحيطية المضبوطة لما كان أمسك به، مستشعراً المتانة، الاستدارة، كما لو كانت شظية من تمثال أخرجها من الأرض، فقدت منها بقية أجزاء الجسم. تجاهل اللحم والمنحنيات المحيطة. لاطف المؤخرة فقط، وشيئاً فشيئاً جلبها إلى الأسفل قريباً من وجهه، مانعاً إيلينا من الاستدارة بينما كانت تهبط السلم.

أسلمتْ نفسها لنزوته، معتقدةً أنه سيكون لهو العينين واليدين حسب. حين وصلتْ الدرجة السفلى، كانت له يد على كلا النتوءين الجسديين المستديرين وكان يعجنهما كما لو كانا ثديين، معيداً الملاطفة إلى المكان الذي بدأت به، بصورة منوّمة.

الآن واجهته إيلينا، مائلةً على السلم. شعرتْ أنه كان يحاول امتلاكها. في البداية مس الموقع الذي كانت فيه الفتحة صغيرة جداً بالنسبة له والذي سبب لها الأذى. صرختْ بعدئذ تحرك إلى الأمام ووجد فتحة الأنثى الحقيقية، وجد أن بوسعه أن ينزلق في هذا الطريق، وذهلتْ عندما وجدتْ أنه قوي جداً، بقي في داخلها وجعل يتحرك هنا وهناك. لكن مع أنه تحرك بقوة، لم يزد سرعة حركاته كي يصل الذروة. هل أصبح يعي أكثر فأكثر أنه داخل امرأة وليس غلام؟ انسحب ببطء، تركها هكذا نصف ممتلكة، أخفى وجهه عنها كي لا ترى خيبة أمله.

قبلته، كي تبرهن له أن ذلك لن يعكر صفو علاقتهما، وأنها فهمتْ المسألة.

غالباً في الشارع أو في المقهى، كانت إيلينا تنوم بوجه the sou-tener الرجل، بعامل ضخم البدن يرتدي جزمتين تصلان للركبتين، برأس وحشي، إجرامي. كانت تشعر برجفة حسية ناجمة عن الخوف، بإنجذاب غامض. الأنثى في داخلها كانت مفتونة. على مدى ثانية شعرتْ كما لو أنها بائعة هوى تتوقع طعنةً في الظهر بسبب خيانة ما. أحستْ بالقلق. كانت أُوقعتْ في فخ. نسيت أنها كانت حرة. أوقظتْ طبقة فطر داكن اللون، بدائية خفية، توق للإحساس بوحشية الرجل، توق إلى قوة تستطيع أن تفتحها عنوةً وتمصها. كانت حاجة المرأة لأن تغتصب، رغبة سرية، إيروسية. توجب عليها أن تهز نفسها من هيمنة هذه الصور.

تذكرتْ أن أول الأشياء التي أحبتها في بيير هو ذلك الضوء الخطير في عينيه، عيني رجل من دون ذنب ولا وساوس كان يأخذ ما يريده ما يمتعه الذي كان غير واعٍ بالمخاطر والعواقب.

ما الذي صار من أمر هذا المتوحش، الجامح، العنيد الذي التقته على ذلك الطريق الجبلي ذات صباح باهر؟ كان الآن أليفاً. كان يحيا من أجل ممارسة الحب. ابتسمتْ إيلينا لهذا الأمر. كانت تلك صفة قلما يجدها المرء في رجلٍ من الرجال. لكنه ما يزال رجل طبيعة. غالباً ما تقول له: "أين جوادك؟ تبدو دوماً كما لو أنك تركتَ حصانك عند الباب كي تجعله حالاً يبدأ العدو من جديد."

نام عارياً. كان يكره المنامات، ثياب الكيمونو، خُفي حجرة النوم. كان يرمي أعقاب سجائره على الأرض. كان يغتسل بماء بارد كالثلج كإنسان ريادي. كان يضحك على الراحة. يختار أصلب الكراسي. ذات مرة، كان جسده حاراً جداً ومغبراً جداً والماء الذي استخدمه بارداً جداً، بحيث حصل تبخر وانبعث الدخان من مسامه. قرّب يديه اللتين تصدران بخاراً منهما، فقالت له: "أنتَ إله النار."

لم يكنْ بوسعه أن يخضع للزمن. لم يكنْ يعرف كم يمكن أو لا يمكن إنجازه في ساعة واحدة. نصف كيانه كان نائماً إلى الأبد، ملتفاً بالحب الأمومي الذي وهبته إياه، ملتفاً في حلم يقظة، في تكاسل، متحدثاً عن الرحلات البحرية التي يزمع القيام بها، عن الكتب التي ينوي أن يكتبها.

كان نقياً، أيضاً، في لحظات غريبة. كان يمتلك تحفظ قِط. مع أنه كان ينام عارياً، إلا أنه لم يتمشَ هنا وهناك عارياً.

مسَّ بيير كل مناطق الفهم بحدسه. إلا أنه لم يعش هناك، لم ينمْ ويأكل في تلك المناطق الرفيعة كما فعلتْ هي. كان من دأبه أن يتخاصم، يتصارع، يحتسي الخمر، مع ثلة من الأصدقاء الإعتياديين،

يقضي الأمسيات مع أناس جهلاء. لم يكن بمستطاعها أن تفعل هذا. كانت تحبذ ما هو استثنائي، وما هو غير اعتيادي. هذا الأمر باعد بينهما. كانت تود أن تكون على غراره، قريبةً من الجميع، من أي فرد، لكنها لم تستطع. هذه المسألة أورثتها الحزن. عادةً، حين كانا يخرجان معاً، كانت تتركه.

أول خصام جدي وقع بينهما كان حول الزمن. كان بيير يتصل بها هاتفياً ويقول، "تعالي إلى شقتي في الثامنة تقريباً." كان بحوزتها مفتاحها الخاص. تذهب إلى هناك وتلتقط كتاباً. يصل هو في التاسعة أو يتصل بها عندما تكون هي في انتظاره ويقول، "سأصل حالاً"، ويصل بعد ساعتين. ذات مساء حين انتظرتْ مدةً طويلةً جداً (والانتظار كان موجعاً جداً لأنها كانت تتخيله يمارس الحب مع امرأة أخرى)، وصل هو فوجد أنها ذهبت. عندئذ حان دوره في الغضب. إلا أن هذا لم يغير عاداته. في مرة أخرى سجنته في الخارج. وقفتْ خلف الباب تصغي له. كانت تأمل أن لايهرب.أسفتْ أسفاً عميقاً لأن ليلتهما أفسدتْ. غير أنها بقيت منتظرة. دق الجرس ثانية، برقة كبيرة.إذا دق الجرس بغضب فمن المحتمل أن تبقى من دون حراك، إلا أنه دق الجرس برقة وبذنب، وفتحتْ الباب. كانت ماتزال غاضبة. كان يشتهيها. قاومته. أثارته مقاومتها. مشهد رغبته أورثها الحزن.

كان لديها إحساس أن بيير كان يفتش عن هذا المشهد. كلما أصبح هو أكثر إستثارة غدت هي أكثر تحفظاً. أغلقتْ نفسها جنسياً. إلا أن العسل سال من بين الشفتين المغلقتين، وكان بيير في حالة هيجان. أصبح شهوانياً أكثر، فتح ركبتيها عنوةً بساقيه القويتين، سكب نفسه

في داخلها بقوة دافعة، بلغ الذروة بكثافة هائلة.

بينما في أوقات أخرى إذا لم تشعر باللذة كانت تتظاهر بها كي لا تجرح مشاعره، هذه المرة وبصورة مدروسة لم تتظاهر. حين أُشبعتْ شهوته الجنسية سألها، "هل بلغت الذروة؟" "لا"، قالت. وشعر بالأذى. أحس بالقسوة التامة لإعاقتها لذتها. قال، "أنا أحبك أكثر مما تحبينني." مع ذلك كان يعرف كم كانت تحبه، وكان مُربكاً.

بعد ذلك استلقتْ وعيناها مفتوحتان على وسعهما، معتقدةً أن تأخره كان بريئاً، عفوياً كان في ذلك الحين داهمه النعاس كالطفل، قبضتاه مضمومتان، شعره في فمها. كان مايزال نائماً حين غادرتْ. في الشارع اكتسحتها موجة من الرقة بحيث توّجب عليها أن تعود إلى الشقة. رمتْ نفسها فوقه، قائلةً، "كان يجب عليّ الرجوع، كان يجب عليّ الرجوع."

"كنتُ أريدك أن تعودي"، قال. لمسها. كانت رطبةً جداً. زاحفاً داخلها وخارجها قال، "أود أن أرى كيف آذيتك، كيف طعنتك هناك، في الجرح الصغير." بعدئذ اخترقها بقوة، كي ينتشل منها التشنج الذي حبسته.

حين غادرته كانت مسرورة. هل يصبح الحب ناراً لن تحرق، كنار رجال الدين الهندوس؛ هل كانت تتعلم المشي بصورة سحرية فوق الجمر الحار؟

الباسكي وبيجو

كانت ليلة ماطرة، الشوارع كالمرايا، تعكس كل شيء. كان بحوزة الباسكي ثلاثون فرنكاً في جيبه وكان يشعر بأنه ثري. كان الناس يقولون له إنه بطريقته الساذجة كان رساماً عظيماً. لم يكونوا يدركون أنه كان يستنسخ من البطاقات البريدية. وهبوه ثلاثين فرنكاً عن الرسم الأخير. كان في مزاج رائق وكان يود الاحتفال. كان يتطلع إلى واحد من تلك المصابيح الصغيرة الحمر التي كانت تشكل اللذة.

امرأة أمومية فتحت الباب، إلا أن المرأة الأمومية سافرت عيناها الباردتان في الحال تقريباً إلى حذاء الرجل، ذلك أنها كانت تحكم من خلالها كم يستطيع أن يدفع لقاء لذته. بعدها من أجل قناعتها الخاصة استقرت عيناها هنيهةً على أزرار السروال. الوجوه لم تكنْ تثير اهتمامها. كانت تقضي حياتها حصرياً في التعاملات مع هذه المنطقة من تشريح الرجل. عيناها الكبيرتان، اللتان كانتا ما تزالان ساطعتين، كانت لهما طريقة حادة في النظر إلى داخل السراويل كما لو أنهما قادرتان على قياس حجم ووزن ممتلكات الرجل. كانت نظرة محترفة. كانت تحبذ أن تقسم الناس إلى أزواج بفطنة أكبر من تلك التي تمتلكها أمهات العهر الأخريات. كانت تقترح اقترانات معينة. كانت خبيرة في

جعل القفاز ينطبق على قياس العضو. حتى عبر السراويل، كانت قادرة على قياس الزبون، وتبدأ بالحصول على القفاز الصحيح، المناسب كلياً لقياسه. لن يمنحه (أي القفاز) اللذة إذا كان ثمة حيز كبير جداً، وليس ثمة لذة إذا كان القفاز ضيقاً جداً. كانت مامان تعتقد أن الناس لايعرفون كفايةً عن أهمية ملاءمة القفاز للعضو. كانت تود أن تنشر هذه المعرفة التي كانت تمتلكها، إلا أن الرجال والنساء كانوا يغدون لامبالين أكثر فأكثر، كانوا أقل دقةً منها. إذا وجد رجل اليوم نفسه عائماً في قفاز كبير جداً، متنقلاً هنا وهناك كما لو أنه في شقة خالية، جعل منه أفضل شيء. جعل عضوه يخفق كعلم ويبرز من دون العناق القابض الحقيقي الذي يدفئ أحشاءه. أو كان يدسه مع اللعاب، دافعاً إياه كما لو أنه كان يحاول أن يندس تحت باب مغلق، يُقرص في المحيط الضيق وينكمش حتى أكثر لمجرد أن يبقى هناك. إذا حدث أن ضحكت الفتاة بحماسة من جراء اللذة أو من جراء التظاهر باللذة، فإنه يطرد حالاً، إذ ليس ثمة متسع من الوقت يسمح لتضخم الضحك. كان الناس يفقدون معرفتهم بالاقترانات الجيدة.

عندما تطلعتْ مامان إلى سروال الباسكي حينها فقط ميزته وابتسمتْ. الباسكي، هذا شيء حقيقي، تقاسم ولعه بالفروقات الدقيقة مع مامان، وكانت تعرف أنه من الطراز الذي لا يُشبع بسهولة. كان له عضو نزوي. حين واجه مهبل صندوق البريد، انتفض (أي العضو). واجه انبوباً صارماً، انسحب. كان هو (أي الباسكي) متمكناً، خبيراً، بعلب جواهر النساء. كان يحبذها مبطنةً بالمخمل ودافئة ومريحة، حنونة ومتماسكة. منحته إيلينا نظرة متمهلة أكثر من تلك النظرات التي

منحتـهـا للزبائن الآخـرين. هي تحب البـاسكي، إنما ليـس بسـبب أنفـه القصير، صورته الجانبيـة الكلاسيكيـة، عينيـه اللوزيتين شعـره الأسـود اللامع مـشيتـه الانزلاقيـة الناعـمـة إيماءاته اللامباليـة. ليس بسبب لفاعـه الأحـمـر وقـبـعـتـه الجـالسـة بزاويـة مـائلة قليـلاً على رأسـه. لـيس بسـبب أساليبه المغرية مع النساء. إنما بسبب حليته الملكية المتدلية [٣١]، جسمها النبيل، مستجيبتها الحساسة و التي لا تكل، وديتها، حرارتها، رحابة صدرها. لم يسبق لها أن رأت حلية كهذه. كان يطرحها على الطاولة أحياناً كما لو أنه يودع حقيبة مالية، يدق بها كما لو أنه يسترعي الانتباه. كان ينزعها بصورة طبيعية، كما يخلع الرجال الآخرون معاطفهم حين يشعرون بالدفء. كان يعطي الإنطباع أنها ليستْ من النوع الذي يُسجن، يُقيد بسهولة، إنها يجب أن تُهوّى، أن يُعجب بها.

شغلت مامان نفسها باستمرار في عادتها بالتطلع إلى ممتلكات الرجال. حين يخرج الرجال من المباول ، منهين تزريرهم، كان له الحظ في أن تقبض على اللمحة الأخيرة لعضو ذهبي، أو عضو بني داكن، أو عضو مستدق الطرف، الذي كانت تفضله. في الجادات كانت تكافأ عادةً بمنظر السراويل المزررة بإهمال، وعيناها اللتان كانتا موهوبتين بالرؤية القوية، في مستطاعهما أن تخترقا الفتحة المظللة.

الأفضل إذا قبضتْ على متجول من أجل التسوّل أو السرقة يحرر نفسه بإزاء جدار منزل، حاملاً قضيبه بيده، كما لو أنه آخر قطعة فضية لديه.

يراود المرء الإعتقاد أن مامان كانت محرومة من الامتلاك الحميمي أكثر لسعادة كهذه، إنما لم يكنْ الأمر كذلك في الواقع. زبائن دارها

يجدونها فاتحة للشهية، وكانوا يعرفون مزاياها ومحاسنها مقارنةً بالنساء الأخريات. ماماں بوسعها أن تنتج عصيراً لذيذاً حقيقةً من أجل ولائم الحب، التي توّجب أن تصنعها معظم النساء. كان بمستطاع ماماں أن تهب الرجل، أي رجل، الوهم الكامل بوجبة غذاء رقيقة، شيء ما لين جداً تحت الأسنان وندي بدرجة كافية كي يروي ظمأ أي فرد.

فيما بينهن كان النسوة يتحدثن عادةً عن الصلصات اللذيذة التي كانت ماماں تعرف كيف تغلف بها أطباق طعامها الشهية التي بهيئة محارات وردية، عن الانشداد الطلبي لعروضها. بوسع المرء أن يقرع على هذه المحارة المستديرة، مرةً، مرتين، كان ذلك يكفي.تظهر المادة المنكهة اللذيذة لـ ماماں، شيء ما قلما تنتجه الفتيات الأخريات، عسل يفوح برائحة محار البحر والذي يجعل المرور إلى كهف الأنثى بين فخذيها بهجةً بالنسبة للزائر الذكر.

الباسكي أحب ذلك المكان. كان مُهدئاً، مُشبعاً، دافئاً ومستحباً ـ متعة بالغة. بالنسبة لـ ماماں كان عطلة، ومنحتْ هي حدها الأقصى. كان الباسكي يعرف أنها لا تحتاج إلى تحضير طويل الأمد. طوال اليوم غذت ماماں نفسها بإرسالات عينيها، التي لم تسافر أعلى أو أسفل منتصف جسد رجل. كانت دوماً بمستوى فتحة السروال. ثمنتْ الفتحات المجعدة، أغلقتْ بسرعة كبيرة بعد جلسة سريعة. تلك المضغوطة برقة، غير المنسحقة حتى الآن. البقع، أوه، بقع الحب! البقع الغريبة التي يمكنها أن تميزها كما لو كانت تحمل عدسة مكبرة. هناك، حيث لم تُسحب السراويل إلى الأسفل بصورة كافية، أو حيث، في إيماءاته عاد قضيب ما إلى مكانه الطبيعي في اللحظة الخاطئة، حيث وجدتْ هناك بقعةً مزينةً

بالجواهر، حيث توجد فيها بقع ملتمعة، مثل معدن ما تم تذويبه؛ وثمة صفة سكريّة صلبتْ الثياب. بقعة جميلة، بقعة الرغبة، إما ترذذتْ هناك كعطر بفعل نافورة رجل، أو التصقت. هناك بفعل امرأة جد متحمسة ومتشبثة. كانت ماما تود أن تبدأ في المكان الذي بدأ فيه الفعل في ذلك الحين. كانت حساسة للعدوى. هذه البقعة الصغيرة أثارتها بين الساقين بينما كانت تسير. زر ساقط يجعلها تشعر أن الرجل تحت رحمتها. أحيانا، في الزحامات الشديدة، كانت لها الجرأة أن تمد يدها وتمس. تتحرك يدها كيد لص، بخفة لا تصدق. لم تكنْ تتلعثم أو تمس الموضع الخاطئ، بل تمضي قُدُماً إلى الموضع الكائن تحت الحزام حيث تكمن البروزات اللينة المكورة، وغالباً، بصورة غير متوقعة، عصا وقحة.

في الأنفاق، في الليالي المظلمة الماطرة، في الجادات المزدحمة أو في صالات الرقص، كانت ماما تتبهج في تثمين الأسلحة ودعوتها. كم مرة تم تلبية ندائها ومدتْ الأسلحة ليدها المارة! كانت تتمنى أن جيشاً يقف مصطفاً بهذه الطريقة، عارضاً فقط الأسلحة التي يمكن أن تقهرها. في أحلام يقظتها شاهدتْ هذا الجيش. كانت هي الجنرال، تتقدم، مقلدة الأوسمة للطويلة منها، للجميلة منها، متوقفةً عند كل رجل ينال إعجابها. أوه، كي تكون كاترين العظيمة (٣٢) وتكافئ المشهد بقبلةٍ من فمها النابض بالحيوية، قبلة، في الطرف فقط، لمجرد أن تستدر الدمعة الأولى للسعادة الكبرى!

كانت مغامرة ماما الكبرى هي استعراض الجنود الاسكتلنديين ذات صباح ربيعي. بينما كانت تحتسي الخمر في حانةٍ ما، سمعتْ حواراً

يتعلق بالرجال الإسكتلنديين.

قال رجل: "يأخذونهم يافعين ويدربونهم على المشي بتلك الطريقة. إنها مشية خاصة. عسيرة، عسيرة جداً. ثمةَ ترنح ردف، تمايل، يجعل الوركين والجزدان الاسكتلندي (٣٢) يتمايلان بصورة ملائمة جداً. إذا لم يتأرجح الجزدان الأسكتلندي، فالمشية فاشلة. الخطوة أكثر تعقيداً من خطوة راقصة الباليه."

كانت مامان تفكر: في كل مرة يتمايل فيها الجزدان الاسكتلندي، وتتمايل التنورة، ياسلام، المعلقات الأخرى لابد أن تتمايل أيضاً. وأستثير فؤادها كبير السن. تمايل. تمايل. الجميع في الوقت ذاته. كان هناك جيش نموذجي. كانت تحبذ أن تتعقب جيشاً كهذا، في أي قدرة. واحد، اثنان، ثلاثة. كانت تأثرتْ في ذلك الحين بصورة كافية بتمايل الأشياء المتوالية حين أضاف الرجل الذي في الحانة قائلاً: "وهل تعرف، أنهم لا يرتدون ثياباً داخلية".

لا يرتدون ثياباً داخلية! هؤلاء الرجال الأقوياء، يا لهم من رجال منتصبين، شهوانيين! الرؤوس عالية، السيقان قوية عارية والتنورات - ياه، إنها تجعلهم حساسين كامرأة. رجال شهوانيون ضخمو الأبدان، يغرون كما تغري المرأة ولا يرتدون شيئاً تحت ملابسهم. كانت ماما تريد أن تتحول إلى حصى الشارع، إلى "الجزدان" اتلمخفي المتأرجح مع كل خطوة. شعرتْ ماما بالاحتقان. كانت الحانة حارة جداً. كانت تحتاج إلى الهواء. ترقبت الاستقراض العسكري. كل خطوة يخطوها الرجال الاسكتلنديون كانت أشبه بخطوة فوق جسدها هي، لذا إهتزت هي. واحدة، اثنان، ثلاثة. رقصة فوق بطنها، متوحشة ومستقيمة، الجزدان

الأسكتلندي الفرائي يتأرجح كشعر العانة. كانت مامان حارة كيوم في تموز (يوليو). لم تكنْ تفكر في شيء آخر سوى أن تشق طريقها بالمرفق إلى مقدم الرحام ومن ثم تنزلق على ركبتيها وتتظاهر بالإغماء. إنما كل ما شاهدته هناك كان السيقان المختفية تحت التنورات مربعة النقش ذوات الثنيات. في مابعد، استلقت بإزاء ركبة الشرطي، دوّرت مقلتيها إلى الأعلى كما لو أنها توشك أن تتعرض لهجوم. ليت الإستعراض العسكري يستدير فقط ويمشي فوقها!

هكذا لم تذوِ حيوية مامان. كانت تُغذى بصورة صحيحة. في الليل يكون جسدها رقيقاً كما لو كان يُطهى ببطء على نار هادئة طوال النهار.

عيناها تتنقلان من الزبائن إلى النساء اللواتي يعملن لصالحها. وجوههن لا تسترعي حتى انتباهها، إنما هيئاتهن فقط من الخصر إلى الأسفل. تجعلهن يستدرن أمامها، تمنحهن صفعةً صغيرةً كي تتحسس متانة الجسد، قبل أن يرتدين قمصانهن التحتية الفضفاضة.

كانت تعرف ميليي، التي دورتْ نفسها كالشريط حول رجل ومنحته شعوراً بأن نساءً عديدات كن يلاطفنه. كانت تعرف الكسولة التي تظاهرت بالنوم ومنحتْ الرجال الجبناء الوقاحات التي لم تستطع أن تمنحها أي امرأة أخرى، جعلتهم يمسونها، يستعملونها، يستكشفونها كما لو أن ليس ثمة خطر في إتيان عمل كهذا. جسمها الضخم أخفى أسرارها جيداً في ثنيات خصبة، مع ذلك كسلها سمح لهم بأن يكونوا مكشوفين من خلال الأصابع الفضولية.

عرفتْ مامان المرأة الرشيقة، النارية التي هاجمتْ الرجال وجعلتهم

يشعرون أنهم ضحايا الظروف. كانت أثيرة كبيرة وسط ا لرجال المذنبين. كانوا يسمحون لأنفسهم أن يُغتصبوا. كان ضميرهم في راحة. كان بوسعهم أن يقولوا لزوجاتهم: رمتْ نفسها عليّ وفرضتْ نفسها عليّ، وما شابه ذلك. كانوا يستلقون وتجلس هي فوقهم، كأنها تجلس فوق حصان، تحثهم على إيماءات محتومة بوساطة ضغطها والعدو بسرعة فوق الرجولة الصلدة أو الهرولة برقة، أو المشي بخطوات واسعة. ضغطت ركباً نشيطة بإزاء خاصرات ضحاياها المقهورين ومثل فارس نبيل ترفع نفسها بأناقة وتتراجع وثقلها كله مركز على وسط الجسم، بينما يدها تصفع بين الحين والحين الرجل كي يزيد سرعته وتشنجاته، بحيث تستطيع أن تشعر بمزيد من النشاط الحيواني بين ساقيها. كيف ركبت هذا الحيوان تحتها، مع ساقين ناخستين ودفعات قوية من جسدها المرتفع إلى أن بدأ الحيوان يزيد، وبعدها حثته على المزيد من الصيحات والصفعات، كي يعدو أسرع فأسرع.

عرفت ماما السحر الخامد لـ فيفيان القادمة من الجنوب. كان جسدها من جمرات حارة، مُعدٍ، وحتى أكثر الأجساد برودةً يسخن لدى لمسها. كانت تعرف الترقب، وقت الفراغ. كانت تحب في المقام الأول أن تجلس فوق الشطافة من أجل طقس تنظيف نفسها. الساقان متباعدتان فوق المقعد الصغير، كانت لها أليتان بارزتان، نقرتان ضخمتان في أسفل عمودها الفقري، وركان أسمران ـ ذهبيان، واسعان ومتينان أشبه بمؤخرة حصان سيرك. حينما تجلس، كانت المنحنيات تنتفخ. إذا سئم الرجل من رؤيتها من الخلف، بوسعه أن يواجهها ويراقبها وهي ترمي الماء فوق شعر عانتها وبين ساقيها، يراقبها بعناية وهي تباعد بين حافتي

فرجها بينما هي تغمره بالصابون. رغوة بيضاء تكسوها الآن، بعدها الماء ثانيةً، والحافتان بزغتا متلألأتين ورديتين. كانت تتفحص، بين الحين والحين، الحافتين بهدوء. إذا كان مر بها عدد كبير من الرجال ذلك اليوم، كانت ترى أنهما منتفختان قليلاً. كان الباسكي يود أن يراقبها وقتذاك. كانت تجفف نفسها برقة أكثر كي لا تزيد من الإثارة.

أقبل الباسكي في يوم كهذا وتكهن أن بوسعه الإستفادة من الإثارة. في أيام أخرى كانت فيفيان كسولة، بطيئة ولا مبالية. كانت تطرح نفسها كما في بعض الرسوم الكلاسيكية، بتلك الطريقة كما لو أنها تروم أن تبرز الإرتفاع والهبوط الهائلين لمنحنياتها. كانت تستلقي على جنبها ورأسها يستريح على ذراعها، لحمها، بدرجات لون نحاسية، كان يتضخم بين الفينة والفينة كما لو كان يرزح تحت الانتفاخ الإيروسي لملاطفة من يد لامرئية. هكذا وهبت نفسها، سخيةً ومن المستحيل تقريباً إثارتها. معظم الرجال لم يكونوا يجربون ذلك.كانت تدير فمها عنهم بإزدراء، تقدم جسدها بصورة كاملة، إنما بانعزال. كان بوسعهم أن يباعدوا بين ساقيها ويفتحونها وينظروا إليها ماشاء لهم. لم يستطيعوا أن ينتزعوا أية حيوية منها لكن ما أن يكون رجل بداخلها، كانت تتصرف كما لو كان يسكب بداخلها حمماً حارة، وكانت التواءات جسدها أكثر قسوة من التواءات نساء يتلذذن لأنهن كن يعبرن بطريقة مسرحية في تقليدهن لما هو حقيقي. فتلتْ نفسها مثل ثعبان كبير جداً، هزتْ نفسها في الإتجاهات كلها كما لو كانت تُحرق أو تُضرب. عضلات نشيطة منحتْ حركاتها قوةً أثارتْ أكثر رغباتها بهيميةً. كافح الرجال كي يكبحوا الالتواءات، كي يهدئوا الرقصة المتسمة بالقصف والعربدة

لتي أدتها حولهم، كما لو كانت مسمرةً إلى شيء يُعذبها. بعدها فجأةً، ستجابةً لنزواتها الخاصة، تستلقي من دون حراك. وهذا، بصورة معاكسة ي وسط غضبهم المتنامي، هدأهم بحيث تم تأخير الإتمام. أصبحتْ كتلةً ن اللحم الهادئ. لجأت إلى المص الرقيق عندئذ، كما لو كانت تمص صبعاً قبل أن يداهمها النعاس. بعدها أثارهم كسلها. سعوا إلى إثارتها ن جديد، لمسوها في المواضع كلها، قبلوها. استسلمتْ من دون حراك.

الباسكي انتظر دوره. كان يراقب اغتسالات فيفيان الطقسية. ليوم هي متورمة بسبب الإعتداءات الجنسية العديدة. بصرف النظر عن لة المبلغ الذي وضع لها على الطاولة، لم يعرف عنها كونها تمنع الرجل ن اشباع نفسه.

حافتا فرجها الكبيرتان، الممتلئتان، المدعوكتان كثيراً جداً، كانتا اسعتين قليلاً، وأحرقتها حمى بسيطة. كان الباسكي وديعاً جداً. وضع كافأته الصغيرة على المنضدة. خلع ثيابه. وعدها ببلسم، بقطعة قطن، حشوةٍ حقيقية من القطن. هذه الأشياء الرقيقة جنبتها حذرها. تعامل معها الباسكي كما لو كان امرأة. مجرد لمسة صغيرة هناك، كي يلطف، ي يهدئ، الحمى. كانت بشرتها داكنة كبشرة امرأة غجرية، ناعمة صافية جداً، وحتى مذررة. كانت أصابعه حساسة. لمسها بمحض لمصادفة، مسها مساً خفيفاً، ووضع عضو ذكورته على بطنها كما لو ان لعبة، لمجرد أن تبدي إعجابها به. استجاب بطنها عندما طُلب منه. هتز استجابةً لثقل عضوه، ارتفع قليلاً كي يتحسسه هناك. بما أنه لم بدِ توقاً متلهفاً لتحريكه إلى حيث يمكن أن يتم حمايته، تغليفه، أجازت نفسها رفاهية التوسع، مسلمة نفسها.

نهم الرجال الآخرين، أنانيتهم، لهفتهم إلى إشباع ذواتهم من دون تقدير لها، جعلها عدائية. إلا أن الباسكي كان نبيلاً. قارن بشرتها بالساتان، شعرها بالطحلب، رائحتها بعطر الأخشاب الثمينة. ثم وضع قضيبه عند الفتحة، وقال برقة: "هل يؤلمك؟ لن أدفعه إذا كان يؤلمك."

رقة كهذه أثارتْ فيفيان. قالت: "يوجعني قليلاً جداً، إنما جرب."

كان يتقدم نصف إنج فقط في كل مرة. "أيؤلم؟" كان يبدو استعداده لإخراجه. بعدها توجب عليها أن تحثه. "الطرف فقط. جرب ثانية."

لذا اندس الطرف إنجاً أو نحو ذلك، بعدها ارتاح. منح هذا فيفيان متسعاً من الوقت كي تتحسس وجوده، وقتاً لم يمنحه إياها الرجال الآخرون. بين كل تقدم صغير جداً في داخلها، كانت لها وقت فراغ كي تتحسس كم كان لذيذاً وجوده بين الجدران اللينة للحم، كما لاءمها جيداً، لاهو ضيق جداً ولا فضفاض. انتظر من جديد، بعدها تقدم أكثر قليلاً كان لـ فيفيان الوقت كي تشعر كم حسن أن تُملأ، كم لاءم جيداً الشق الأنثوي أن يُمسك ويُحفظ. لذة الإمساك بشيء ما هناك، الدفء المتبادل، امتزاج الرطوبتين. تحرك من جديد. الترقب. الحذر من الإفراغ حين سحب - جسدها ذوى في الحال تقريباً. أغمضت عينيها. دخوله التدريجي نشر الشعاعات حوله، تيارات خفية تحذر المناطق الأعمق من رحمها بأن ثمة انفجار آتٍ، شيء ما صُنع كي يتلاءم في النفق لين الجدران وكي يتم ابتلاعه من قبل أعماقه الجائعة، حيث تبقى الأعصاب القلقة في الانتظار. استسلم جسدها أكثر فأكثر. دخل هو أبعد.

"هل يؤلم؟" أخرجه. كانت مخيبة الأمل ولم تشأ أن تعترف كيف

كانت تذوي داخلياً من دون وجوده المتمدد.

كانت مرغمة على التوسل، "دسه ثانيةً." كان لذيذاً. ثم أدخله إلى النصف، حيث كان بوسعها أن تتحسسه ومع ذلك لم تقبض عليه باحكام، حيث لم يكن بمستطاعها حقيقةً أن تمسكه. تصرف كما لو أنه سوف يتركه في منتصف المسافة هناك وهذا خير لها. كانت تريد أن تتحرك في اتجاه عضوه وتبتلعه إلا أنها كبحتْ نفسها. أرادتْ أن تزعق. اللحم الذي لم يمسه كان يحترق لدى اقترابه. في خلفية الرحم كان يقبع لحم يطالب بالاختراق. انحنى إلى الداخل، انفتح كي يمص. تحركت جدران اللحم. أشبه بشقائق النعمان البحرية، ساعيةً من خلال المص إلى جر قضيبه إلى الداخل، إلا أنه كان فقط قريباً بدرجة كافية كي يرسل تياراتٍ من اللذة الموجعة جداً. تحرك من جديد، متأملاً وجهها. ثم رأى فمها مفتوحاً. كانت تبغي أن ترفع جسدها الآن، كي تأخذ عضو ذكورته كلياً، لكنها انتظرتْ. بهذا التعذيب البطيء وضعها على شفير الهستيريا. فتحتْ فمها كما لو أنها تظهر انفتاح رحمها، جوعه، حينذاك فقط اندفع بسرعة بالغة إلى آخر القاع وشعر بتقلصاتها.

هذه هي الكيفية التي وجد فيها الباسكي بيجو.

ذات يوم حين وصل المنزل التقى بـ مامان ذائبة التي أخبرته أن فيفيان مشغولة. ثم أبدتْ استعدادها لمواساته، كما لو كان زوجاً مخدوعاً. قال الباسكي إنه سينتظر. واصلتْ مامان مضايقاتها ومداعباتها. ثم قال الباسكي: "هل أستطيع أن أنظر؟"

الحجرات كلها كانت مرتبة بحيث أن الهواة كان بوسعهم أن يراقبوا عبر ثقب سري. بين الحين والحين كن الباسكي يروم رؤية الكيفية التي

تتصرف بها فيفيان مع زائريها. لذا أخذته مامان إلى الحاجز، حيث أخفته هناك وراء ستارة وجعلته ينظر.

كان هناك أربعة أفراد في الحجرة: رجل وامرأة غريبان، يرتديان ثياباً أنيقة متحفظة، يراقبان امرأتين على السرير الواسع. فيفيان، البطيئة، داكنة البشرة، ترقد ممدة على السرير. على يديها وركبتاها فوقها كانت هناك امرأة ضخمة ببشرة عاجية اللون، ذات عينين خضراوين وشعر طويل، سميك، مجعد. ثدياها مدببان عالياً، خصرها ضيق إلى نحافة تامة ويتوسع ثانيةً إلى إظهار غنى للوركين. بدتْ كما لو قولبت في (كورسيه). كان لجسدها قوة ونعومة الرخام. ليس ثمة شيء مترهل أو رخو فيها، سوى القوة الخفية، كقوة أسد أمريكي، تطرف وعنف في إيماءاتها كالذين نجدهما في النساء الإسبانيات. كانت هذه بيجو.

كانت المرأتان متكافئتين بصورة جميلة، من دون تهيب أو عاطفية. امرأتا فعل، كانت كلتاهما تحمل بسمةً ساخرةً وتعبيراً فاسداً.

لم يكن بوسع الباسكي أن يحكم ما إذا كانتا تتظاهران أم أنهما كانتا حقيقةً تمتعان نفسيهما، إيماءاتهما كانت مضبوطة جداً. لابد أن الغريبين طلبا رؤية رجل وامرأة معاً، وكانت هذه تسوية مامان. ربطت بيجو على جسمها قضيباً مطاطياً، امتلك خاصية عدم الذبول. لذا مهما فعلتْ هي، هذا القضيب برز من أجمة الشعر الأنثوية كما لو أنه مسمر هناك بانتصاب أبدي.

جاثمةً، كانت بيجو تزلق هذه الرجولة المزيفة ليس في داخل فيفيان إنما بين ساقيها، كما لو كانت تمخض اللبن، وكانت فيفيان تقلص ساقيها

كما لوأن رجلاً حقيقياً يعذبها بادناء شيء مرغوب فيه ثم إبعاده بشكل متصل. إلا أن بيجو كانت شرعتْ فقط في تعذيبها بإثارة رغبة من غير اعتزام لإشباعها. بدتْ عازمةً على جعل فيفيان قادرة على الشعور بالقضيب من الخارج فقط. كانت تستعمله كما لو كان مقرعة باب، تقرع بوداعة على بطن فيفيان وعورتها، بعدها بوداعة تعذب الشعر، من ثم قمة البظر. في الختام، قفزت فيفيان قليلاً، وهكذا كررتْ بيجو ذلك، ووثبتْ فيفيان ثانيةً. المرأة الغريبة مالتْ إلى الأمام كما لو كانت مصابة بقصر البصر، كي تلتقط سر هذه الحساسية. ترنحتْ فيفيان بنفاد صبر وقدمت لـ بيجو عضو أنوثتها.

خلف الستارة، كان الباسكي يبتسم لأداء فيفيان الممتاز. كان الرجل والمرأة مفتونين. كانا واقفين بجانب السرير تماماً، بعيون مفتوحة على وسعها. قالت لهما بيجو: "أتريدان أن تريا كيف نمارس الحب عندما نشعر بالكسل؟"

"انقلبي"، أمرت هي فيفيان. انقلبت فيفيان على جنبها الأيمن. التصقت بها بيجو، تشابكت أقدامهما. أغمضت فيفيان عينيها. بعدها، بيديها صنعتْ متسعاً لدخولها، باعدتْ اللحم البني الداكن لمؤخرة فيفيان كي تستطيع أن تدس القضيب فيه، وبدأت تدفع. فيفيان لم تتحرك. جعلتها تدفع، تجلد. بعدها بصورة غير متوقعة منحتْ رجةً أشبه برجة رفس حصان. بيجو، كما لو أنها تروم معاقبتها، انسحبتْ. إلا أن الباسكي شاهد القضيب المطاطي متلألئاً الآن، تقريباً كقضيب حقيقي، مايزال منتصباً بانتصار.

بدأت بيجو تعذبها بإثارة رغبة من غير اعتزام لإشباعها. مستْ

فم فيفيان بطرف القضيب، أذنيها، عنقها، وضعته بين ثدييها. ضغطتْ فيفيان ثدييها معاً كي تمسك به. تحركتْ كي تلتصق بجسم بيجو، كي تدعك نفسها بها، إلا أن بيجو كانت مراوغة الآن كون فيفيان أصبحتْ هائجة قليلاً. الرجل، منحنياً فوقهما، بدأ يصبح متململاً. كان يريد أن يرتمي فوق المرأتين. مرافقته ماكانت لتسمح له بفعل ذلك، مع أن وجهها كان متورّداً.

فتح الباسكي الباب بغتةً. انحنى علامة التحية وقال، "أنتِ تريدين رجلاً وها أنذا." رمى ملابسه. تطلعتْ إليه فيفيان بعرفان بالجميل. أدرك الباسكي أنها في حالة اهتياج. رجولتان سوف تشبعانها أكثر من تلك الرجولة المعذبة، المتمصلة. رمى نفسه بين المرأتين. أينما تطلع الرجل والمرأة الغريبان كان ثمة شيء يحدث بحيث أنه فتنهما. كانت ثمة يد تفتح مؤخرة شخص ما وتدس إصبعاً فضولياً. فم يغلق على قضيب واثب، مسدد. فم آخر يطوق حلمةً. وجوه مغطاة بالأثداء أو مدفونة في شعر العانة. سيقان مغلقة على يد مختفية. قضيب رطب متلألئ يظهر ويغوص ثانيةً في لحم ما. الجلد العاجي والجلد الغجري كانا متشابكين مع جسم الرجل العضلي.

بعدئذ حدث شيء غريب. رقدتْ بيجو بكامل قامتها تحت الباسكي. تنازلتْ فيفيان لحظةً. كان الباسكي يجثم على هذه المرأة التي تفتحتْ تحته كزهرة مستنبت زجاجي، عطرة، ندية، بعينين إيروسيتين وشفتين رطبتين، إمرأة منفوخة كلياً، ناضجة وشهوانية؛ مع ذلك قضيبها المطاط وقف منتصباً بينهما، واستحوذ على الباسكي شعور غريب مس القضيب قضيبه هو وصان فتحة المرأة كالرمح. أمر بغضب نوعاً ما:

"انزعيه". دستْ يدها تحت ظهرها، أرخت الحزام وخلعتْ القضيب المطاط. عندئذ رمى نفسه فوقها، وهي، ماتزال تحمل القضيب، رفعته فوق مؤخرة الرجل الذي كان يخترقها الآن. حين رفع نفسه كي يجلدها من جديد، دفعتْ القضيب المطاط في داخل مؤخرته. قفز كحيوان بري وهاجمها بمزيد من القوة والإهتياج. كل مرة كان يرفع فيها نفسه، كان يجد نفسه مهاجماً من الخلف. شعر بثديي المرأة ينسحقان تحته، يتدحرجان تحت صدره، بطنها عاجي البشرة يرتفع وينخفض بصورة إيقاعية تحته، وركاها إزاء وركيه، مهبلها الرطب يبتلعه؛ وكل مرة كانت تدخل القضيب فجأة فيه، كان يشعر ليس فقط بإهتياجه العظيم بل بإهتياجها أيضاً. كان يحسب أن الإحساس المضاعف سوف يقوده إلى الجنون. كانت فيفيان ترقد هناك تراقبهما، لاهثةً. الرجل والمرأة الغريبان مايزالان يرتديان ثيابهما، سقطا فوقها وكانا يدعكان نفسيهما بها باهتياج شديد، مشوشين جداً في أحاسيس هائجة باحثين عن فتحة ما.

كان الباسكي ينزلق إلى الأمام والخلف. كان السرير يهتز بينما كانا يتدحرجان، يتشبثان بأحدهما الآخر وينطويان، المنحنيات كلها مُلئتْ، ماكينة جسم بيجو الشهواني تنتج عسلاً. تموجات امتدتْ من جذور شعرهما إلى أطراف أصابع أقدامهما. أصابع أقدامهما بحثت عن إحداها الأخرى وانضفرت معاً. لساناهما برزا كمدقتين. صرخات بيجو تصاعدتْ الآن في لوالب لا نهائية، آه، آه، آن متوسعةً، متمددة، أصحبتْ أكثر وحشية. كان الباسكي يرد على كل صرخة بإقتحام أعمق. كانا غافلين عن الأجساد المنجدلة قربهما؛ لابد أنه الآن امتلكها إلى درجة الإلغاء - بيجو، هذه المومس، تاركةً ألف مجس على

جسمه، مستلقية أولاً تحته ومن ثم فوقه، وبدتْ وكأنها موجودة في كل مكان بداخله، أصابعها في الأمكنة كلها، ثدياها في فمه.

صرختْ كما لو أنه قتلها. استلقتْ وقف الباسكي، سكراناً، محترقاً. رمحه لم يزل منتصباً، أحمر، ملتهباً. الثياب المضطربة للمرأة الغريبة أغرته. لم يكنْ بوسعه رؤية وجهها، الذي كان مخفياً تحت تنوراتها المرتفعة. كان الرجل يستلقي فوق فيفيان، يهاجمها. كانت المرأة تستلقي فوق الإثنين، ساقاها ترفسان في الهواء. سحبها الباسكي إلى الأسفل من ساقيها كي يمتلكها. لكنها زعقتْ ونهضتْ، "أريد فقط أن أنظر." رتبت ثيابها. ترك الرجل فيفيان. كانا مشعثي الشعر، انحنيا بصورة رسمية علامة التحية وغادرا بسرعة.

كانت بيجو جالسةً، تضحك، عيناها المائلتان طويلتان وضيقتان قال الباسكي: "قدمنا لهما مشهداً جيداً. الآن إنتِ تلبسين ثيابكِ وتتبعينني. سآخذك إلى بيتي. سوف أرسمكِ. سأدفع لـ مامان أي مبلغ تريده."

و أخذها إلى البيت كي تسكن معه.

إذا ظنتْ بيجو أن الباسكي أخذها إلى بيته كي تكون بلحمها ودمها له، فإنها سرعان ما خاب أملها. الباسكي إستخدمها كموديل بصورة مستمرة تقريباً، لكنه في الأمسيات كان يدعو أصدقاءه الفنانين إلى العشاء، وكانت بيجو آنئذ الطاهية. بعد العشاء كان يجعلها تستلقي على السرير في الإستوديو بينما هو يتحدث مع أصدقائه. كان يبقيها حصراً إلى جانبه ويلاطفها. لم يكنْ أصدقاؤه يتمالكون أنفسهم عن مراقبتها. كانت يده تدور آلياً حول ثدييها الناضجين. بيجو لا

تتحرك. كانت تبقى في وضع واهن. الباسكي يمس قماش فستانها كما لو كان جلدها. كانت فساتينها تقولب دوماً جسدها بصورة محكمة. كانت يده تثمن وتربت وتداعب، بعدها تدور حول البطن، ثم فجأةً يدغدغها كي يجعلها تتلوى. كان يفتح فستانها، يخرج ثدياً ويقول لأصدقائه: "هل سبق لكم أن شاهدتم ثدياً كهذا ؟ انظروا!" كانوا ينظرون. أحدهم يدخن، الآخر يرسم رسماً تخطيطياً لـ بيجو، وثالث يتكلم إلا أنهم كانوا ينظرون. بإزاء الفستان الأسود الثدي، كامل جداً في خطوطه المحيطية، كان له لون الرخام العاجي العتيق. الباسكي يقرص الحلمتين، اللتين سرعان ما تحمران.

بعدها يغلق الفستان ثانيةً. يتحسس على طول الساقين إلى أن يمس بروز أربطة الجوارب. "أليستْ هي ضيقة جداً عليك؟ لنرى. هل تركتْ أثراً؟" يرفع التنورة وبرفق يرفع رباط الجورب. بينما كانت بيجو ترفع ساقها له يكون بمستطاع الرجال أن يروا الخطوط الناعمة الوامضة لفخذيها فوق الجوربين. ثم تغطي نفسها من جديد ويستمر الباسكي في مداعبتها ثانيةً. عينا بيجو تصبحان ضبابيتين كما لو أنها مخمورة. لكن بما أنها الآن كانت أشبه بزوجة الباسكي وصحبة أصدقاء الباسكي، في كل مرة كان يعريها كانت تكافح من أجل تغطية نفسها ثانيةً، مخفيةً كل سر جديد في الطيات السود لفستانها.

كانت تمد ساقيها. ترفس حذاءيها. الضوء الإيروسي الذي شعَّ من مقلتيها، ضوء ما كان بمستطاع أهدابها الكثيفة أن تعجبه بصورة كافية، اخترق أجساد الرجال كالنار.

في ليالٍ كهذه كانت تعرف أن الباسكي لم يكنْ عازماً على منحها

اللذة بل كان ينوي تعذيبها. ما كان ليقتنع إلا حين تتغير سحنات أصدقائه، تفسد. يجر (السحاب) الكائن في جانب فستانها ويدس يده، "بيجو، أنتِ لاترتدين سروالاً داخلياً اليوم." يمكنهم رؤية يده تحت الفستان، تداعب البطن وتهبط صوب الساقين. عندئذ يتوقف ويسحب يده. كانوا يراقبون يده تخرج من الفستان الأسود ويغلق (السحاب) ثانيةً.

ذات مرة طلب من أحد الرسامين غليونه الدافئ. أعطاه الرجل إياه. دس الغليون تحت تنورة بيجو ووضعه على عضو أنوثتها. "إنه دافئ"، قال. "دافئ وناعم." بيجو ابتعدتْ عن الغليون لأنها لاتريدهم أن يعرفوا أن ملاطفات الباسكي كلها بللتها. إلا أن الغليون خرج كاشفاً هذا، كما لو أنه غمس في عصير الخوخ. أعاده الباسكي إلى مالكه، الذي منح هكذا قليلاً من رائحة بيجو الجنسية. كانت بيجو خائفة مما يمكن أن يخترعه الباسكي لاحقاً. ربطت ساقيها باحكام. كان الباسكي يدخن. الأصدقاء الثلاثة جلسوا حول السرير، يتحدثون من دون انقطاع كما لو أن الإيماءات التي كانت تجري لا شأن لها بحوارهم.

كان أحدهم يتحدث عن الرسامة التي ملأت صالات عرض الآثار الفنية بأزهار ضخمة بألوان قوس قزح. "هي ليستْ بالأزهار"، قال مدخن الغليون، "هي فروج. أي امرئ بوسعه أن يرى ذلك. إنها هاجس يهيمن عليها. إنها ترسم فرجاً بحجم امرأة بالغة تماماً في البداية يبدو الفرج أشبه بالتويجات، قلب الزهرة، بعدها يرى المرء الشفتين غير المتساويتين، خط المركز الدقيق، الحافة المتموجة للشفتين، عندما تنفتحان. أي نوع من النساء يمكن أن تكون هي، تعرض دوماً هذا الفرج

لهائل، مختفياً بصورة إيحائية في نفق كالتكرار، بارزاً من نفق كبير لى نفق صغير، ظله، كما لو أن أحداً كان يدخل فيه حقيقةً. إنه يجعلك نشعر كما لو أنك واقف أمام تلك النباتات البحرية التي تنفتح فقط كي نص أي طعام كائناً ما كان بوسعها أن تمسك به، تنفتح بالحافات لمرتعشة ذاتها."

في هذه اللحظة خطرتْ ببال الباسكي فكرة. طلب من بيجو أن تجلب فرشاة وآلة حلاقة. أطاعته. كانت سعيدة باغتنام فرصة للحركة هنا وهناك كي تتخلص من الكسل الجنسي الذي كانت يداه تحيكانه حولها. كان باله في شيء آخر الآن. تناول الفرشاة والصابون منها وبدأ يمزج رغوة الصابون. وضع شفرةً جديدةً في أداة الحلاقة. بعدها قال لها: "استلقِ على السرير."

"ماذا ستفعل؟" قالت. "ليس عندي شعر على ساقيّ."

"أعرف أنكِ لا تملكين. أظهريهما." مدتهما. كانا في الواقع ملساوين جداً بحيث بدتا كما لو أنهما مصقولتان. شعتا كخشب ثمين باهت، مصقولتين صقلاً شديداً، لا تظهر أيما شعرة، مامن أوردة، ليس ثمة خشونة، لاندوب، لاعيوب. الرجال الثلاثة انحنوا فوق ساقيها. بينما كانت تهزهما، أمسك بها الباسكي أمام سرواله. ثم رفع تنورتها بينما كانت تكافح كي تنزلها.

"ما الذي ستفعله؟" سألت من جديد.

رفع تنورتها وكشف خصلة خصبةً من الشعر المجعد بحيث أن الرجال الثلاثة أطلقوا صفيراً. أبقت ساقيها مضمومتين بإحكام، قدماها قبالة سروال الباسكي، حيث شعر فجأةً بإحساس محتشد، كما لو أن مائة نملة كانت تسافر فوق عضو ذكورته.

طلب من الرجال الثلاثة أن يمسكوا بها. تلوتْ بيجو في بادئ الأمر ومن ثم أدركتْ أن الإستلقاء من دون حراك أقل خطورة، ذلك أنه كان يحلق شعر عانتها بحذر، بادئاً من الحافات، حيث كان الشعر متناثراً ومتألقاً على بطنها المخملي. كان البطن يهبط في منحدر لين هناك. صنع الباسكي رغوة الصابون، ثم حلق برفق، نشف الشعر والصابون بمنشفة. لأن ساقيها مضمومتين بإحكام لم يستطع الرجال أن يروا شيئاً سوى الشعر، لكن بما أن الباسكي كان مستمراً في الحلاقة ووصل إلى مركز المثلث، كشف جبلاً، بروزاً جسدياً ناعماً. إحساس الشفرة الباردة هناك هيج بيجو. كانت نصف غاضبة، نصف مُستثارة، راغبة بعدم كشف عضو أنوثتها، إلا أن الحلاقة كشفت المكان الذي هبطت فيه النعومة إلى خط دقيق ملتو إلى الداخل. كشفت برعم الفتحة، اللحم الناعم المطوي الذي طوّق البظر، قمة الشفتين عميقتي اللون. كانت تبغي الآن أن تتحرك مبتعدةً إلا أنها كانت تخشى من أن تؤذيها الشفرة. الرجال الثلاثة أمسكوا بها وانحنوا فوقها كي يراقبوا. ظنوا أن الباسكي سيتوقف هناك. إلا أنه أمرها أن تباعد بين ساقيها. هزتْ قدميها قبالته، الأمر الذي لم يسبب له سوى المزيد من الإثارة. قال ثانيةً: "باعدي بين ساقيك. هناك المزيد من الشعر هناك في الداخل." كانت مرغمة على فتحمها، وبرفق شرع يحلق الشعرات، المتباعدة ثانيةً، المجعدة برقة، في كل جوانب الفرج.

والآن كل شيء صار مكشوفاً ـ الفم الطويل الموضوع عمودياً، فم ثانٍ، الذي كان ينفتح ليس كفم الوجه، بل كان ينفتح فقط إذا اختارت أن تباعد بين ساقيها قليلاً. غير أن بيجو ما كانت لتباعد ، وكان

بوسعهم رؤية الشفتين، مضمومتين، سادتين الطريق.

قال الباسكي، "هي الآن تشبه رسوم تلك المرأة، أليس كذلك؟" إنما في الرسوم، كان الفرج مفتوحاً، الشفتان مبتاعدتان، كاشفتين الطبقة الداخلية الأكثر شحوباً كباطن شفتي الفم. هذا، ما كانت لتظهره بيجو. ما إن تمت حلاقتها، حتى أغلقت ساقيها ثانيةً.

قال الباسكي: "سأجعلك تفتحين هناك."

غسل الصابون عن الفرشاة. الآن راح يمس شفتي الفرج مساً خفيفاً بالفرشاة، صعوداً ونزولاً، برفق. في بادئ الأمر، قلّصتْ بيجو نفسها أكثر. رؤوس الرجال مالتْ مقتربة منها. الباسكي، أمسك ساقيها قبالة انتصابه، بوسوسة مسٍّ الفرج وقمة البظر بالفرشاة.

عندئذ شاهد الرجال أن بيجو لم تعدْ تقلص أليتيها وعضو أنوثتها، ذلك أن الفرشاة بينما كانت تحرك، تدحرجت مؤخرتها إلى الأمام قليلاً، تباعدتْ شفتا الفرج، في البداية بصورةٍ لايمكن إدراكها حسياً. العري كشف كل تفاصيل حركتها. الآن الشفتان انفرجتا وكشفتا هالة أخرى، ذات تدرج لون باهت أكثر، بعدها هالة ثالثة، والآن جعلتْ بيجو تدفع، تدفع، كما لو أنها ستفتح. تحرك بطنها بانسجام، منتفخاً وهابطاً. مال الباسكي بثبات على ساقيها المتمعجين.

"قفْ"، توسلتْ بيجو، "قفْ." كان بوسع الرجال أن يشاهدوا الرطوبة بتنز منها. عندئذ توقف الباسكي، غير عازم على منحها اللذة، محتفظاً بها لنفسه في ما بعد.

كانت بيجو تتوق توقاً شديداً إلى صنع اختلاف بين حياتها في المبغى وحياتها بصفتها رفيقة وموديل رسام. كان الباسكي عازماً على

صنع اختلاف صغير واحد فقط، ينحصر في مسألة الامتلاك الحقيقي. غير أنه كان يحب أن يعريها ويبهج زائريه برؤيتها متجردة من الثياب. كان يجعلهم يسدون العون لها في استحمامها. كانوا يحبون أن يشاهدوا كيف كان ثدياها يعومان في الماء، كيف كان بوسع انتفاخ بطنها أن يجعل الماء يرتفع وينخفض بصورة إيقاعية، كيف كانت ترفع نفسها كي تمرر الصابون بين ساقيها. كانوا يحبون أن يجففوا جسمها الرطب. أما إذا حاول أي منهم أن يرى خصوصيات بيجو، وأن يمتلكها، فعندذاك يغدو الباسكي عفريتاً ورجلاً باعثاً على الخوف.

انتقاماً من هذه الألعاب، كانت بيجو تشعر أنها لها الحق في الذهاب إلى أي مكان تشاء. أبقاها الباسكي في حالة إثارة جنسية شديدة ولم يكنْ يزعج نفسه دوماً في إشباع رغبتها. عندئذ بدأتْ خياناتها الزوجية، لكنها (أي الخيانات) أُنجزتْ بصورة مراوغة جداً بحيث أن الباسكي لم يستطع الإمساك بها. جمعت بيجو عشاقها في (سوميو الكبير)، حيث كانت تتوضع لصف الرسم. في أيام الشتاء لم تكنْ تخلع ثيابها بعجالة وبسرية كما تفعل الموديلات الأخريات، بل تفعل ذلك جنب الموقد قرب منصة الموديل، على مرآى من الجميع. كان لـ بيجو فن في هذا الشأن.

أولاً كانت ترخي شعرها الهمجي، تهزه كما لو كان عرف فرس. بعدها تفتح أزرار معطفها. كانت يداها بطيئتين وملاطفتين. لم تكنْ تمس نفسها بصورة موضوعية، إنما أشبه بامرأة تتحقق بالتجربة بيديها من الحالة الدقيقة لجسدها، مربتةً عليه بعرفان بالجميل تكريماً لكمالاته. فستانها الأسود الدائم ملتصق بجسدها كجلد ثانٍ وكان مليئاً بفتحات

غامضة. إيماءة واحدة فتحتْ الكتفين وجعلتْ الفستان ينسدل على ثدييها إنما ليس أبعد من ذلك. عند هذه النقطة قررتْ أن تنظر إلى وجهها في المرآة وتتفحص أهداب عينيها. بعدها فتحت (السحاب) الذي كشف الأضلاع، بداية الثديين، بداية منحنى البطن. كان الطلبة يراقبونها من وراء حوامل قماشات الرسم. حتى النساء كن يبقين نظراتهن على الأجزاء الخصبة من جسم بيجو، التي كانت تنبجس من الفستان بصورة باهرة. الجلد الخالي من النقص، الخطوط المحيطية اللينة، اللحم المتين: كلها سحرتهم جميعاً. كانت لـ بيجو طريقة في هز نفسها، كما لو أنها ترخي عضلاتها، كما يفعل القط قبل وثوبه. هذا الاهتزاز، الذي مرَّ عبر أنحاء جسدها، منح الثديين سيماء كونهما مُسا بعنف. عندئذ أمسكتْ الفستان برقة من الحاشية ورفعته ببطء فوق كتفيها. حين وصل كتفيها، كانت تتوقف دوماً لحظةً. شيء ما أمسك بشعرها الطويل. لم يساعدها أحد. كانوا مصعوقين جميعاً. الجسد الذي انبثق، أملس، الآن عارٍ تماماً، بينما كانت واقفة وساقاها متباعدتان كي تحافظ على توازنها، أجفلهم بحسية كل منحنى من منحنياته، بامتلائه وأنوثته. رباطا الجوربين الأسودان الواسعان وُضعا عالياً. كانت ترتدي جوربين أسودين، إذا كان يوماً مطيراً، جزمتين جلديتين عاليتين، جزمتي رجل. بينما كانت تتصارع مع الجزمتين، كانت تحت رحمة كل امرئٍ يقترب منها. الطلبة أغووا بصورة موجعة. ربما يتظاهر أحدهم بمساعدتها لكنه ما إن يدنو منها حتى كانت تركله، مستشعرةً نيته الحقيقية. كانت تستمر في الصراع مع الفستان المعقد، هازةً نفسها كما لو أنها في تشنج الحب. ختاماً، حررتْ نفسها، بعد أن أشبع الطلبة عيونهم. حررتْ ثدييها الممتلئين وشعرها المعقوص.

غالباً كان يُطلب منها أن تبقى مرتديةً جزمتيها، الجزمتين الثقيلتين اللتين تفتح منهما، كزهرة، جسد الأنثى عاجي اللون. عندئذ تكتسح الصف كله عاصفة من الرغبة.

ما إن تعتلي المنصة حتى تصبح موديلاً، وكان الطلبة يتذكرون أنهم فنانون تشكيليون. إذا رأتْ أحداً أحبته، كانت تبقي نظراتها عليه. كان هذا هو الوقت الوحيد الذي تملكه كي تطلب فيه الود، ذلك أن الباسكي سيأتي ليأخذها في نهاية فترة ما بعد الظهر. كان الطالب يعرف ماذا عنت نظرتها: إنها ستقبل دعوته كي تحتسي معه كأساً في المقهى القريب. كان الملقن يعرف، أيضاً، أن المقهى ذو طبقتين. الطبقة العليا يشغلها لاعبو الورق مساءً، غير أنها تكون مهجورة تماماً في وقت ما بعد الظهر. العشاق وحدهم كانوا يعرفون هذا الطالب وبيجو يذهبان إلى هناك، يصعدان العدد القليل من درجات السلّم مع العلامة التي كانت تشير إلى المغاسل، ويجدان نفسيهما في حجرة نصف مظلمة من المرايا والمناضد والكراسي.

أمرتْ بيجو النادل أن يجلب لهما مشروباً، بعدها استلقتْ على المقعد الطويل المنجد بالجلد واسترختْ. الطالب الشاب الذي اختارته كان يرتعش. كانت تنبعث من جسمها حرارة لم يشعرْ بها من قبل. ارتمى فوق فمها، جلده الطري وأسنانه الجميلة تغريها كي تفتح فمها على وسعه من أجل قبلته وتستجيب بلسانها. تصارعا على الكنبة الطويلة الضيقة، وبدأ يتحسس، بقدر استطاعته، أكبر مايمكن من جسمها، خائفاً من أنها في أي لحظة ربما تقول له: "قفْ، ربما يرتقي أحد ما درجات السلم."

عكستْ المرايا صراعهما، اضطراب فستانها وشعرها. كانت يدا

الطالب طريتين وجريئتين. اندس تحت الطاولة ورفع تنورتها. عندئذ قالت، "قفْ، ربما يأتي أحدهم مرتقياً درجات السلم." رد عليها، "دعيهم يأتون. هم لن يروني." إنها الحقيقة، ما كانوا ليشاهدوه هناك تحت الطاولة. كانت تجلس مقوّسةً جذعها إلى الأمام، مريحةً وجهها على يديها الكأسيتين، كما لو كانت تحلم، وتسمح للطالب اليافع أن يجثو على ركبتيه ويدفن رأسه تحت تنورتها.

صارتْ كسولةً وأسلمتْ نفسها لقبلاته ومداعباته. في الموضع الذي شعرتْ فيه بفرشاة حلاقة الباسكي، شعرتْ الآن بلسان الشاب. ارتمتْ إلى الأمام، غمرتها اللذة. بعدها سمعا خطوات على السلم، ورفع الطالب نفسه بسرعة وجلس جنبها. كي يغطي ارتباكه قبلها. وجدهما النادل متعانقين وغادر بسرعة بعد أن أنجز مهمته. الآن يدا بيجو راحتا تنقبان في ثياب الطالب اليافع. كان يقبلها باهتياج شديد بحيث هوتْ على جانبها على الكنبة وارتمى فوقها. همس الشاب: "تعالي إلى غرفتي. أرجوكِ تعالي إلى غرفتي. هي ليستْ بالبعيدة."

"لا أستطيع"، قالت بيجو. "الباسكي سيأتي ليأخذني حالاً." عندئذ كل منهما أخذ يد الآخر ووضعها في المكان الذي تستطيع أن تمنح فيه أعظم لذة. جالسين هناك أمام الكأسين المترعين بالشراب كما لو كانا يتحاوران معاً، داعب أحدهما الآخر. المرايا عكستهما كما لو أنهما يكادان ينشجان، ملامحهما متقلّصة، شفاههما مرتعشة، عيونهما تطرف. من وجهيهما يستطيع المرء أن يتابع حركة أيديهما. تارةً يبدو الطالب كما لو كان جريحاً وهو ذا يتوق إلى نشقة هواء. صعد اثنان آخران درجات السلم بينما كانت أيديهما ما تزال تواصل عملهما، وتعين

عليهما أن يتبادلا القبلات من جديد، كعاشقين رومانسيين.

الطالب الشاب، غير قادر على إخفاء الحالة التي كان فيها، مضى إلى مكان ما كي يهدئ نفسه. عادتْ بيجو إلى الصف، جسدها يتلظى. عندما أقبل إليها الباسكي في ساعة الإغلاق، كانت استعادتْ هدوءها من جديد.

سمعتْ بيجو عن مستبصر ومضتْ لتستشيره. كان رجلاً ضخماً ملوناً من غرب أفريقيا. كل نساء حيها ذهبن إليه. كانت حجرة الانتظار مليئة. أمامها تتدلى ستارة حرير صينية سوداء كبيرة مطرزة بالذهب. ظهر الرجل من ورائها. إذا استثنينا زيه العادي، كان هو أشبه بساحر. أرسل إلى بيجو نظرةً جدية بعينيه اللماعتين، بعدها توارى خلف الستارة مع آخر النساء التي كانت وصلتْ قبلها. استمرت الجلسة نصف ساعة. ثم رفع الرجل الستارة السوداء وبأدب رافق المرأة إلى الباب الأمامي.

جاء دور بيجو. سمح لها أن تمر من تحت الستارة وألفت نفسها في حجرة معتمة تقريباً، صغيرة جداً، تتدلى فيها ستائر صينية ومضاءة فقط بكرة بلور مع مصباح تحتها. أضاءتْ هذه وجه المستبصر ويديه وتركت كل شيء آخر في العتمة. كانت عيناه منومتين.

قررتْ بيجو أن تقاوم مسألة تنويمها وأن تبقى واعية كلياً بما يجري. أخبرها أن تستلقي على الكنبة، وأن تتحلى بالهدوء التام لحظةً بينما ركز هو، جالساً إلى جنبها، إنتباهه عليها. أغمض الرجل عينيه هو، لذا قررتْ بيجو أن تغمض عينيها. على مدى دقيقة واحدة تماماً بقي في هذه الحالة الذاهلة، وبعدها وضع يده على جبينها. كانت يداً دافئة، جافة، ثقيلة ومكهربة.

بعدها قال صوته، كما لو في حلم، "أنتِ متزوجة من رجلٍ يجعلك تعانين."

"أجل"، قالت بيجو، مفكرةً في الباسكي الذي عراها لأصدقائه.

"له عادات خاصة."

"نعم"، ردتْ بيجو، مندهشة. عيناها مغمضتان، تخيلتْ المشاهد بصورة جلية تماماً. بدا كما لو أن بوسع المستبصر أن يراها هو أيضاً.

أضاف قائلاً، "أنتِ حزينة، وتعوضين عن ذلك من خلال كونك غير مخلصة"

"نعم"، أجابت بيجو ثانيةً.

ثم فتحتْ عينيها ورأت الزنجي ينظر إليها بتركيز، وأغمضتهما من جديد. وضع يده على كتفها.

"إذهبي إلى النوم"، قال.

هدأتها كلماته، التي اكتشفتْ فيها ظلاً من الأسف. إلا أنها لم تستطعْ النوم. كان جسمها مستثاراً. كانت تعرف كيف تتغير الأنفاس في أثناء النوم، وكيف تتغير حركة الثديين. لذا تظاهرتْ بالنوم. طوال الوقت شعرتْ بيده على كتفها، ودفؤها اخترق ثيابها مباشرةً. بدأ يداعب كتفها. فعل ذلك بهدوء شديد بحيث كانت خائفة من أنها ربما تستسلم للنوم، إلا أنها لم تشأ أن تفقد الإحساس اللذيذ الذي كان يطوف عمودها الفقري عند اللمسة الرشيقة ليده. استرختْ كلياً.

مس حنجرتها وانتظر. كان يريد أن يتأكد من كونها نائمة. لمس ثدييها. لم تبدِ بيجو أي حركة.

بحذر، برشاقة، داعب بطنها، وبضغط الإصبع دفع الحرير الأسود

لثوبها كي يرسم شكل ساقيها والحيز القائم بين ساقيها. حين أوضح هذا الوادي، استمر في مداعبة ساقيها. لم يمسْ حتى الآن ساقيها وراء الثوب. بعدها من دون ضجيج ترك كرسيه، ذهب إلى قدم الأريكة وجثا على ركبتيه. في هذا الوضع، عرفتْ بيجو، سيكون بمستطاعه أن ينظر تحت ثوبها ويرى أنها لا ترتدي شيئاً تحته. نظر برهةً طويلة من الزمن.

بعدها شعرتْ به يرفع حاشية التنورة قليلاً كي يكون قادراً على الرؤية أكثر. مددتْ بيجو نفسها وكانت ساقاها متباعدتين قليلاً. كانت تذوب تحت لمسته ونظراته. كم كان مدهشاً أن يُنظر إليها بينما هي نائمة ظاهرياً، وأن تشعر أن الرجل حر تماماً. شعرتْ بالحرير يُرفع، شعرت بساقيها مكشوفتين للهواء. كان يتطلع إليهما.

بيدٍ واحدة داعبها برقة، ببطء، مستمتعاً بهما إلى الحد الأقصى، مستشعراً الخطوط الناعمة، مر الحرير الطويل يتقدم صعوداً تحت الثوب. وجدتْ بيجو أنه شيء عسير أن تستلقي بلا حراك على الإطلاق. أرادتْ أن تباعد ساقيها أكثر قليلاً. كم كانتْ يداه تسافران ببطء. كان بوسعها أن تشعر كيف لاحق الخطوط المحيطية لساقيها، متأنياً على المنحنيات، كيف توقفت يده عند الركبة، بعدها إستمرتْ. توقف قبل أن يمس الفرج. لابد أنه كان يراقب وجهها كي يرى ما إذا كانت نُومتْ نوماً عميقاً. بإصبعين شرع يتحسس فرجها، يعجنه.

حين شعر بالعسل الذي انساب بهدوء، دس رأسه تحت التنورة، أخفى نفسه بين ساقيها وبدأ يقبلها. كان لسانه طويلاً وخفيف الحركة، ثاقباً. توجب عليها أن تمنع نفسها من التحرك إلى الأمام صوب فمه الشره.

كان المصباح الصغير يبعث ضوءاً ضعيفاً جداً بحيث جازفت بفتح عينيها إلى النصف. كان سحب رأسه من تحت تنورتها وكان يخلع ثيابه ببطء. وقف قريباً منها، مهيباً جداً، طويل القامة، كملك إفريقي، عيناه تلمعان، أسنانه مكشوفة، فمه رطب.

لا تتحركي، لا تتحركي، كي تسمحي له أن يفعل ما يشاء. ماذا سيفعل رجل بامرأة منوَّمة لم تكنْ به حاجة إلى أن يخيفها أو يسرها بأي حالٍ من الأحوال؟

عارياً، اعتلاها، ومن ثم طوقها بذراعيه، وبعناية قلبها على جنبها. كانت بيجو الآن ترقد مانحةً أليتيها السخيتين. رفع ثوبها وباعد بين الجبلين. توقف قليلاً، كي يمتع عينيه. كانت أصابعه متينة ودافئة، بينما كانت تباعد لحمها. مال فوقها وراح يقبل الشق. ثم دس يديه حول جسمها ورفعها نحوه، كي يكون قادراً على أن يثقبها من الخلف. في البداية وجد فتحة المؤخرة فقط، التي كانت صغيرةً وضيقةً جداً للدخول، بعدها وجد الفتحة الأوسع. تأرجح في داخلها وخارجها لحظةً ومن ثم توقف.

قلبها ثانيةً بحيث كان قادراً على أن يرى نفسه وهو يمتلكها من الأمام.

كانت يداه تفتشان عن ثدييها تحت الثوب وسحقتاهما بمداعبات عنيفة. كان عضو ذكورته كبيراً وملأها كلياً. أدخله بعنف كبير بحيث ظنتْ بيجو بأنها سوف تصل الذروة الجنسية وأنها سوف تكشف نفسها. كانت تريد أن تنال لذتها من دون أن يعرف هو بذلك. أثارها كثيراً جداً بإيقاعه الجنسي الساحق بحيث أنها فجأة، حالماانسل خارجاً منها كي يلاطفها، شعرتْ بقدوم الذروة الجنسية.

كانت رغبتها الكلية هي أن تعقد العزم على الشعور بها ثانيةً. حاول الآن أن يدفع عضوه في فمها نصف المفتوح. أحجمتْ عن الإستجابة. وفتحتْ فمها أكثر قليلاً لاغير. كي تمنع يديها من لمسه، كي تمنع نفسها من الحركة، تطلب مجهوداً عظيماً. لكنها أرادتْ أن تشعر من جديد بتلك السعادة الغريبة للذروة الجنسية المسروقة، بينما كان هو يشعر بسعادة هذه المداعبات المسروقة.

دفعه خمولها إلى جنون مؤقت. كان مسٌّ كافة أنحاء جسمها، ثقبها بكل طريقة على وفق ما استطاع. جلس الآن على بطنها ودفع قضيبه بين ثدييها، وشدهما حوله، وشرع يتحرك. كان بوسعها أن تحس بشعراته تمسها مساً خفيفاً.

عندئذ فقدت بيجو السيطرة على نفسها. فتحتْ فمها وعينيها في الوقت نفسه. نخر [٣٤] الرجل بابتهاج، ضغط فمه مع فمها، ودعك جسده كله بجسدها. كان لسان بيجو ينقر على فمه، بينما كان يعض شفتيها.

توقف فجأة وقال، "هل ستؤدين شيئاً لي؟"

أومأت برأسها علامة الإيجاب.

"سوف أستلقي على الأرض وأنتِ تأتين وتجثمين فوقي، وتجعلينني أنظر تحت ثوبك."

مدد نفسه على البلاط. جثمتْ فوق وجهه ورفعتْ ثوبها بحيث وقع وغطى رأسه. بيديه الإثنتين أمسك بمؤخرتها كما يمسك بثمرة ومرر لسانه بين الجبلين المرة تلو المرة. الآن أيضاً لاطف بظرها، الأمر الذي جعل بيجو تتحرك إلى الأمام والخلف. تحسس لسانه الإستجابات كلها،

التقلصات كلها. بينما كانتْ تجثم فوقه، رأتْ قضيبه المنتصب يهتز مع كل لهاث سعادة كان يطلقه.

كان هناك قرع على الباب. نهضتْ بيجو بسرعة، مجفلةً، وشفتاها ما تزالان رطبتين من جراء القبلات وشعرها مُهمل.

أجاب المستبصر بهدوء على أية حال: "إني غير مستعد حتى الآن." ومن ثم التفت وابتسم لها.

بادلته الإبتسام. لبس ثيابه على عجل. في الحال كل شيء ترتب ظاهرياً. اتفقا على أن يلتقيا من جديد. أرادتْ بيجو أن تأتي بصديقتها ليلى وإيلينا. هل يحبذ اللقاء بهما؟ توسل إليها أن تفعل. قال: "معظم النساء اللواتي يأتين إلى هنا لا يغوينني. هن لسن جميلات. أما أنتِ ـ تعالي وقتما تشائين. سأرقص لك."

رقصته للنساء الثلاث جرتْ ذات مساء حين انصرفت الزبونات كلهن. عرى نفسه، عارضاً جسمه الأسمر ـ الذهبي الوامض. ربط إلى خصره قضيباً زائفاً إتخذ شكل قضيبه هو وباللون نفسه.

قال، "هذه رقصة من بلدي. نفعل هذا للنساء في أيام الأعياد."

في الحجرة ذات الإضاءة الضعيفة، حيث كان الضوء يشع كنار صغيرة فوق جلده، أخذ يحرك بطنه، جاعلاً القضيب يرفرف بطريقة موحية جداً. هز جسده كما لو كان يدخل امرأةً وقلّد تشنجات رجل تشبثت به النغميات [٢٥] المختلفة لذروة ما. واحد، إثنان، ثلاثة. كان التشنج الأخير همجياً، كتشنج رجل يتخلى عن حياته في الفعل الجنسي.

النساء الثلاث راقبن. في البدء هيمن فقط القضيب المزيف، إنما بعدئذ القضيب الحقيقي، في حرارة الرقصة، بدأ يتنافس بالطول والوزن.

الآن تحرك كلاهما بتناغم مع إيماءاته. أغمض عينيه كما لو أنه لم يكن بحاجة إلى النساء. كان التأثير على بيجو قوياً. خلعتْ ثوبها. بدأت ترقص حوله بإغراء. أما هو فكان يمسها حصراً بين الفينة والفينة بطرف عضو ذكورته، أينما صادفها، واستمر في تدوير وهز جسده في المكان كمتوحش يرقص قبالة جسد غير مرئي.

الإثارة فعلتْ فعلها في إيلينا، أيضاً، ونزعتْ ثوبها بعجالة وركعتْ قريباً منها، لمجرد أن تكون في مدار رقصتهما الجنسية. بغتةً أرادت أن تُمتلك إلى حد النزف، بوساطة هذا القضيب الضخم، القوي، المتين المتمايل أمامها، بينما كان يقوم برقصة هزالبطن، رقصة ذكورية، بحركاته (أي حركات العضو) المعذبة.

الآن ليلى، التي لم تشتهي الرجال، سيطر عليها مزاجا المرأتين وحاولتْ أن تطوّق بيجو، إلا أن الأخيرة لم تشأ ذلك. كانتْ مفتونة بالقضيبين.

حاولتْ ليلى أن تقبل إيلينا أيضاً. بعدها دعكت حلمتيها بكلتا المرأتين، ساعيةً إلى إغوائهما. ضغطتْ نفسها على بيجو كي تنتفع من استثارتها، إلا أن بيجو واصلتْ تركيزها على العضوين الذكوريين المترنحين أمامها. كان فمها مفتوحاً، وهي، كذلك، كانت تحلم بأن تُمتلك بوساطة حيوان غريب الشكل ذي عضوين، حيوان يمكنه أن يشبع مركزي إستجابتها في الحال.

حين سقط الأفريقي، منهكاً من جراء الرقصة، وثبتْ إيلينا وبيجو فوقه في الوقت ذاته. إلا أن بيجو أدخلتْ بسرعة أحد القضيبين في فرجها والآخر في مستقيمها وبعدها تلّوتْ فوق بطنه بوحشية وبإستمرار

إلى أن شعرتْ بالإشباع، مع صرخةٍ طويلة ناجمة عن اللذة. دفعتها إيلينا جانباً، واتخذت الوضع نفسه. غير أنها حين رأتْ الإفريقي متعباً، لم تتحركْ، انتظرته ريثما يستعيد قوته.

بقي قضيبه منتصباً بداخلها، وبينما كانت تنتظر شرعتْ تقلص نفسها، ببطء شديد ورقة شديدة، خائفة من أن تصل الذروة بسرعة كبيرة وتضع نهاية لسعادتها. بعد لحظة أمسك بمؤخرتها ورفعها كي تكون قادرة على متابعة النبض السريع لدمه. أحناها وقولبها ودفعها وسحبها كي تلائم إيقاعه إلى أن صرخ، وبعدها تحركتْ هي في دائرة حول القضيب المتورم إلى أن بلغ الذروة.

ثم جعل ليلى تجثم فوق وجهه كما فعل في وقت أبكر مع بيكو وأخفى وجهه بين ساقيها.

مع أن ليلى لم تشتهي رجلاً، صارتْ تعي إحساساً لم تخبره من قبل بينما كان لسان الأفريقي يداعبها. كانت تريد أن تُمتلك من الخلف. تحركتْ عن موضعها وطلبتْ منه أن يدخل القضيب المزيف. كانت راكعة على يديها وركبتيها الآن، وفعل ماطلبتْ منه.

إيلينا وبيجو راقبتاها بدهشة، وهي تكشف مؤخرتها بإستثارة واضحة، والأفريقي خدش وعض بينما كان يحرك القضيب المزيف بداخلها. الألم واللذة امتزجا بداخلها، ذلك أن القضيب كان كبيراً، إلا أنها بقيت جاثية على يديها وركبتيها، والأفريقي ملتحم بها، وتحركتْ بتشنج إلى أن وجدتْ لذتها.

كانت بيجو كثيراً ما تذهب لرؤية الأفريقي. ذات يوم استلقيا معاً على كنبته ودفن وجهه تحت ذراعيها؛ استنشق عطرها، بعدها بدلاً من

أن يقبلها، شرع يتشممها في كل أنحاء جسمها كالحيوان - أولاً تشمم إبطيها، بعدها تشمم شعرها، ومن ثم بين ساقيها. بينما كان يفعل ذلك أصبح مستثاراً، إلا أنه لم يمتلكها.

قال، "أنتِ تعرفين، بيجو، إنني سأحبك أكثر لو أنك لا تستحمين كثيراً جداً. أحب رائحة جسدك، إلا أنها ضعيفة. إنها تتلاشى بالإستحمام الكثير جداً. لهذا السبب إنني قلما أشتهي النساء البيضاوات. أحب الرائحة الأنثوية القوية. من فضلك اغتسلي أقل."

كي تسره، غسلتْ بيجو نفسها بصورة أقل، كان يحب بصورة خاصة الرائحة الكائنة بين ساقيها عندما لا تغتسل، رائحة أصداف البحر المدهشة التي يمتلكها السائل المنوي. ثم طلب منها أن تبقي سروالها الداخلي له. أن ترتديه بضعة أيام ومن ثم تجلبه إليه.

في البدء جلبتْ له منامة لبستها كثيراً، منامة سوداء جميلة ذات حافات من الدانتيلا. كانت بيجو مستلقية جنبه، غطى الأفريقي وجهه بالمنامة واستنشق روائحها؛ رقد مستريحاً مستثاراً وصامتاً. رأتْ بيجو أن رغبته كانت تنتفخ تحت سرواله. مالتْ برفق وبدأت تفتح زراً واحداً، بعدها زراً آخر، ومن ثم الثالث. فتحتْ السروال وفتشتْ عن عضو ذكورته الذي كان يشير إلى الأسفل، مقبوضاً عليه تحت سرواله الداخلي الضيق. توجب عليها ثانيةً أن تفك الأزرار.

في الختام رأتْ وميض القضيب، أسمر جداً وناعماً جداً. أدخلتْ يدها برقة، كما لو أنها تهم بسرقته. الأفريقي، رأسه مغطى بالمنامة، لم يتطلع إليها. سحبتْ القضيب ببطء إلى الأعلى، أرختها من وضعه المقيد وحررته. مضى إلى الأعلى، مستقيماً وناعماً وصلباً. إلا أنها لم تكدْ

تمسه بفمها حين سحبه الأفريقي بعيداً عنها. الآن تناول المنامة، مجعدةً وخفيفةً بكل معنى الكلمة، طرحها على الفراش، ورمى نفسه فوقها بكامل قامته، دفن عضو ذكورته فيها، وشرع يترحك صعوداً ونزولاً عليها، كما لو أن بيجو هي التي كانت مستلقية هناك.

راقبتْ، مفتونة بالطريقة التي يدفع بها نفسه على المنامة ومتجاهلاً إياها. أثارته حركاتها. كان في حالة جنون مؤقت بحيث كان يتعرّق، وانبعثت من جسمه كله رائحة حيوانية مُسكرة. ارتمتْ فوقه، حمل ثقلها على ظهره، غير مبالٍ، وواصل حركته على المنامة.

رأته يسارع حركاته. بعدها أوقف نفسه. انقلب وشرع يخلع ثيابها برفق شديد. ظنتْ بيجو أنه الآن فقد شغفه بالمنامة وسوف يمارس الحب معها. نزع جواربها، تاركاً رباطي الجوربين على لحمها العاري. ثم رفع ثوبها، الذي كان مايزال دافئاً بسبب التماس مع جسمها. كي تسره كانتْ بيجو ترتدي سروالاً داخلياً أسود اللون. نزع هذا ببطء، وتوقف في منتصف المسافة كي يتطلع إلى اللحم العاجي المنبثق، إلى جزء من مؤخرتها، بداية الوادي ذي النقرة. قبلها هناك، دس لسانه على امتداد الشق اللذيذ، بينما كان يواصل خلع السروال. لم يتركْ جزءاً لم يقبله بينما كان يسحب السروال على امتداد فخذيها، وشعرتْ هي بالحرير وكأنه يد أخرى على لحمها.

بينما كانت ترفع إحدى ساقيها كي تحرر نفسها من السروال، صار بمستطاعه أن يرى فرجها بصورة كاملة. قبلها هناك، وبعدها رفعتْ ساقها الأخرى ووضعتهما كلتيهما على كتفيه.

حمل السروال الداخلي بيده واستمر في تقبيلها، تاركاً إياها رطبةً

ولاهثـةً. ثم انقلب على جنبـه ودفن وجـهـه في السـروال الداخلي، في المنامة، لف الجوربين حول قضيبه، وضع ثوب الحرير الأسود على بطنه. بدتْ الثياب وكأنها تمتلك التأثير نفسه الذي تمتلكه يد، تقلص بإهتياج.

حاولتْ بيجو ثانيةً أن تمس قضيبه بفمها، بيديها، لكنه صدّها. رقدتْ عاريةً وجائعةً إلى جانبه، تراقب لذته. كانت مُعذِبة وفظة. حاولتْ تقبيل بقية جسمه، إلا أنه لم يستجب.

تابع ملاطفة وتقبيل وإستنشاق الثياب إلى أن بدأ جسده يرتعش. استلقى، قضيبه يهتز في الهواء، من دون أن يكون هناك ما يطوقه، يمسك به. اهتز من جراء اللذة من رأسه إلى قدمه، عاضاً السروال الداخلي، ماضغاً إياه، طوال الوقت عضوه المنتصب قريب من فم بيجو، مع ذلك هو متعذر الحصول عليه من قبلها. في الختام إهتز القضيب بعنف، وحين ظهرتْ الرغوة البيضاء في طرفه، رمتْ بيجو نفسها على العضو كي تجمع الدفقات الأخيرة.

ذات يوم، في وقت مابعد الظهر، حين كانت بيجو والأفريقي معاً، ووجدتْ بيجو أنها غير قادرة على إستثارة رغبته في جسدها، قالت بإثارة، "انظر، أصحبتُ أملك فرجاً نامياً بإفراط من جراء تقبيلك وعضك المستمرين هناك، أنتَ تسحب الشفتين كما لو أنهما حلمتان. هما أصبحتا أطول."

أخذ الشفتين بين إبهامه وسبباته، وتفحصهما. فتحهما كتويجي زهرة، وقال، "يستطيع المرء أن يثقبها ويعلق قرطاً عليهما، كما نفعل في أفريقيا. أود أن أفعل ذلك لك."

استمر في مداعبة الفرج. أصبح أصلب تحت ملامسته، ورأى

رطوبةً بيضاء تظهر عند حافته، كالزبد الرقيق لموجة صغيرة. أُستثير. مسه بطرف قضيبه. لكنه لم يدخل. سيطرتْ عليه فكرة ثقب الشفتين، كما لو كانتا شحمتي أذنين، وتعليق قرط ذهبي صغير عليهما، كما شاهد الناس يفعلون ذلك لنساء بلاده.

لم تصدقْ بيجو أنه كان جاداً. كانت تتمتع بلطفه. لكنه نهض حينذاك وذهب ليأتي بإبرة. قاومته بيجو وفرتْ هاربةً.

هي الآن من دون عشيق. استمر الباسكي في تعذيبها بإثارة رغبتها من غير اعتزام لإشباعها، مثيراً فيه رغبات عظيمة للانتقام. كانت لا تشعر بالسعادة إلا حين تخونه.

طافت الشوارع وترددتْ على المقاهي بإحساس بالجوع والفضول؛ كانت تريد شيئاً جديداً، شيئاً ما لم تجربه بعد. جلستْ في المقاهي ورفضت الدعوات.

ذات مساء هبطتْ السلم المؤدي إلى أرصفة تحميل السفن (أو تفريغها) وإلى النهر. هذا الجزء من المدينة كان مضاءاً إضاءةً ضعيفة بوساطة مصابيح الشارع الكائنة فوق الرؤوس. قلما يصل إليه ضوضاء حركة المرور. كانت المراكب الكبيرة المربوطة من دون أضواء، شاغلوها كانوا نياماً في ذلك الوقت من الليل. وصلتْ إلى جدار حجري واطئ جداً وتوقفتْ كي تراقب النهر. مالتْ قليلاً، مفتونةً بالأضواء المنعكسة على صفحة الماء. عندئذ سمعتْ صوتاً استثنائياً جداً يتكلم في أذنها، صوتاً سحرها في الحال.

قال الصوت، "أنا شدك أن لا تتحركي. لن أؤذيك. إنما ابقِ حيث أنتِ"

كان الصوت خفيضاً جداً، عميقاً، صافياً، بحيث أطاعته وأدارتْ رأسها حصراً. وجدتْ رجلاً طويل القامة، وسيماً، حسن الهندام يقف وراءها. كان يبتسم في الضوء الضعيف، بتعبير ودي، مسترضٍ، أنيق.

عندئذ، هو أيضاً، مال على الجدار وقال، "العثور عليكِ هنا بهذه الطريقة، كان أحد هواجس حياتي. أنتِ لا تعرفين كم تبدين جميلة، بثديين مسحوقين على الجدار، ثوبك قصير جداً، وراءك. أي ساقين جميلتين تملكين."

"لابد أن لكَ صديقات كثيرات"، قالت بيجو باسمةً.

"لم أشتهِ امرأةً من قبل بقدر ما اشتهيتك. ألتمسكِ فقط، لا تتحركي."

أُسرت بيجو. سحرها صوت الغريب وأبقاها في نشوةٍ إلى جانبه. شعرتْ بيديه تمران برقة على ساقها، وتحت ثوبها.

بينما كان يلاطفها، قال: "ذات يوم راقبتُ كلبين يلعبان، كلبة وكلب. كانت الكلبة منهمكة في أكل عظم عثرت عليه، والكلب اغتنم الوضع واقترب منها من الخلف. آنذاك كنتُ في الرابعة عشرة. شعرتُ بأكثر الاستثارات همجية من جراء مراقبتهما. كان ذلك أول مشهد جنسي شهدته، واكتشفتُ أول إثارة جنسية في داخلي. من ذلك الزمن فصاعداً، فقط المرأة، أي امرأة، المائلة إلى الأمام كما أنتِ الآن يمكنها أن تثير شهوتي."

استمرتْ يده في ملاطفتها. ضغط عليها قليلاً، ومشاهداً أنها موافقة، شرع يتحرك خلفها كي يغطيها بجسده. أحستْ بيجو بخوف مفاجئ وحاولتْ الهرب من عناقه. إلا أن الرجل كان قوياً. كانت في ذلك

الحين تحته، وكل ما توجب عليه أن يفعله هو أن يحني جسمها أكثر. خفض عنوةً رأسها وكتفيها على الجدار ورفع تنورتها.

كانت بيجو ثانيةً من دون سروال داخلي. لهث الرجل. بدأ يتمتم بكلمات رغبة بحيث هدأتها، إلا أنه في الوقت نفسه قيّدها، جاعلاً إياها تحت رحمته. شعرتْ به إزاء ظهرها، إلا أنه لم يكنْ يمتلكها. كان حصراً يضغط عليها بأكبر قدر ممكن من الإحكام. شعرتْ بقوة ساقيه، وأحستْ بصوته يغلفها، إنما كان هذا كل شيء. ثم شعرتْ بشيء ناعم ودافئ عليها، شيء ما لم يثقبها. في غضون لحظة غُطيتْ بسائل منوي دافئ. هجرها الرجل وفر بعيداً.

أخذت ليلى بيجو على صهوة حصان في الـ (بوا). بدتْ ليلى جميلةً جداً على ظهر الحصان، نحيفةً، ذكوريةً ومتغطرسة. بدتْ بيجو أكثر خصوبة إنما أقل توازناً.

كان ركوب الجياد في الـ (بوا) تجربةً محببةً إلى القلب. مرتا بأناس أنيقين، ثم ركبتا عبر ميديات طويلة من الدروب المعزولة، المشجرة. بين الحين والحين كانتا تمران بمقهى، حيث يكون بمستطاع المرء أن يستريح ويأكل.

كان ربيعاً. تلقتْ بيجو دروساً عدة في ركوب الجياد وهي الآن تركب مستقلةً أول مرة. ركبتا حصانيهما ببطء، متحدثين طوال الوقت. عندئذ انطلقت ليلى تعدو بجوادها وتبعتها بيجو. بعد أن جعلتا حصانيهما يعدوان مدة من الزمن، خفضتا السرعة. كان وجهاهما متوردين.

شعرتْ بيجو بتهيج سار بين ساقيها وبدفء في مؤخرتها. سألتْ

نفسها ما إذا شعرتْ ليلى بالإحساس نفسه. بعد نصف ساعة أخرى من الركوب، تنامى اهتياجها. كانت عيناها ساطعتين، شفتاها رطبتين تطلعتْ إليها ليلى بإعجاب.

"امتطاء صهوة الجواد تناسبكِ"، قالت.

كانت يدها تمسك بسوط بثقة ملكية. قفازاها لاءما أصابعها الطويلة بإحكام. كانت ترتدي قميص رجل ذا زرين معدنيين في الكمين. عادة ركوبها كشفت تناسق خصرها وصدرها ومؤخرتها. كانت بيجو تملأ ملابسها بغزارة أكثر. كان ثدياها عاليين وكانا متجهين بصورة استفزازية إلى الأعلى. كان شعرها يتدلى رخواً في الريح.

لكن أسفاً، الدفء عبر مؤخرتها وبين ساقيها ـ كانت تشعر كما لو أنها مدعوكة بالكحول أو النبيذ، وربت عليها نوعاً ما مدلكٌ متمرس. في كل مرة كانت تصعد وتسقط في السرج تشعر بوخز خفيف لذيذ. كانت ليلى تحب أن تمتطي جوادها خلفها (أي خلف بيجو) وتراقب هيئتها بينما هي تتحرك على الحصان. كونها غير مدربة كلياً، مالتْ بيجو إلى الأمام في السرج وأظهرتْ مؤخرتها، مدورة ومحكمة في سروال ركوب الخيل، وساقيها الجميلتين.

كان الجوادان حارين وأخذا يزبدان. انبعثت منهما رائحة قوية وتسللتْ إلى ثياب المرأتين. بدا جسد ليلى وكأنه صار أخف. أمسكت سوطها بعصبية. ثانيةً جرتا بجواديهما عدواً، جنباً إلى جنب الآن، فماهما نصف مفتوحين والريح في وجهيهما. حينما أمسكت ساقها خاصرتي حصانها بإحكام، تذكرتْ بيجو كيف أنها ركبتْ مرةً على معدةَ الباسكي. وبعدها وقفت، قدماها على صدره وأعضاؤها التناسلية

مباشرةً في خط رؤيته، وأبقاها في هذا الوضع كي يمتع عينيه. في مرةٍ أخرى كان على يديه وركبتيه على الأرض، وركبتْ هي على ظهره وحاولتْ أن تؤذيه بضغط ركبتيها على جنبيه. ضاحكاً بعصبية، حفزها على المزيد. كانت ركبتاها قويتين كركبتي رجل يركب حصاناً، وشعر الباسكي بإهتياج كبير بحيث زحف هكذا حول الغرفة كلها وقضيبه ممدود إلى الخارج.

بين الفينة والفينة كان حصان ليلى يرفع ذيله في سرعة العدو، ومن ثم يضرب نفسه ضرباً عنيفاً، عارضاً شعراتٍ لامعةً في الشمس. حين وصلتا الجزء الأعمق من الغابة، توقفت المرأتان وترجلتا عن جواديهما. سارتا بحصانيهما إلى زاوية مكسوة بالطحلب وجلستا لتستريحا. دخنتا، احتفظتْ ليلى بسوط ركوبها بيدها.

قالت بيجو، "مؤخرتي حارة إلى درجة الاحتراق من جراء الركوب."

"دعيني أرى"، قالت ليلى: "ما كان ينبغي لنا أن نركب كثيراً جداً في هذه المرة الأولى. دعيني أرى كيف تبدين."

حلتْ بيجو حزامها ببطء، فكت السروال، وسحبته إلى الأسفل قليلاً، استدارتْ نحو ليلى كي تجعلها ترى.

سحبتها ليلى فوق ركبتيها وقالت، "دعيني أرى." أنهت خلع السروال كي تكشف المؤخرة كلياً. لمستْ بيجو.

" هل تؤلمك؟" سألت.

"لاتؤلمني. إنها دافئة حسب، كما لو أنها حُمصتْ."

وضعتْ ليلى يدها بهيئة كأس على الأليتين المدورتين. "شيئان

صغيران مسكينان"، قالت. "هل تشعرين بالأذى هنا؟" ذهبتْ يدها إلى موضع أعمق في داخل السروال، أعمق بين الساقين.

"إنه دافئ ومشتعل هناك"، قالت بيجو.

"اخلعي السروال كي يبرد"، قالت ليلى، سحبته إلى الأسفل أكثر قليلاً وأبقتْ بيجو على ركبتيها، معرَّضةً للهواء.

"يالها من بشرة جميلة تلك التي تملكينها، بيجو. إنها تلتقط الضوء واللمعانات. دعي الهواء يبرّدك هناك."

استمرتْ في مداعبة بشرة بيجو بين الساقين كما لو كانت قطة صغيرة. كلما هدد السروال بأن يغطي هذا كله ثانيةً، كانت تسحبه بعيداً عن الطريق.

"مايزال يشتعل"، قالتْ بيجو، من دون أن تتحرك.

"إذا استمر بالإشتعال عندئذ ينبغي لنا أن نجرب شيئاً آخر"، قالتْ ليلى. رفعتْ ليلى سوط الركوب خاصتها وجعلته يسقط، ليس بقوة شديدة جداً في بادئ الأمر.

قالت بيجو: "هذا يجعلني أكثر دفئاً."

"أريدك أكثر دفئاً، بيجو. أريدك حارةً هناك في الأسفل، حارةً إلى أقصى ما تتحملين."

لم تتحرك بيجو. استخدمتْ ليلى السوط ثانيةً. تاركةً علامةً حمراء هذه المرة.

قالتْ بيجو، "إنه دافئ جداً، ليلى."

"أريدك أن تشتعلي هناك في الأسفل"، قالتْ ليلى. "إلى أن تصبحين

"إفعلي ما تشائين لي"، قالت بيجو. غير قادرة على الإشتعال أكثر، غير قادرة على التحمل أكثر، عندئذ سوف أقبله."

ضربتها بالسوط من جديد، وبيجو لم تبدِ حراكاً. ضربتها بالسوط بصورة أقسى قليلاً.

قالت بيجو: "إنه دافئ جداً هناك، ليلى، قبليه."

مالت ليلى ووهبتها قبلةً طويلةً حيث الأليتان تنخفضان داخل الأعضاء الجنسية. عندئذ ضربت بيجو بالسوط ثانيةً. ومن جديد قلصتْ بيجو أليتيها كما لو أنهما أُصيبتا بالأذى، لكنها شعرت بسعادة حارقة.

"اضربي بقوة"، خاطبتْ ليلى.

أذعنت ليلى. ثم قالت الأخيرة، "هل تريدين أن تفعلي هذا لي؟"

"نعم"، قالت بيجو، ناهضةً، لكنها لم ترفع سروالها. جلستْ على الطحلب معتدل البرودة، أجلست ليلى على ركبتيها، حلت سروالها، وشرعتْ تضربها بالسوط برفق في بداية الأمر، ومن ثم بصورةٍ أقوى، إلى أن تقلصت ليلى وتمددتْ عند كل ضربة. أمستْ أليتاها الآن حمراوين وحارتين إلى درجة الإشتعال.

قالت، "دعينا نخلع ثيابنا ونمتطي جوادينا معاً."

نزعتا ثيابهما وركبتا أحد الجوادين. كان السرج دافئاً. التصقتا بحميمية بإحداهما الأخرى؛ ليلى، في الخلف، وضعتْ ذراعيها حول ثديي بيجو وقبلت كتفها. ركبتا مسافةً قصيرةً في هذا الوضع، كل حركة من حركات الحصان تدعك السرج بأعضائهما التناسلية. كانت ليلى تعض كتف بيجو وكانت بيجو تستدير بين الفينة والفينة كي تعض

حلمة ليلى. عادتا إلى سرير الطحلب خاصتهما ولبستا ثيابهما.

قبل أن تنتهي بيجو من لبس سروالها أوقفتها ليلى كي تقبل بظرها؛ إلا أن ما شعرتْ به بيجو هو مؤخرتها المشتعلة، وناشدت ليلى أن تضع حداً لتهيجها.

داعبتْ ليلى مؤخرتها، من ثم استخدمتْ السوط من جديد، استخدمته بقوة، وتقلصتْ بيجو تحت الضربات. بسطت ليلى الأليتين بيد واحدة كي تسقط الضربات بين الأليتين، هناك في الفتحة الحساسة، وصرختْ بيجو. ضربتها ليلى هناك تلو المرة إلى أن تقلصتْ بيجو.

بعدها انقلبتْ بيجو وضربتْ ليلى بقوة، غاضبةً، لأنها (أي بيجو) كانت مستثارةً جداً ومع ذلك غير مشبعة، مشتعلة وغير قادرة على أن تضع نهايةً للإحساس. كل مرة تضرب فيها كانت تشعر بنبض سريع بين ساقيها هي، كما لو كانتْ تمتلك ليلى، تثقبها. بعد أن ضُربتا كلتاهما بالسوط إلى درجة الإحمرار والضراوة، هوتا على إحداهما الأخرى بأيديهما ولسانيهما إلى أن وصلتا التألق التام للذتهما.

كانوا خططوا أن يذهبوا جميعاً في نزهة: إيلينا، عشيقها بيير، بيجو والباسكي، ليلى، والأفريقي.

بدأوا الرحلة، متجهين إلى بقعة خارج باريس. تناولوا زادهم في مطعم على السين. بعدها، تاركين السيارة في الظل، بدأوا رحلتهم سيراً على الأقدام إلى داخل الغابة. في بادئ الأمر ساروا في مجموعة واحدة، ثم أصبحتْ إيلينا في المؤخرة مع الأفريقي. قررتْ فجأةً أن تتسلق شجرةً. ضحك الأفريقي عليها، معتقداً أنها لا تستطيع فعل ذلك.

غير أن إيلينا كانت تعرف كيف تفعل. برشاقة كبيرة، وضعتْ

قدماً على أول غصن واطئ وتسلقتْ. وقف الأفريقي في أسفل الشجرة وراقبها.

حين نظر إلى الأعلى كان بمستطاعه أن يرى ما تحت التنورة. كانت ترتدي سروالاً داخلياً وردياً كالصدفة، سروالاً قصيراً وضيقاً جداً، بحيث أن معظم ساقيها وفخذيها انكشفا حينما صعدتْ. وقف الأفريقي هناك ضاحكاً ومعذباً إياها بإثارة رغبتها من غير اعتزام لإشباعها، بما أن عضوه بدأ ينتصب.

كانت إيلينا تجلس في موضع عالٍ جداً. لم يكنْ بمستطاع الأفريقي أن يصل إليها، لأنه كان أثقل وأضخم من أن يدوس على الغصن الأول. كل ما كان قادراً على فعله هو أن يجلس هناك ويتفرج عليها ويشعر بأن انتصابه أصبح أقوى.

سأل: "أي هدية ستقدمينها لي اليوم؟"

"هذه"، قالتْ إلينا، ورمتْ عدداً من الكستناءات.

جلستْ على غصنٍ ما مؤرجحةً ساقيها.

بعدها عادت بيجو والباسكي ليفتشا عنها. بيجو التي شعرتْ بقليلٍ من الغيرة حين رأتْ الرجلين ينظران إلى إيلينا، رمتْ نفسها على الحشائش وقالت، "شيء ما دب في ثنايا ثيابي. أنا خائفة."

اقترب منها الرجلان. في البداية أشارت إلى ظهرها، ودس الباسكي يده تحت ثوبها. بعدها قالت إنها تشعر به (أي الشيء) على امتداد الأمام، ودس الأفريقي يده تحت ثوبها وشرع يفتش تحت الثديين.

فجأة شعرتْ بيجو أن شيئاً ما حقيقة كان يزحف على امتداد بطنها، وهذه المرة بدأت تهز نفسها وتدحرج نفسها على الحشائش.

حاول الرجلان أن يقدما لها المساعدة. رفعا تنورتها، وشرعا يفتشان. كانت ترتدي سروالاً داخلياً من الساتان يغطيها تماماً. نزعتْ جانباً من سروالها للباسكي، الذي، في نظر الجميع، أحق في تفتيش مواضعها السرية. هذا الفعل أثار الأفريقي. أدار بيجو بصورة فظة نسبياً وراح يصفع جسدها، قائلاً "هذا سوف يقتله، مهما كان." كان الباسكي يتحسس أيضاً بيجو في كل أنحاء جسدها.

"عليكِ أن تخلعي ثيابك"، قال أخيراً. "ليس ثمة شيء آخر نفعله."

ساعداها كلاهما كي تنضو عنها ثيابها، بينما كانت راقدة على الحشائش. كانت إيلينا تراقب من أعلى الشجرة ما يحدث وتشعر بالدفء والدغدغة، متمنية أنت تكون هي وليستْ بيجو هناك وأن يفعل بها الرجلان ما يفعلانه الآن. حين نزعتْ بيجو ثيابها فتشت بين ساقيها، وعبر شعر عانتها. وعندما اكتشفت أن ليس ثمة شيء هناك، بدأتْ تلبس سروالها الداخلي. إلا أن الأفريقي لم يشأ أن يراها مرتدية كل ثيابها.

التقط حشرةً صغيرةً عديمة الضرر ووضعها على جسم بيجو. دبتْ على امتداد ساقيها، وبدأت بيجو تتدحرج وتحاول أن تهزها متخلصةً منها، من دون أن تساورها الرغبة بلمسها بأصابعها.

"أزلها، أزلها!" هتفتْ، مدحرجةً جسدها الجميل على الحشائش، وقدمت الأوصال كلها التي سافرتْ الحشرة فوقها. إلا أن أياً من الرجلين لم يشأ أن ينقذها. تناول الباسكي غصناً وشرع يصفع الحشرة. تناول الأفريقي غصناً آخر. لم تكنْ الضربات موجعة، بل كانت حصراً تدغدغ وتقرص قليلاً.

عندئذ تذكر الأفريقي إيلينا ورجع إلى الشجرة.

"انزلي"، قال، "سوف أساعدك. يمكنك أن تضعي قدمك على كتفي."

"لن أنزل"، قالت إيلينا.

توسل الأفريقي. بدأتْ تنزل، وحين كادتْ تصل إلى أوطأ غصن قبض الأفريقي على ساقها بإحكام ووضعها على كتفه. زلتْ عندئذ، وسقطتْ بساقيها حول رقبته، عضو أنوثتها إزاء وجهه. تنشق الأفريقي رائحتها بإهتياج وأمسك بها بالقبضة القوية لذراعيه.

عبر الثوب كان بمستطاعه أن يشم ويتحسس عضو أنوثتها، وأبقاها هناك، بينما كان يعض الثياب ويقبض على ساقيها. ناضلتْ من أجل الإفلات منه، راكلةً إياه وضاربةً ظهره.

بعدها ظهر عشيقها، غاضباً، شعره وحشي، لدى رؤيته لها مقبوضاً عليها بهذه الطريقة. حاولتْ عبثاً أن تشرح أن الأفريقي أمسك بها لأنها زلتْ في أثناء نزولها. بقي غاضباً، تراوده رغبة للإنتقام. حين رأى الإثنين على الحشائش حاول أن ينضم إليهما. إلا أن الباسكي ما كان ليسمح لأي فرد أن يمس بيجو. واصل ضربها بالأغصان.

بينما كانوا مستلقين هناك ظهر كلب ضخم عبر الأشجار وأقبل نحوها. بدأ يتشممها، بسعادة جلية. زعقتْ بيجو وكافحتْ لترفع نفسها. إلا أن الكلب الهائل زرع نفسه فوقها وحاول أن يدخل أنفه بين ساقيها.

بعدها الباسكي، بتعبير فظ في عينيه، قام بإشارة ما إلى عشيق إيلينا. فهم بيير الأمر. أمسكا بذراعي بيجو ساقيها وسمحا للكلب أن

يتشمم طريقه إلى الموضع الذي يريد أن يشمه. شرع يلعق السروال الداخلي الساتان ببهجة، في الموضع ذاته الذي يرغب الرجل، أي رجل، أن يلعقه.

حل الباسكي سروالها الداخلي وسمح للكلب أن يواصل لعقها لعقاً حذراً ومتقناً. كان لسانه خشناً، أخشن بكثير من لسان الإنسان، أي إنسان، وطويلاً وقوياً. لعق ولعق بقوة أكبر، والرجال الثلاثة كانوا يراقبون الآن.

إيلينا وليلى شعرتا أيضاً كما لو أنهما كانتا تُلعقان من قبل الكلب.

كانتا متململتين. كانوا كلهم يتفرجون، متسائلين ما إذا كانت بيجو تشعر بأي لذة.

في بداية الأمر كانت مروَّعة وكافحتْ بضراوة. ثم أصبحتْ مرهقةً من جراء الحركة من دون طائل وإيذائها رسغيها وكاحليها، وهي التي أمسك بها الرجلان بقوة كبيرة. كان الكلب جميلاً، برأسٍ ضخم أشعث الشعر، ولسان غير ملوث.

سقطتْ الشمس على شعر عانة بيجو، الذي بدا أشبه بقماش مقصب. كان عضو أنوثتها يتلألأ ندياً، إنما ما من أحد عرف ما إذا كان ذلك من لسان الكلب، أم لذتها. حين بدأتْ مقاومتها تخمد، أصبح الباسكي غيوراً، ركل الكلب وأطلق سراحها.

حل وقت ما سئم فيه الباسكي من بيجو وهجرها. اعتادت بيجو كثيراً على فانتازياته وألعابه الفظة، بخاصة الطريقة التي كان يستطيع فيها دوماً أن يبقيها مقيدة وعاجزة بينما تُفعل بها كل ضروب الأفعال،

ذلك أنها على مدى شهور عدة لم تستطع أن تستمتع بحريتها التي عثرت عليها حديثاً أو أن تقيم علاقةً مع رجل آخر. لم يكن بمستطاعها أن تستمتع حتى مع النساء حاولتْ أن تتوضع إلا أنها لم ترغب بكشف جسدها بعد الآن، أو أن تكون مُراقبة ومُشتهاة من قبل الطلبة. كانت تتجول وحيدةً طوال اليوم، ومن جديد شرعتْ تذرع الشوارع ماشيةً.

الباسكي، من الناحية الأخرى، عاد إلى ملاحقة هاجسه السابق.

كونه وُلد في أسرة ثرية، كان في السابعة عشرة حين اتخذت عائلته مربية أطفال فرنسية لشقيقته الأصغر منه سناً. كانت هذه المرة قصيرة القامة، ممتلئة الجسم، وكانت ترتدي دوماً ثياباً جذابة. كانت تلبس جزمتين صغيرتين من الجلد اللماع وجوربين سوداوين تماماً. كانت قدمها صغيرة ومقوسة ومستدقة الطرف بإفراط.

كان الباسكي غلاماً أنيقاً وكانت مربية الأطفال الفرنسية تنتبه إليه. كانا يذهبان صحبة الأخت الأصغر سناً سيراً على الأقدام. تحت عيني الأخت الأصغر سناً شيء صغير جداً يمكن أن يقع بينهما، عدا النظرات الفاحصة الطويلة. كانت لمربية الأطفال شامة صغيرة عند زاوية فمها. كان الباسكي مفتوناً بها. ذات يوم أطراها على ذلك الخال.

أجابت قائلةً: "لي خال آخر في موضعٍ لا تستطيع أن تتخيله، وحيث لن تستطيع رؤيته."

حاول الصبي أن يتخيل مكان الشامة الأخرى. حاول أن يتصوّر مربية الأطفال الفرنسية عارية. أين هو الخال؟ كان رأى فقط صوراً لنساء عاريات. كان بحوزته بطاقة بريدية تظهر راقصة ذات تنورة قصيرة من الريش. حين كان يتنشقها، كانت التنورة ترفع نفسها وتقف

المرأة مكشوفة. كانت إحدى ساقيها في الهواء، كراقصة باليه، وكان بوسع الباسكي أن يرى كيف خلقت.

حالما عاد إلى البيت ذلك اليوم أخرج هذه البطاقة البريدية واستنشقها. تخيل أنه يرى جسد مربية الأطفال، صدرها الممتلئ، المكتنز. عندئذ رسم بقلم رصاص خالاً صغيراً جداً بين الساقين. عند ذاك كان مستثاراً كلياً وود أن يرى مربية الأطفال عارية مهما كلفه الثمن. إنما في كنف عائلة الباسكي الكبيرة، عليهما أن يكونا حذرين. كان هناك دوماً شخص ما على درجات السلم، شخص ما في كل حجرة من الحجرات.

في اليوم التالي خلال مسيرتهما الراجلة أعطته منديلاً. مضى إلى حجرته، رمى نفسه على السرير وغطى فمه بالمنديل. كان بوسعه أن يشم رائحة جسدها فيه. كانت أمسكت به في يدها في يوم حار وأخذ (أي المنديل) بعض تعرّقها. كانت الرائحة حيوية جداً وأثرتْ فيه تأثيراً كبيراً، ذلك أنه ثاني مرة عرف ماذا يعني الإحساس بإهتياج عظيم بين ساقيه. رأى أنه امتلك انتصاباً، الأمر الذي حدث حتى الآن في أحلامه فقط.

اليوم التالي أعطته شيئاً ما ملفوفاً بالورق. دسه في جيبه وبعد مسيرتهما الراجلة مضى مباشرةً إلى غرفته، حيث فتح الرزمة. كانت تحوي سروالاً داخلياً بلون لحمي، ذا حافة من الدانتيلا. كانت لبسته. حمل، أيضاً، رائحة جسدها. دفن الغلام وجهه فيه وخبر أكثر اللذات همجية. تراءى له أنه يخلع سروالها الداخلي عن جسدها. كان الإحساس حيوياً جداً بحيث نال انتصاباً. بدأ يمس نفسه بأصابعه بينما كان يواصل

تقبيل السروال. عندئذ دعك قضيبه به. ملمس الحرير وهبه النشوة. بدا له أنه كان يلمس لحمها، ربما في الموضع عينه الذي تخيل فيه الخال الذي إمتلكه. قذف فجأةً، كان ذاك أول قذف له، في تشنج من السعادة جعله يتدحرج على الفراش.

في اليوم التالي أعطته رزمةً أخرى. كانت تحتوي حمالة صدر. كرر الطقس. سأل نفسه ماذا ستمنحه في المرة القادمة بحيث تثيره كي يصل إلى ذروة كبيرة جداً.

هذه المرة، كانت الرزمة كبيرة، تنامى فضول شقيقته.

"إنها كتب لاغير"، قالت مربية الأطفال، "لاشيء منها يثير إهتمامك."

أسرع الباسكي إلى حجرته، وجد أنها أعطته مشداً أسودَ صغيراً بحافاتٍ من الدانتيلا، وكان هذا المشد يحمل بصمات جسمها. كان المشد لُبس طوال الوقت الذي سحبته فيه. استثير الباسكي ثانيةً. هذه المرة خلع ثيابه ولبس (الكورسيه) فوق جسده. جرَّ الدانتيلا كما رأى أمه تفعل. شعر بأنه مضغوط وكان المشد يؤذيه، لكنه سُر بالألم. تخيل مربية الأطفال تقبض عليه وتضيق ذراعيها حوله إلى درجة خنقها له. حين أرخى الدانتيلا تصوّر نفسه يحرر جسدها كي يراها عارية. من جديد أصبح محموماً، وسكنته كل ضروب الصور - خصر مربية الأطفال، وركاها، فخذاها.

أخفى ليلاً ثيابها كلها في فراشه ونام فوقها، دافناً عضو ذكورته فيها كما لو كان يدفنه في جسدها. حلم بها. كان طرف قضيبه ندياً بإستمرار. في الصباح كانت هناك هالتان حول عينيه.

أعطته زوجاً من جواربها. ثم أعطته زوجاً من جزمتي الجلد اللماع خاصتها. وضع الجزمتين على سريره. استلقى عارياً الآن وسط ممتلكاتها كلها، مناضلاً من أجل أن يخلق وجودها، متوسلاً إليها. الحذاءان لاحا نابضين بالحيوية. أوحيا له أنها دخلتْ الحجرة وهي الآن تمشي على فراشه. أوقفهما بين ساقيه كي يتطلع إليهما. بدا كما لو أنها سوف تمشي على جسمه بقدميها الوسيمتين المدببتين، تسحقه. أثارته الفكرة. بدأ يرتعش. قرّب الجزمتين من جسده. بعدها تخيل إحداهما قريبةً بدرجة كافية كي تمس طرف قضيبه. أثارته بعنف شديد بحيث قذف على امتداد الجلد الصقيل.

إلا أن هذا أمسى ضرباً من العذاب. بدأ يكتب الرسائل إلى مربية الأطفال، متوسلاً إليها أن تأتي إلى حجرته ليلاً. قرأتْ رسائله بسعادة، بحضوره المباشر، تلألأت عيناها الداكنتان، إلا أنها ما كانت لتجازف بمنزلتها.

وذات يوم استدعيت من قبل عائلتها بسبب مرض والدها. لم يرها الغلام ثانيةً. تُرك بجوع شره إليها، وملابسها سكنته.

ذات يوم صنع رزمةً من ثيابها كلها وذهب إلى مبغى. وجد امرأةً شبيهةً جسدياً بمربية الأطفال. جعلها ترتدي ثياب مربية الأطفال. راقبها وهي تشد (الكورسيه)، الذي رفع ثدييها وأبرز مؤخرتها للعيان؛ راقبها وهي تزرر حمالة الصدر وتلبس السروال الداخلي بعجالة. ثم طلب منها أن ترتدي الجوربين والجزمتين.

كان اهتياجه هائلاً. دعك نفسه بالمرأة. مدد نفسه عند قدميها وتوسل إليها أن تمسه بطرف جزمتها. مستْ صدره في بادئ الأمر، من

ثم بطنه، بعدها طرف قضيبه. هذا الأمر جعله يثب بحماسة، وخيل إليه أن مربية الأطفال بعينها التي كانت تمسه.

قبّل السروال الداخلي وحاول أن يمتلك الفتاة، لكنها حالما فتحتْ ساقيها له، ماتت رغبته، فأين هي الشامة الصغيرة؟

بيير

حين كان شاباً، يمم بيير وجهه شطر أرصفة الميناء في وقتٍ مبكر جداً من صباحات أحد الأيام. كان يتمشى بمحاذاة النهر بعض الوقت حين لفت انتباهه مشهد رجل يحاول أن يسحب جسداً عارياً من النهر إلى ظهر إحدى المراكب الكبيرة. كان الجسد علق بسلسلة المرساة. هرع بيير إلى مساعدة الرجل. استطاع كلاهما أن يسحبا الجثة إلى ظهر المركب.

بعدها استدار الرجل إلى بيير وقال، "أنتَ تنتظر ريثما آتي بالشرطة" ، وذهب راكضاً. كانت الشمس بدأت تواً بالبزوغ، ومستْ الجثة العارية بوهج وردي. رأى بيير أنها لم تكنْ امرأةً فقط، بل امرأة في منتهى الجمال. شعرها الطويل ملتصق بكتفيها وبثدييها الممتلئين، المدورين. تلألأت بشرتها الذهبية الملساء. لم يرَ جسداً يبزه جمالاً، مغسولاً وطاهراً بفعل الماء، والذي كشف تعاريجه الملساء المحببة إلى القلب.

تفرج عليها مفتوناً.كانت الشمس تجففها. لمسها. كانت ما تزال دافئة ولابد أنها ماتت قبل وقت قصير. تحسس فؤادها. لم يكنْ ينبض. بدا صدرها وكأنه يلتصق بيده.

ارتجف هو، ثم مال فوقها وقبّل الصدر. كان مرناً وناعماً تحت

شفتيه، كصدر حي. شعر بحافز جنسي ضارٍ مفاجئ. تابع تقبيل المرأة. باعد بين شفتيها. حين فعل ذلك، خرج ماء قليل من بينهما، والذي بدا أشبه بلعابها ذاته. كان له إحساس أنه إذا قبلها قبلةً طويلةً بصورة كافية فإنها ستعود إلى الحياة. انتقلتْ حرارة شفتيه إلى شفتيها. قبّل فمها، حلمتيها، عنقها، بطنها، ومن ثم هبط فمه إلى شعر العانة المجعد الندي. كان ذلك أشبه بتقبيلها تحت اليم.

ظلتْ ممددة، ساقاها منفرجتان قليلاً، ذراعاها ممدودتان باستقامة بمحاذاة جانبيها. حولّتْ الشمس بشرتها إلى اللون الذهبي، وبدا شعرها الندي أشبه بالعشب البحري.

كم أحب الطريقة التي إضطجع فيها جسدها، عارياً وبلا حماية. كم أحب عينيها المغمضتين والفم المفتوح قليلاً. كان لجسدها طعم الندى، طعم الأزهار الندية، طعم أوراق الشجر الندية، طعم حشائش الصباح الباكر.

كانت بشرتها أشبه بساتان تحت أصابعه. أحب خمولها وصمتها.

أحس بنفسه يتلظى، يتوتر. في الختام ارتمى فوقها وعندما بدأ يثقبها، جرى الماء من بين ساقيها، كما لو كان يمارس الحب مع حورية الماء [٢٦]. حركاته جعلت جسدها يتموج. استمر في إقحام نفسه بداخلها، متوقعاً بين لحظة وأخرى أن يشعر بإستجابتها، إلا أن جسدها تحرك حصراً متناغماً مع جسده.

خشي الآن من أن الرجل والشرطة ربما يصلون. حاول أن يسرع ويشبع رغبته، لكنه لم يقدرْ. لم يستغرق زمناً طويلاً جداً. برودة ورطوبة الرحم، خمولها، متعته طالتْ كثيراً جداً. مع ذلك لم يستطع أن يبلغ الذروة.

تحرك بيأس، كي يخلّص نفسه من عذابه، كي يزرق سائله الدافئ في جسمها البارد. آه، كم أراد أن يصل الذروة في هذه اللحظة، بينما هو يقبل ثدييها ودفع عضو ذكورته بسُعر في جوفها، ومع ذلك لم يستطعْ أن يصل. سوف يعثر عليه الرجل والشرطة هناك، مستلقياً فوق جسد امرأة ميتة.

في النهاية رفع جسمها من الخصر، رفعها صوب قضيبه وشرع يدفعه بضراوة في داخلها. سمع الآن صيحات من كل الأرجاء المحيطة بهما، وفي تلك اللحظة أحس بنفسه ينفجر بداخلها. انسحب، أسقط الجسد، وفرّ هارباً.

سكنته هذه المرأة أياماً عدة. لم يكنْ بوسعه أن يأخذ دشاً من الماء من دون أن يتذكر ملمس البشرة الندية وأن يرى كيف كانت تلتمع في الفجر. لن يرى ثانيةً جسداً جميلاً جداً مثله. ما كان بمستطاعه أن يسمع المطر من دون أن يتذكر كيف خرج الماء من بين ساقيها ومن فمها، وكم كانت ناعمة وملساء.

شعر أنه ينبغي له أن يهرب من المدينة. بعد أيام قلائل، وجد نفسه في قرية لصيد السمك، وتعثر بطابور من استوديوهات رسامين شُيدتْ بصورة رخيصة. استأجر واحداً. كان بوسعه أن يسمع كل شيء عبر الجدران. وسط طابور الأستوديوهات، جنب أستوديو بيير، كانت هناك دورة مياه عمومية. حين استلقى محاولاً النوم، لمح فجأةً شريطاً ضعيفاً من الضوء بين ألواح الجدار، ألصق عينيه على شق ما ورأى، واقفاً أمام دورة الماء، واضعاً إحدى يديه على الجدار، غلاماً في نحو الخامسة عشرة.

كان أنزل سرواله إلى منتصف المسافة وفتح قميصه، محنياً رأسه مجعد الشعر في أثناء عمله. بيده اليمنى، كان يمس بأصابعه قضيبه اليافع مستغرقاً في التفكير. بين الحين والحين كان يعصره بقوة وهز جسده تشنج. في الضوء الضعيف، بشعره المجعد وجسده الفتي الشاحب، بدا أشبه بملاك، عدا حقيقة كونه يمسك بعضو ذكورته بيده اليمنى.

أنزل يده الأخرى من الجدار الذي كانت استراحت عليه وأمسك بخصيتيه بقوة شديدة، بينما استمر يهرس، يعصر ويضغط على قضيبه. لم يصبحْ صلباً جداً. كان يستشعر السعادة إلا أنه لم يستطعْ بلوغ الذروة الجنسية. شعر بخيبة الأمل. جرّب كل حركة من حركات الإصبع واليد. الآن قبض على عضو ذكورته الرخو بكآبة. وَزَنه، مفكراً فيه تفكيراً عميقاً ومن ثم غطاه في داخل سرواله الداخلي، زرر قميصه وغادر المكان.

الآن أمسى بيير يقظاً. ذكرى المرأة الغريقة لازمته ثانيةً، اختلطتْ الآن مع صورة الغلام الصغير الذي كان يلعب مع نفسه. استلقى هناك، متقلباً في فراشه، حين ظهر ضوء، ثانيةً، من دورة المياه. لم يتمالك بيير نفسه عن النظر. جلست هناك امرأة في نحو الخمسين، هائلة البدن، متينة، ذات وجه كئيب وفم نهم وعينين شرهتين.

جلستْ لحظةً واحدةً فقط حين جرب شخص ما أن يفتح الباب. بدلاً من أن تصرفه، فتحت له الباب. وظهر هناك الغلام الذي كان هناك في وقت أبكر. ذُهل حين فُتح الباب له. لم تتحرك العجوز عن المقعد بل جرتْ الغلام ببسمة وأغلقتْ الباب.

"يالك من غلام محبوب"، قالت. "مؤكد، أن لك صديقة صغيرة السن، لا؟ مؤكد أنك نلتَ لذةً صغيرةً مع النساء؟"

"كلا"، قال الغلام بجبن.

تحدثت إليه بعفوية، كما لو أنهما التقيا في الشارع. هيمنت عليه الدهشة وتطلع إليها. كل ما استطاع أن يراه هو فمها مكتنز الشفتين يبتسم وعيناها الملمحتان.

"لم ينلْ أي لذة على الإطلاق، غلامي، لا تستطيع أن تؤكد لي ذلك؟"

"كلا، لم أنلْ"، قال الغلام.

"ألا تعرف كيف؟" سألت المرأة. "ألم يخبرك أصدقاؤك في المدرسة كيف؟"

"نعم"، قال الصبي. "رأيتهم يفعلونها، يفعلونها بأيديهم اليمنى. حاولتُ، إنما لم يحدث شيء."

قهقهتْ المرأة. "لكن ثمة طريقة أخرى. لم تتعلم طريقة أخرى، حقيقية؟ ألم يخبرك أحدهم بأي شيء؟ تعني أنك تعرف فقط كيف تفعلها بيدك؟ ياه، ثمة طريقة أخرى تنفع في أحيان كثيرة."

حدجها الغلام بريبة. غير أن بسمتها كانت عريضة، سخية، مطمئنة.

لابد أن مداعباته لنفسه تركتْ إضطراباً معيناً بداخله، لأنه تقدم خطوةً نحو المرأة.

"ما هي الطريقة التي تعرفينها؟" سأل بفضول.

ضحكتْ.

"أتريد أن تعرف حقيقة، أيه؟ وما الذي سيحدث إذا ما إستمتعت بها ؟ إذا إستمتعتِ بها حقيقةً، هل تعدني بأن تأتي وتزورني ثانيةً؟"

"أعدك"، أجاب الغلام.

"طيب، إذاً، أصعد على حضني، بهذه الطريقة، أجثو عليّ، لاتخف. الآن."

كان منتصف جسمه بنفس المستوى مع فمها الكبير. بخفة حلت سرواله الداخلي وأخرجتْ القضيب الصغير. راقبها الصبي بذهول حين وضعته في داخل فمها.

بعدها، حين بدأ لسانها يتحرك والقضيب الصغير أخذ يكبر،سيطرتْ على الغلام سعادة كبيرة بحيث هوى إلى الأمام على كتفها وسمح لفمها أن يضم قضيبه كله ويمس شعر العانة. شعر بإثارة أكبر بكثير من تلك التي شعر بها حين حاول أن يتلاعب بنفسه. كل ما استطاع بيير أن يشاهده هو الفم الكبير مكتنز الشفتين يعمل على القضيب الرقيق، بين الفينة والفينة تتركه في منتصف المسافة خارج الكهف، ومن ثم تبتلعه كلياً إلى أن لايظهر شيء سوى الشعر المحيط به.

كانت العجوز شرهة إنما صبورة. السعادة أرهقت الغلام، كاد يغمى عليه فوق رأسها، وأقبل الدم إلى وجهها. استمرتْ تلوك وتلعق بقوة، إلى أن بدأ الغلام يرتعش. توجب عليها أن تطوقه بكلتا ذراعيها فلربما هز نفسه خارج فمها. شرع يطلق أصوات نواح كما لو كان طائراً يطلق هديلاً. هجمت عليه بحماسة أكبر، ومن ثم وقعتْ الواقعة. نام الغلام نوعاً ما على كتفها من جراء الإرهاق، وتوجب عليها أن ترخي برفق

كفيها الضخمتين اللتين كانتا تقبضان عليه. ضحك ضحكةً سقيمةً وهرب.

بينما كان مستلقياً هناك تذكر بيير امرأة عرفها من قبل كانت بلغتْ سن الخمسين عندما كان هو في السابعة عشرة لاغير. كانت صديقة أمه. كانت غريبة الأطوار وعنيدة وما تزال ترتدي موضات مضى عليها عشر سنوات، الأمر الذي قصد منه لبس عدد لا محدود من التنورات التحتانية، المشدات الضيقة، السراويل الداخلية الطويلة والمثقلة بالدانتيلا، والثياب الطويلة المفصلة بصورة واطئة جداً فوق ثدييها بحيث كان بوسع بيير أن يرى الوادي الصغير بينهما، خطاً أسود ظليلاً يختفي في ثنايا الدانتيلا والكشاكش.

كانت امرأة وسيمة، ذات شعر غزير مائل إلى الإحمرار وزغب ناعم فوق بشرتها. كانت أذناها صغيرتين جداً ورقيقتين، يداها ممتلئتين. كان فمها جذاباً بصورة خاصة - شديد الإحمرار، هو كذلك بطبيعته، بإمتلاء وعرض كبيرين، وبأسنان صغيرة، متساوية، والتي كانت تظهرها دوماً، كما لو أنها توشك أن تعض شيئاً ما.

جاءت لزيارة أمه في يوم شديد المطر عندما كان الخدم خارج المنزل. هزتْ مظلتها الرقيقة، نزعتْ قبعتها الهامة، حلتْ حجابها. بينما هي واقفة هناك، فستانها الطويل مبلل بكل معنى الكلمة، بدأت تعطس كانت أم بيير في ذلك الحين راقدة في فراشها من جراء الإنفلونزا. صاحتْ من داخل حجرتها، "حبيبتي، اخلعي ثيابك إذا كانت مبللة، وبيير سوف يجففها لكِ أمام النار. ثمة (برافان) في قاعة الإستقبال. يمكنكِ أن تنزعي ملابسك هناك وبيير سوف يعطيك كيمونو عائداً لي."

أسرع بيير هنا و هناك بلهفة جلية. تناول الكيمونو من أمه وفتح (البرافان). في قاعة الإستقبال كانت هناك نار جميلة تشتعل ساطعةً في الموقد.

كانت الحجرة دافئة وتفوح برائحة النرجس، الذي ملأ المزهريات كلها، ورائحة نار الخشب، عبق الصندل الذي عطرتْ به الزائرة نفسها.

من وراء (البرافان) ناولتْ بيير ثوبها. كان مايزال دافئاً ومعطراً برائحة جسمها. حمله بين ذراعيه واستنشقه، مسحوراً، قبل أن يضعه على الكرسي أمام النار. بعدها ناولته تنورةً تحتانية كبيرة، طويلة جداً، طرفها مبلل بإفراط ومكسو بالطين. تنشق هذه بسعادة قبل أن يضعها، أيضا، أمام النار.

في أثناء ذلك كانت تتكلم وتبتسم وتضحك بلا مبالاة، من دون أن تلاحظ اهتياجه. رمتْ إليه تنورةً تحتانية أخرى، أخف من الأولى، دافئة ومعطرة بالمسك. بعدها، بضحكة خجلة، رمتْ إليه سروالها الداخلي الطويل بحافات من الدانتيلا. فجأةً أدرك بيير أنه لم يكن مبللاً، وأن هذا لم يكن ضرورياً، وأنها رمته إليه لأنها أرادتْ ذلك، ووقفتْ الآن عارية تقريباً خلف (البرافان)، مدركةً أنه كان واعياً بجسدها.

حين تطلعتْ إليه من فوق قمة (البرافان)، كان بوسعه رؤية كتفيها المدورتين، المكتنزتين، الناعمتين والوامضتين كوسادتين. قهقهتْ ونادتْ عليه: "أعطني الكيمونو الآن."

"أليستْ جواربك مبللة، أيضاً؟"

"نعم، الواقع هي كذلك. إنني أنزعها." مالتْ إلى الأسفل. كان

بوسعه أن يتخيلها وهي تنتزع رباطي الجوربين وتبسط الجوربين. سأل نفسه كيف تبدو ساقاها، قدماها. لم يعدْ يتمالك نفسه أكثر وأعطى (البرافان) دفعةً.

وقع الشيء أمامها وكشفها في الوضع الذي تصوره. كانت تنحني إلى الأسفل وتنشر جوربيها الأسودين. كان جسمها كله يملك اللون الذهبي والبنية الرقيقة لوجهها. كان جسمها طويل الخصر، ممتلئ الثديين، وافراً، إنما متيناً.

لم تتأثر بسقوط (البرافان). قالت، "أنظر ما الذي فعلته وأنا أخلع جوربيَّ. ناولني الكيمونو. " دنا منها، متطلعاً إليها - أول امرأة عارية رآها، شبيهة جداً بالرسوم التي درسها في المتحف.

كانت تبتسم. من ثم غطت نفسها وكأن شيئاً لم يحدث ومضتْ إلى النار، مادةً يديها صوب الحرارة. فقد بيير رباطة جأشه كلياً. كان جسده يشتعل، مع ذلك لم يكنْ يعرف ما الذي يفعله له.

كانت لامبالية بشأن وضع الكيمونو حول جسدها، عازمة على تدفئة نفسها. جلس بيير عند قدميها وتطلع إلى وجهها الباسم، الصريح. بدتْ عيناها وكأنها تدعوانه. اقترب منها، وهو مايزال جاثياً. بغتةً فتحتْ الكيمونو، أخذتْ رأسه بين يديها، وضعته على عضو أنوثتها كي يتحسسه بفمه. الخصلات اللولبية لشعر عانتها مستْ شفتيه وجننته. في تلك اللحظة بعينها جاء صوت أمه من حجرة النوم البعيدة. "بيير! بيير!"

قوّم جذعه. صديقة أمه أغلقتْ الكيمونو خاصتها. كانا تُركا مرتعشين، محترقين، غير مشبعين. ذهبت الصديقة إلى حجرة أمه،

جلستْ عند قدم سريرها وتحدثتْ معها من دون كلفة. جلس بيير معها، منتظراً بعصبية ريثما تكون المرأة جاهزة لإرتداء ثيابها من جديد. بدت فترة بعد الظهر لا نهائية. بعدها، ختاماً، نهضتْ هي وقالت إنه يتوجب عليها أن ترتدي ثيابها. إلا أن أم بيير استبقتها. أرادتْ أن تحتسي شيئاً ما. أرادتْ أن يتم إسدال الستائر. أبقته منشغلاً إلى أن تنتهي الصديقة من لبس ثيابها. هل خمنتْ ما حدث - ربما - في قاعة الاستقبال؟ تُرك بيير مع ملمس شعرها وجلدها الوردي على شفتيه، لاغير.

حين غادرتْ الصديقة، تحدثتْ إليه أمه في الغرفة نصف المظلمة. "مسكينة ماري آن"، قالت. "أتعرف، حدث شيء مروِّع لها حين كانت شابة. وقع ذلك حين غزا البروسيون الألزاس - اللورين. اغتصبها الجنود. وهي الآن لن تسمح لأي رجل بالاقتراب منها."

صورة ماري آن وهي تُغتصب ألهبتْ خيال بيير. لم يكنْ بوسعه أن يخفي اضطرابه. وثقتْ ماري آن بيفاعته وبراءته. فقدتْ معه خوفها من الرجال. كان أشبه بالطفل بالنسبة لها. لذا سمحتْ لوجهه اليافع، الرقيق أن يندس بين ساقيها.

تلك الليلة حلم بالجنود يمزقون ثيابها، وينشرون ساقيها، واستيقظ من جراء رغبة قوية بها. كيف يستطيع أن يراها الآن؟ هل ستسمح له أن يفعل لها أكثر من تقبيل عضو أنوثتها برفق كما فعل من قبل؟ هل أُغلقتْ هي إلى الأبد؟

كتب لها رسالة. ذُهل حين استلم رداً. طلبت منه أن يأتي لرؤيتها. مرتديةً رداءً محلولاً، رحبتْ به في حجرة ضعيفة الإضاءة. كانت حركته

الأولى هو أن يجثو أمامها. ابتسمتْ بتسامح. "كم أنتَ نبيل"، قالت. ثم أشارت إلى ديوان واسع في الزاوية ومددتْ نفسها عليه. مدد نفسه جنبها. شعر بالجبن ولم يستطع أن يتحرك.

ثم شعر بيدها تدخل نفسها بخفة تحت حزامه، اندستْ داخل سرواله الداخلي، زحفتْ، قريباً من البطن، مثيرة أي جزء صغير من اللحم مسته، منزلقةً، هابطةً.

توقفتْ اليد عند شعر عانته، لعبت به، تحركتْ حول القضيب من دون أن تمسه. بدأ القضيب يتحرك حركةً ضئيلةً. ظن أنها إذا مستْ قضيبه فإنها سوف تقتله من جراء اللذة. فُتح فمه من جراء الترقب.

استمرتْ يدها تتحرك ببطء، ببطء حول وفوق شعر عانته. بحث إصبع عن الجدول الصغير جداً بين الشعر وعضو الذكورة حيث كان الجلد ناعماً، بحث عن كل جزء حساس في جسم الشاب، زحف تحت قضيبه، ضغط على خصيتيه.

في النهاية انغلقتْ يدها حول قضيبه النابض. وكانت صدمة من السعادة العميقة جداً تلك التي اشتاق إليها. مضتْ يده هو، تتملس بإرتباك بصورة عمياء عبر ثيابها. هو، أيضاً، أراد أن يلمس جوهر أحاسيسها. هو، أيضاً، أراد أن يزحف ويدخل مواضعها السرية. بحث في ثنايا ملابسها. وجد فتحةً. لمس شعر عانتها والنهير الكائن بين الساق وجبل فينوس، تحسس اللحم الرقيق، اللدن، وجد رطوبةً ودس إصبعه فيها.

بعدئذ حاول بسُعر أن يدفع قضيبه بداخلها. رأى كل الجنود يعتدون عليها. صعد الدم إلى رأسه. دفته بعيداً ولم تسمح له بأن

يمتلكها. همستْ في أذنه، "باليدين فقط"، ثم رقدتْ مفتوحةً له بينما كانت تواصل مداعبتها له في داخل سرواله الداخلي.

حين انقلب ثانيةً كي يقحم قضيبه الوحشي فيها دفعته بعيداً، بغضب هذه المرة. أثارته يدها، ولم يستطع أن يرقد بلا حراك.

قالت، "سأجعلك تصل الذروة بهذه الطريقة. متع نفسك." استلقى مستريحاً بهدوء مستمتعاً بملاطفاتها. لكنه ما إن أغمض عينيه حتى رأى الجنود ينحنون فوق جسدها العاري، رأى ساقيها يُبعدان عنوةً، الفتحة تسيل من جراء الإعتداءات الجنسية، وما شعر به أشبه بلذة الجنود اللاهثة القوية.

أغلقتْ ماري آن رداءها فجأةً ونهضتْ على قدميها. أمستْ الآن باردة تماماً. صرفته، لوم يُسمح له برؤيتها ثانيةً.

في الأربعين كان بيير مايزال رجلاً وسيماً جداً، الذي كانت نجاحاته مع النساء، والعلاقة الغرامية الطويلة والمنقطعة الآن مع إيلينا، منحتْ القوم المحليين الكثير كي يتحدثوا عنه في الموضع الريفي الصغير الذي استقر فيه. هو الآن متزوج من امرأة رقيقة جداً وفاتنة، إلا أن صحتها ساءت كثيراً بعد عامين فقط من زواجها أمستْ شبه عاجزة. كان بيير أغرم بها بحماسة، وبدتْ عاطفته في أول وهلة وكأنها تعيدها إلى الحياة إنما ببطء، هذه العاطفة أضحتْ خطراً على قلبها الضعيف. في النهاية نصحها الأطباء بالابتعاد عن ممارسة الحب كلياً، والمسكينة سيلفيا دخلتْ في فترة طويلة من العفة. بيير، كذلك، حُرِمَ فجأةً من حياته الجنسية.

بطبيعة الحال مُنعتْ سيلفيا من إنجاب الأطفال، لذا قررتْ هي وبيير أن يتبنيا طفلين من دار الأيتام في القرية. كان ذلك يوماً عظيماً

بالنسبة لـ سيلفيا، ولبستْ هي ثياباً باذخةً بهذه المناسبة. كان يوماً عظيماً بالنسبة لدار الأيتام، أيضاً، لأن الأطفال كلهم كانوا يعرفون أن بيير وزوجته يمتلكان بيتاً جميلاً، (عزبة) كبيرة، وكانا عُدا رحيمين.

سيلفيا هي التي اختارتْ الطفلين ـ جون، وهو غلام رقيق أشقر الشعر، ومارتا، وهي فتاة داكنة البشرة ونابضة بالحيوية. كان الإثنان في نحو السادسة عشرة من العمر. كان الإثنان لاينفصلان في دار الأيتام، وكانت تربطهما علاقة حميمة كأخٍ وأخت.

أُخذا إلى المنزل الكبير، المحبب إلى القلب، حيث منح كل مهما حجرةً تطل على المتنزه الواسع. بيير وسيلفيا منحاهما كل رعايتهما ورقتهما وارشادهما. فضلاً عن ذلك كان جون يراقب مارتا.

في بعض الأحيان بيير يلاحظهما بحسد بسبب شبابهما وكونهما رفيقين. كان جون مولعاً بالمصارعة مع مارتا. على مدى زمن طويل كانت هي الأقوى. إنما ذات يوم بينما كان بيير يراقبهما، كان جون هو الذي سمَّر مارتا إلى الأرض واستطاع أن يجلس على صدرها ويهتف معلناً انتصاره. لاحظ بعدها بيير أن النصر، الذي أعقب التحام حار لجسديهما، لم يغضبها. كانت هناك المرأة بدأتْ تشكل نفسها في ذلك الحين، فكر بيير. كانت تريد أن يكون الرجل أقوى.

لكن إذا كانت المرأة بدأتْ تظهر الآن بجبن في كيان الفتاة اليافعة، فإنها لم تنل معاملة نبيلة من جانب جون. بدا هو عازماً على معاملتها كرفيقة لعب، وحتى كغلام. لم يمدحها قط، لم يلاحظ طريقة لبسها أو غنجها. الواقع، خرج عن طوره كي يكون قاسياً معها عندما هُددتْ بأن تكون رقيقة، وأن يلفت هو النظر إلى عيوبها. عاملها دون

عاطفة. والمسكينة مارتا كانت حائرة وجريحة لكنها رفضت الكشف عنها (أي الكشف عن المرأة فيها). كان بيير الشخص الوحيد الواعي بهذه الأنوثة الجريحة في مارتا.

كان وحيداً في (العزبة) الكبيرة. كان يتولى الإهتمام بالحقل الملاصق لها، بممتلكات أخرى عائدة لـ سيلفيا عبر الريف، غير أنها لم تكنْ كافية.

لم يكن له رفيق. هيمن جون على مارتا بصورة كاملة جداً بحيث أنها لم تكترث له (أي لـ بيير). في الوقت نفسه، بالعين الخبيرة لرجل أكبر سناً، كان يرى جيداً جداً أن مارتا كانت بحاجة إلى نوع آخر من العلاقة.

ذات يوم حين رأى مارتا تنشج وحيدةً في المتنزه، تجرأ بأن سألها برقة، "ماالخطب، مارتا؟ يمكنكِ دوماً أن تأتمني أباً ما لا يمكنك أن تأتمنيه من أسرار: لرفيق اللعب."

رنت ببصرها إليه، ولأول مرة أصبحتْ واعية بوداعته وعاطفته. اعترفتْ أن جون أخبرها أنها قبيحة وبشعة وبهيمية جداً.

"يا له من غلام أحمق"، قال بيير، "هذا شيء غير واقعي على الإطلاق. هو يقول ذلك لأنه يملك الكثير من صفات الفتاة ولايستطيع أن يثمن نوع الصحة والجمال القوي الذي تمتلكينه. هو مخنث، حقيقة، وأنتِ قوية بصورة مدهشة، وجميلة بطريقة ما لايستطيع أن يفهمها."

تطلعتْ إليه مارتا بعرفان بالجميل.

من الآن فصاعداً كان بيير هو الذي يحييها كل صباح بعبارة ساحرة - "ذلك اللون الأزرق يناسب بشرتك بصورة جيدة جداً" أو "تسريحة شعرك هذه تلائمك تماماً."

كان يفاجئها بهدايا من العطور واللفاعات وأشياء أخرى قليلة القيمة. سيلفيا لم تعدْ تغادر حجرة نومها الآن، وفي أحيان نادرة جداً كانت تجلس في كرسي الحديقة، في أيام استثنائية، مشمسة. أصبح جون منهمكاً في الدراسات العلمية وصار يولي اهتمامه أقل بـ مارتا.

كان بيير يملك سيارةً يقضي بها كل المهمات المتعلقة بالإشراف على الحقل. كان يذهب وحده دوماً. الآن بدأ يأخذ مارتا معه.

كانت في السابعة عشرة، ذات شكل جميل بفعل الحياة الصحية، ذات بشرة صافية وشعر أسود لماع. كانت عيناها ناريتين وساطعتين وكانتا تستقران بتوانٍ على جسد جون الرشيق - مرات كثيرة جداً، هكذا فكر بيير حين راقبها. واضح أنها كانت مغرمة بـ جون، إلا أن الأخير لم يلاحظ ذلك. شعر بيير بوخزة الغيرة. نظر إلى صورته في المرآة وقارن نفسه مع جون. كانت المقارنة إلى حدٍ ما في صالحه، فإذا كان جون شاباً وسيماً، ففي الوقت ذاته ثمة برودة في مظهره، في حين أن عينيّ بيير الخضراوين كانتا ما تزالان تُخضعان النساء، وكان جسمه ينضح دفئاً وسحراً كبيرين.

بدأ يغازل مارتا برقة، مع الإطراء والمجاملة، أصبح مؤتمنها في القضايا كلها، إلى أن اعترفتْ بإنجذابها إلى جون، لكنها أضافت قائلةً، "هو لا إنساني بصورة مطلقة."

ذات يوم أهانها جون صراحةً بحضور بيير. كانت ترقص وتركض، وتبدو مليئة بالمرح ونابضة بالحيوية. فجأةً نظر إليها جون بتوبيخ وقال، "يالك من بهيمة. أنتِ لن تسامي طاقتك."

التسامي! إذاً هو ما كان يريده. كان يريد أن يأخذ مارتا إلى عالم

الدراسات. والنظريات والبحوث خاصته كي تتبرأ من اللهب المستقر في كيانها. نظرت إليه مارتا بغضب.

كانت الطبيعة تعمل في صالح إنسانية بيير. الصيف جعل مارتا كسولة، الصيف نزع عنها ثيابها. مرتديةً ثياباً أقل، أصحبتْ تعي جسدها أكثر فأكثر. بدا النسيم وكأنه يلامس جلدها كيد بشرية. ليلاً تتقلب في فراشها بقلق لم تفهم كنهه. كان شعرها غير مجدل، وشعرتْ كما لو أن يداً أرخته حول حنجرتها وكان يمسها.

كان بيير يستعجل فهم ماذا كان يحدث لها. لم يحققْ أي تقدم.حين ساعدها في الترجل من السيارة استقرتْ يده على ذراعها العارية الطازجة. أو عندما كانت حزينة وتتحدث عن لا مبالاة جون، كان يداعب شعرها. إلا أن عينيه استقرتا عليها، وعرف هو كل جزء صغير من جسدها، أياً كان هذا الجزء الذي يستطيع أن يحرزه عبر الثوب. كان يعرف كم هو جميل الزغب فوق جلدها، كم كانت ساقاها خاليتين من الشعر، كم كان ثدياها اليافعان متينين. شعرها، هائج وسميك، كثيراً ما كان يمس وجهه مساً خفيفاً حين كانت تميل فوقه لتدرس تقارير الحقول معه. كان نَفَسها يختلط مع نَفَسه. ذات مرة جعل يده تضل حول خصرها، بصورة أبوية. لم تنفر منه. بصورة ما كانت إيماءاته تلبي بعمق حاجتها للدفء. فكرت أنها كانت تستسلم لتطويقٍ ما، لدفء أبوي، وشيئاً فشيئاً كانت هي من سعى للوقوف قربه عندما كانا معاً، كانت هي التي وضعتْ ذراعه حولها عندما كانا يركبان السيارة، كانت هي التي أراحتْ رأسها على كتفه في أوقات العصر في طريق عودتهما إلى البيت.

كانا يعودان من هذه الرحلات الإشرافية متوهجين دوماً بتفاهم سري، لاحظه جون. جعله هذا أكثر تجهماً. إلا أن مارتا الآن كانت في ثورة صريحة ضده. كلما أصبح هو أكثر تحفظاً وقسوةً معها، كانت هي تريد أكثر أن تؤكد النار المتأججة في داخلها، حبها للحياة والحركة. أقحمتْ نفسها في رفقة مع بيير.

بعد أن ركبا السيارة مدةً تقارب الساعة، كان هناك حقل مهجور استأجراه مرةً. كان تعرض للإهمال، وقرر بيير الآن إصلاحه استعدادا ليوم زواج جون. قبل أن يستدعي العمال، ذهب هو ومارتا معاً كي يلقيا عليه نظرةً فاحصة ويرى ما هي الإحتياجات التي ينبغي إنجازها.

كان بيتاً كبيراً جداً من طبقة واحدة. كتلة من اللبلاب كسته كلياً تقريباً، مغطيةً الشبابيك بستارة طبيعية، معتّمةً الداخل. فتح بيير ومارتا نافذةً. وجدا كثيراً من الغبار، الأثاث بالٍ وحجرات قلائل تحطمتْ في المواضع التي دخل منها المطر. إلا أن حجرةً واحدةً كانت سليمة تقريباً. كانت حجرة النوم الرئيسية. سرير كبير، داكن اللون، ستائر عديدة من الجوخ، مرايا وسجادة بالية، منحته، في شبه العتمة، فخامةً معينة. ألقي على السرير غطاء مخملي ثقيل.

بيير، ناظراً من حوله بعين معماري، جلس على طرف الفراش. وقفتْ مارتا قربه. ولج دفء الصيف إلى الحجرة بهيئة موجات، محركاً دمهما. ثانيةً شعرتْ مارتا بهذه اليد اللامرئية تداعبها. لم يبدُ غريباً عليها أن تندس يد حقيقية فجأةً بين ثيابها، بنفس وداعة ونعومة ريح الصيف، لامسةً جلدها. بدتْ (أي اليد) طبيعية ومُرضية؛ أغمضتْ عينيها.

جرَّ بيير جسدها إليه ومددها على السرير. أبقتْ عينيها مغمضتين. بدا هذا حصراً أشبه بتتمة حلم. مستلقية وحدها طوال ليالٍ صيفية عدة، كانت تتوقع هذه اليد، وفعلتْ كل ما توقعته. كانت تنسل بنعومة عبر ثيابها، تجردها منها كما لو كانت جلداً خفيفاً ينبغي سلخه، مطلقةً سراح الجلد الحقيقي، الدافئ. طافت اليد فوق كافة أرجائها، ذهبتْ إلى أمكنةٍ ما كانت تعرف أنها ستذهب إليها، إلى الأمكنة السرية، التي كانت تنبض.

بعدها فجأةً فتحتْ عينيها. رأتْ وجه بيير فوق وجهها مباشرةً يستعد لتقبيلها. نهضتْ بفظاظة. بينما كانت عيناها مغمضتين تخيلتْ أنه جون الذي كان ينسل هكذا في لحمها. لكنها حين شاهدتْ وجه بيير، شعرتْ بخيبة الأمل. فرتْ منه. عادا إلى البيت صامتين، إنما ليسا غاضبين. كانت مارتا أشبه بشخص مخدَّر. لم تستطع أن تخلص نفسها من الإحساس بيد بيير على جسمها. كان بيير رقيقاً، وبدا أنه فهم ممانعتها. وجدا جون صارماً ومكتئباً.

مارتا لم يغمضْ لها جفن. كل مرة تشعر فيها بالنعاس تبدأ بالإحساس باليد ثانيةً، تنتظر تحركاتها، وهي ترتقي ساقها وتشق طريقها إلى الموضع السري حيث شعرتْ بنبضٍ، بترقب. نهضتْ من فراشها ووقفتْ عند النافذة. جسمها كله كان ينادي مطالباً باليد كي تلمسه من جديد. كان أسوأ من الجوع أو العطش، هذا الاشتياق الجسدي.

اليوم التالي استيقظتْ شاحبة ومصممة. ما إن انتهتْ وجبة الغذاء، حتى إلتفتتْ إلى بيير وقالت، "ينبغي لنا أن نطلع على ذلك

الحقل اليـوم؟" وافق هو. ركبـا السـيـارة إلى هناك. كـانت تلك فـرصـة للراحـة. لطمت الريح وجهـهـا وشـعـرتْ أنـهـا حرة الآن. راقـبتْ يده على عـجلة القيـادة ـ يد جميلة، يافعـة، طرية، ورقيـقـة. فـجـأةً مـالتْ عليـه وضغطت شفتيها عليها. ابتسم بيير لها بعرفان بالجميل وسعادة بحيث جعلتْ قلبها يثب كي يرى اليد.

سارا معاً مشياً على الأقدام عبر الحديقة المتشابكة، على الدرب المغطى بالطحالب، إلى داخل الحجرة الخضراء الداكنة بستائر اللبلاب خاصتها. سارا إلى الفراش مباشرةً، وكانت مارتا هي التي مددتْ نفسها عليه.

"يداك"، غمغمتْ، "أوه، يداك، بيير. أحسستُ بهما طوال الليل." يا للدماثة، يا للرقة التي بدأتْ بها يداه تفتشان جسدها، كما لو كان يبحث عن مكانٍ تجمعتْ فيه أحاسيسها ولم يكنْ يعرف ما إذا كان حول ثدييها، أم تحت ثدييها، على امتداد وركيها أم في الوادي الواقع بين وركيها. انتظر ريثما يستجيب جسدها، مدركاً من خلال أدنى ارتجاف أن يده مستْ الموضع الذي أرادتْ أن يُمس. ثيابها، ملاءاتها، مناماتها، ماء استحمامها، الريح، الحرارة، كل شيء تآمر كي يجعل جلدها حساساً إلى أن أكملت هذه اليد المداعبات التي منحتها (أي الأشياء) لها، مضيفة الدفء والقوة كي تثقب المواضع السرية في كل مكان.

لكن ما إن مال بيير قريباً جداً من وجهها كي يأخذ قبلةً، حتى تدخلتْ صورة جون. سدتْ عينيها، وشعر بيير أن جسدها أيضاً ينسد أمامه. هكذا مع الحكمة، لم يواصل مداعباته أبعد من ذلك.

حين عادا إلى البيت ذلك اليوم، كانت مارتا ممتلئة بنوعٍ من السُكر

جعلها تتصرف بصورة طائشة. كان المنزل مرتباً بصورةٍ ما بحيث أن شقة بيير وسيلفيا السكنية كانت متصلة مع حجرة مارتا، وحجرة الأخيرة بدورها متصلة مع حجرة الحمام التي كان يستخدمها جون. عندما كان الابنان أصغر سناً كانت الأبواب كلها تُترك مفتوحة. الآن زوجة بيير كانت تفضل إغلاق باب حجرة نومها، والباب الفاصل بين مارتا وبيير كان يُغلق أيضاً. في هذا اليوم أخذتْ مارتا حماماً. مستلقيةً بسكون في الماء كان بوسعها سماع حركات جون في حجرته. كان جسدها في حمى شديدة ناجمة عن مداعبات بيير، إلا أنها ما تزال تشتهي جون. كانت تريد أن تقوم بمحاولة أخرى كي توقظ رغبة جون، كي ترغمه على كشف عواطفه، كي تعرف ما إذا كان ثمة أمل في حبه لها أم لا.

ما إن استحمتْ حتى لفتْ نفسها بكيمونو أبيض طويل، وشعرها الأسود السميك الطويل يتهدل رخواً. بدلاً من أن ترجع إلى غرفتها ولجتْ غرفة جون. جفل لدى رؤيته لها. فسرتْ وجودها بالقول: "جون، إني متلهفة لرؤيتك بصورة شديدة. أحتاج إلى نصيحتك. إني مغادرة هذا المنزل حالاً."

"مغادرة؟"

"نعم"، قالت ماريا. "آن أوان مغادرتي. ينبغي لي أن أتعلم أن أكون مستقلة. أنوي الذهاب إلى باريس."

"لكننا بأمس الحاجة إليكِ هنا."

"أمس الحاجة؟"

"أنتِ رفيقة والدي" ، قال بمرارة.

هل من الجائز أنه كان غيوراً؟ انتظرت مارتا مقطوعة النَفَس كي

يقول المزيد. بعدها أضافت قائلةً، "ينبغي لي أن ألتقي الناس وأحاول أن أتزوج. لا أستطيع أن أكون عبئاً إلى الأبد."

"تتزوجين؟"

عندئذ رأى مارتا بوصفها امرأة أول مرة. عدّها دوماً طفلةً.ما رآه كان جسداً مبهماً للحواس، ذا خطوط خارجية واضحة المعالم في الكيمونو، شعراً ندياً، وجهاً محموماً، فماً طرياً. انتظرتْ. كان الأمل في كيانها من العمق بحيث سقطت يداها إلى جنبيها، وانفتح الكيمونو وبان جسدها العاري تماماً.

بعدئذ رأى جون أنها كانت تريده، أنها كانت تقدّم نفسها، لكنه بدلاً من أن يستثار، ارتد. "مارتا! أوه، مارتا!" قال، "يالكِ من بهيمة، أنتِ حقيقة ابنة مومس. نعم، في دار الأيتام كان الجميع يقولونها كونكِ ابنةَ مومس."

صعد دم مارتا إلى وجهها. "وأنت"، قالت، "أنتَ عقيم، ناسك، أنتَ أشبه بامرأة، لستَ رجلاً. أبوك رجل."

وخرجتْ مسرعةً من حجرته.

الآن لم تعدْ صورة جون تعذبها. كانت تريد أن تمحوها من جسمها ودمها. كانت هي التي انتظرتْ تلك الليلة أن ينام الجميع بحيث يمكنها أن تفتح الباب المؤدي إلى حجرة بيير، وكانت هي التي جاءتْ إلى سريره، بصمتٍ قدمتْ جسمها معتدل البرودة الآن والمهجور له.

عرف بيير أنها تحررتْ من جون، وأنها ملكه الآن، من خلال الطريقة التي أقبلتْ فيها إلى فراشه. يا لها من سعادة أن يشعر بالجسم الفتي اللدن ينزلق إزاء جسمه. في ليالي الصيف ينام بيير عارياً.

أسقطت مارتا الكيمونو خاصتها وكانت عارية أيضاً. في الحال وثبتْ رغبته إلى الأعلى وشعرتْ بصلابتها إزاء بطنها.

مشاعرها المشتتة تركزتْ الآن في جزء واحد فقط من جسمها. وجدتْ نفسها تقوم بإيماءات لم تتعلمها، وجدتْ يدها تطوّق قضيبه، وجدتْ نفسها تلصق جسدها بجسده، وجدتْ فمها يستسلم للقبلات المتنوعة التي كان بمستطاع بيير أن يهبها. أسلمتْ نفسها في سُعر، وأُستثير بيير إلى أعظم أعماله الفذة.

كانت ليلة طقساً سرياً. أصبح جسدها لدناً وعارفاً. كان الرباط بينهما قوياً جداً بحيث كان يشق عليهما كثيراً أن يتظاهرا خلاف ذلك خلال النهار. إذا تطلعتْ إليه فكما لو أنه لمس ما بين ساقيها. غالباً في الرواق المعتم كانا يطوقان أحدهما الآخر. كان يضغطها على الجدار. في المدخل كان ثمة دورة مياه كبيرة معتمة مليئة بالمعاطف وأحذية الثلج. لا أحد يدخل هناك في فصل الصيف. اختبأت مارتا هناك ودخل بيير. مستلقيين على المعاطف، في الحيز الصغير، مطوقين أحدهما الآخر، متكتمين، أسلما نفسيهما لرغباتهما.

كان بيير من دون حياة جنسية على مدى أعوام عدة، ومارتا عُدتْ خصيصاً لهذا الغرض وأقبلتْ إلى الحياة في هذه اللحظات حسب. كانت تستقبله دوماً بفمها المفتوح وفرجها الندي. تصاعدتْ الرغبة في داخله قبل أن يراها، لمجرد فكرة كونها تنتظره في هذا المرحاض المظلم. تصرفا كحيوانين يتصارعان معاً، يوشكان أن يفترسا أحدهما الآخر. إذا فاز جسده وسمّرها تحته، عندئذ يمتلكها بقوة ما بحيث بدا كما لو أنه يطعنها بعضو ذكورته، المرة تلو المرة، إلى أن تستلقي لترتاح منهكةً كانا في

تناغم عجيب، اهتياجهما يتنامى معاً. كانت لها طريقة في التسلق فوقه كحيوان خفيف الحركة. كانت تدعك نفسها بقضيبه المنتصب، بشعر عانته، بسُعر ما بحيث كان يلهث. دورة المياه هذه أمستْ عرين حيوان.

كانا يركبان السيارة غالباً متجهين صوب بيت المزرعة المهجور ويقضيان ما بعد الظهيرة هناك. أصبحا مشبعين جداً بممارسة الحب بحيث إذا قبّل بيير أهداب مارتا كانت تشعر بقبلته بين ساقيها. كان جسداهما مشحونين بالرغبة، وما كان بمستطاعهما أن يفرغاها كلياً.

ظهر جون كصورةٍ شاحبة. لم يلاحظا أنه كان يراقبهما. كان التغيير في بيير جلياً. وجهه توهج، عيناه بدتا متقدتين، جسده صار فتياً. والتغيير فيها! الشهوانية انحفرت في أنحاء جسدها كله. كل حركة تقوم بها كانت شهوانية - تقديم القهوة، تناول كتاب، لعب الشطرنج، العزف على البيانو، كانت تفعل كل شيء بملاطفة. أصبح جسدها أكثر امتلاءً وثدياها متوترين أكثر تحت ثيابها.

لم يكنْ جون قادراً على الجلوس بينهما. حتى حين لا ينظران إلى أحدهما الآخر أو يتحدثان إلى أحدهما الآخر، كان يشعر أن ثمة تياراً قوياً بينهما.

ذات يوم حين ركبا السيارة متجهين إلى الحقل المهجور، جون بدلاً من أن يواصل دراساته، شعر بموجةٍ من الكسل وبرغبةٍ في أن يكون في الهواء الطلق. امتطى دراجته وبدأ يقودها من دون هدف، من دون أن يفكر بهما إلا أنه أغلب الظّن بصورةٍ نصف واعية جعل يتذكر الشائعة في دار الأيتام التي مفادها أن مارتا تُركتْ هناك من قبل مومس ذائعة الصيت. طوال حياته، بدا له، بينما كان يحب مارتا، كان يخشاها

أيضاً. كان يشعر أنها بهيمة، أنها تستطيع أن تستمتع بالناس مثلما استمتعت بالطعام؛ إن وجهة نظرها المتعلقة بالناس مناقضة تماماً لوجهة نظره. كانت تقول، "إنه جميل الطلعة"، أو"إنها فاتنة." أما هو فيقول، "هو شخص ممتع" ، أو "هي ذات شخصية."

عبرتْ مارتا عن الحسية حتى حين كانت فتاة صغيرة، في أثناء المصارعة معه، في أثناء مداعبته. كانت تحب أن تلعب (الغميضة)، وإذا لم يكن بوسعه أن يجدها كانت تهجر مخبأها كي يستطيع أن يمسك بها، يقبض على ثوبها. ذات مرة لعبا معاً وشيدا خيمةً صغيرة. ألقيا نفسيهما محتشدين معاً، قريبين جداً من أحدهما الآخر. بعدها رأى وجه مارتا. كانت أغمضتْ عينيها كي تستمتع بدفء جسديهما معاً، وشعر جون بخوف هائل. علام الخوف؟ طوال حياته كان مسكوناً بهذا الارتداد عن الحسية. لم يستطع أن يفسر الأمر لنفسه. لكن هو ذا الآن. فكر جدياً بأن يصبح كاهناً.

الآن، من دون أن يفكر بالمكان الذي يقصده، وصل إلى بيت المزرعة العتيق. لم يكنْ رآه منذ زمن طويل. سار بتؤدة فوق الطحالب والحشائش النامية. تعبيراً عن فضوله دخله وبدأ يستكشف. هكذا أقبل بهدوء إلى حجرة النوم حيث كان بيير ومارتا. كان الباب مفتوحاً. توقف، مشلولاً بفعل المشهد. بدا كما لو أن خوفه الأعظم أصبح حياً. كان بيير مستلقياً، عيناه نصف مغمضتين، ومارتا عارية تماماً، تصرف كعفريت، تتسلق فوقه، في نوبة جوع إلى جسده.

وقف جون مشلولاً من جراء صدمة المشهد ومع ذلك فهم المشهد كله. مارتا، لينة، شهوانية، لم تكنْ تقبّل قضيب بيير فحسب، بل تجثو

فوق فمه، ومن ثم ترمي نفسها على جسده وتدعك ثدييها بثدييه، أما هو فكان مستلقياً نشواناً، منوّماً بفعل مداعباتها.

بعد لحظة خرج جون مسرعاً من دون أن يسمعه أحد. رأى أسوأ الرذائل الشيطانية، مؤكداً خوفه أن مارتا هي التي كانت شهوانية، وآمن أن أباه المتبنى كان يستسلم حصراً لعاطفتها. كلما حاول أن يمحو هذا المشهد من باله، كان يتغلغل أكثر إلى كيانه كله، صارخاً، متعذر المحو، ملازماً إياه كالشبح.

حين عادا نظر جون إلى وجهيهما وذهل كيف كانا يبدوان شخصين مختلفين في الحياة اليومية عن الطريقة التي ظهر بها في أثناء ممارستها الحب. كانت التغيرات فاحشة. وجه مارتا بدا الآن مغلقاً، بينما قبيل ذلك كان يصرخ باستمتاعها، عبر عينيها، شعرها، لسانها. وبيير، بيير الجاد، قبل وقت قصير لم يكنْ أباً بل جسداً فتياً نوعاً ما ممدداً على فراش ما، مستسلماً للرغبة الشديدة لأمرأةٍ أطلقت العنان لشهواتها.

شعر جون أنه لم يعد قادراً على البقاء في المنزل من دون أن يفصح عن اكتشافه للأم العليلة، للجميع. حين أعلن عن نيته في المغادرة للإلتحاق بالجيش، أرسلتْ إليه مارتا نظرةً سريعةً طاعنة تعبيراً عن دهشتها. حتى الآن كانت تعتقد أن جون كان متطهراً حصراً. غير أنها كانت تؤمن أيضاً أنه كان يحبها وأنه عاجلاً أم آجلاً سوف يستسلم لها. كانت تريدهما كليهما، كان بيير عاشقاً من الطراز الذي تحلم به النساء. أما جون، فبوسعها أن تربيه، حتى ضد طبيعته. والآن هو ذاهب إلى الجيش. شيء ما ظلّ غير منته بينهما، كما لو أن الدفء الذي أُحدث خلال ألعابهما معاً انقطع وكان في النية أن يستمر في حياتهما البالغة.

تلك الليلة حاولت الوصول إليه ثانيةً. مضتْ إلى حجرته. استقبلها باشمئزاز شديد بحيث طلبت منه تفسيراً، أجبرته على الاعتراف، وبعدها أفشى من غير تفكير المشهد الذي رآه بأم عينيه. ما كان ليصدق أنها أحبتْ بيير. ظن أنها البهيمة التي بداخلها. وحينما رأتْ رد فعله، شعرتْ أنها لن تكون قادرة على امتلاكه الآن.

أوقفتْ نفسها عند الباب وخاطبته قائلةً، "جون، أنتَ مقتنع أنني بهيمة. طيب، يمكنني أن أبرهن لك بيسر أنني لستُ كذلك. أخبرتك أنني مغرمة بك. سوف أبرهن لك هذا. لن أقطع صلتي بـ بيير فقط، بل سآتي إليك كل ليلة وأمكث معك وسوف ننام كطفلين، معاً، وسوف أثبت لك كيف يمكنني أن أكون عفيفة، كم أنا خالية من الرغبة."

فتح جون عينيه على وسعهما. كان أُغوي إغواء عميقاً. كانت الفكرة المتعلقة بـ مارتا وأبيه يمارسان الحب لا تطاق بالنسبة له. فسرها على أسس أخلاقية لم يستطع أن يميز أنه كان غيوراً. لم يدرك كم أحب كثيراً أن يكون في مكان بيير، بكل خبرة بيير مع النساء. لم يسأل نفسه لماذا أنكر حب مارتا له. لكن لماذا هو بعيد جداً عن أنواع التوق الطبيعي الذي يمتلكه الرجال والنساء على حدٍ سواء؟

وافق على عرض مارتا. بمكر، لم تقطع مارتا صلتها بـ بيير بطريقة ما كما لو أنها تزعجه، بل أخبرته حصراً أنها تعتقد أن جون يشك في علاقتهما وتريد هي أن تهدئ شكوكه كلها قبل التحاقه بالجيش.

بينما كان جون ينتظر زيارة مارتا الليلة التالية، حاول أن يتذكر كل ما استطاع من مشاعره الجنسية. كانت انطباعاته الأولى مرتبطة بـ مارتا ـ هو ومارتا في دار الأيتام، يحميان أحدهما الآخر، لا ينفصلان

أبداً. كان حبه لها يومذاك متقداً وتلقائياً. كان مسروراً بلمسها. وذات يوم حين كانت مارتا في الحادية عشرة، أقبلتْ امرأة لرؤيتها. لمحها جون تنتظر في الردهة. لم يرَ امرأةً على غرارها قط. كانت ترتدي ثياباً ضيقةً جداً رسمتْ الخطوط الخارجية لجسدها الممتلئ، المبهج للحواس. كان شعرها أحمر ـ ذهبياً، متموجاً، شفتاها كانتا مطليتين بطبقة سميكة جداً من أحمر الشفاه بحيث فتنتا الغلام. تطلع إليها. ثم رآها تستقبل مارتا وتطوقها بذراعيها. آنئذ قيل له أن تلك هي أم مارتا، التي هجرتها كطفلة، وفي ما بعد اعترفتْ بها غير أنها لم تكنْ قادرة على الاحتفاظ بها لأنها كانت المومس المفضلة في المدينة.

بعد ذلك إذا توهج وجه مارتا بالإثارة أو أصبح متورداً، إذا لمع شعرها، إذا لبستْ ثوباً ضيقاً جداً، إذا قامتْ بأدنى إيماءة غنج، حينذاك كان جون يشعر باضطراب كبير، بالغضب. بدا له أنه كان بوسعه أن يرى أمها فيها، ذلك أن جسدها كان مثيراً، وكانت هي شهوانية. كان يسألها. كان يريد أن يعرف بماذا كانت تفكر، بماذا كانت تحلم، رغباتها الأكثر سرية. كانت تجيبه بسذاجة. أحب الناس إلى قلبها في العالم كله هو جون. أعظم سعادة هي التي تشعر بها حين يلمسها جون.

"ماذا تشعرين آنئذ؟" سألها جون.

"بالرضا، بسعادة لا أستطيع تفسيرها."

كان جون مقتنعاً أنها لم تستقي منه هذه السعادات نصف البريئة، بل من أي رجل. خيل إليه أن أم مارتا كانت تشعر بالإحساس ذاته مع كل الرجال الذين يمسونها.

لأنه ابتعد عن مارتا وحرمها من العاطفة التي كانت تحتاجها،

فقدها. لكنه لم يستطع أن يفهم هذا. الآن شعر هو بسعادة كبرى في الهيمنة عليها. هو يريها الآن ما هي العفة، ماذا يمكن أن يكون الحب الخالي من الملذات الحسية بين البشر.

أتت مارتا في منتصف الليل، من دون ضوضاء. كانت ترتدي منامة بيضاء طويلة، وفوقها الكيمونو خاصتها. كان شعرها الأسود السميك الطويل يتدلى على كتفيها. لمعتْ عيناها بصورة غير طبيعية. كانت هادئة ووديعة، كما لو كانت أختاً. كانت حيويتها المألوفة مكبوحة ومكبوتة. في هذا المزاج لم تزرع الخوف في فؤاد جون. بدت وكأنها مارتا أخرى.

كان السرير واسعاً جداً وواطئاً. أطفأ جون النور. اندستْ مارتا فيه وأراحتْ جسمها من دون أن تمس جون. كان يرتعش. ذكره هذا بدار الأيتام حيث، كي يكون قادراً على التحدث إليها مدةً أطول، كان يهرب من مهجع الأولاد ويمضي للتحدث إليها عبر النافذة. كانت ترتدي منامةً بيضاء آنذاك وكان شعرها مجدولاً. قال لها ذلك وسألها ما إذا كانت تسمح له أن يضفر لها شعرها ثانيةً. كان يريد أن يراها كفتاة صغيرة ثانيةً. سمحتْ له. في العتمة مستْ يداه شعرها الغزير وضفرته. بعدها تظاهر الإثنان بالنوم.

غير أن الصور كانت تعذب جون وتؤرقه. رأى مارتا عاريةً، ومن ثم رأى أمها بثوب ضيق جداً كشف تعاريج جسمها كلها، ومن جديد رأى مارتا تجثو كالبهيمة فوق وجه بيير. نبض الدم في صدغيه، وأراد أن يمد يده. فعل. أمسكتْ بها مارتا ووضعتها على قلبها، على الثدي الأيسر. عبر الثياب كان بمستطاعه أن يتحسس قلبها ينبض. وهكذا ناما

أخيراً. في الصباح استفاقا من النوم معاً. وجد جون أنه اقترب من مارتا ونام وجسده ملتصق بجسدها، على نمط الملعقة. أفاق راغباً بها، شاعراً بدفئها. قفز من الفراش بغضب وتظاهر أنه ينبغي له ارتداء ثيابه بسرعة.

وهكذا مرتْ أول ليلة. مارتا أبقتْ نفسها وديعةً مكبوتة. الرغبة عذبتْ جون. إلا أن زهوه وخوفه كانا أعظم.

عرف الآن ما الذي كان يخشاه. كان يخشى أن يكون عقيماً. كان يخشى أن يكون والده، المعروف كـ (دون جوان) عقيماً أكثر وعارفاً أكثر. كان يخشى أن يكون أخرق. كان يتوجس خيفةً من أنه ما إن يثير النيران البركانية في كيان مارتا فإنه لن يكون قادراً على إشباعها. إن امرأةً أقل نارية ربما لن تخيفه بهذا القدر. كان يتوق توقاً كبيراً لكبح طبيعته الخاصة وتدفقه الجنسي. أفلح هو بصورة جيدة جداً أغلب الظن. هو الآن يشك بقدرته الجنسية.

لابد أن مارتا بحدس أنثوي خمنتْ هذا كله. كل ليلة كانت تأتي بهدوء أكثر، كانت وديعة أكثر، متواضعة أكثر. كانا ينامان معاً ببراءة. لم تكشف هي حقيقة الحرارة التي أحستْ بها بين ساقيها عندما كان يستلقي لصقها. نامتْ هي فعلاً.

أما هو فكان يبقى يقظاً في بعض الأحيان، من جراء الصور الجنسية الملازمة له المتعلقة بجسدها العاري.

مرةً أو مرتين أفاق في منتصف الليل، وجر جسده قريباً منها ولاطفها حابساً أنفاسه. كان جسمها ليناً ودافئاً في أثناء النوم. تجرأ بأن رفع منامتها من الحاشية، رفعها عالياً فوق ثدييها ومرر يده فوق

جسمها كي يتحسس خطوطه الخارجية. لم تستيقظ. منحه هذا الشجاعة. لم يفعل شيئاً أكثر من ملاطفتها، مستشعراً برقة منحنيات جسمها بحذر، كل خط من خطوطه، إلى أن عرف أين هو المكان الذي أصبح فيه الجلد أكثر نعومةً، أين يكمن اللحم الأكثر امتلاءً، أين كانت الوديان، أين بدأ شعر العانة.

مالم يعرفه جون أن مارتا كانت نصف يقظة وكانت تستمتع بمداعباته، إلا أنها لم تتحركْ خشية أن تخيفه. ذات مرة أصبحتْ دافئة جداً من جراء تنقيبات يديه بحيث وصلتْ الذروة تقريباً. ومرةً واحدة تجرأ بأن وضع رغبته المنتصبة على مؤخرتها، إنما ليس أكثر.

كل ليلة كان يتجاسر أكثر، مندهشاً من كونها لايوقظها من نومها. كانت رغبته ثابتة، وبقيت مارتا في حالة من الحمى الإيروسية بحيث أنها عجبت من قدرتها الخاصة على الخداع. أصبح جون أكثر جرأةً. تعلم أن يدس عضو ذكورته بين ساقيها وأن يدعك برقة شديدة من دون أن يثقبها. كانت السعادة عظيمةً جداً بحيث بدأ يفهم كل عشاق العالم.

بعد أن عذبته ليال عدة من الكبت، نسي جون ذات ليلة احتراساته، وامتلك مارتا نصف النائمة كاللص، ودهش لدى سماعه أصواتاً صغيرة، أصوات اللذة تنبعث من حنجرتها بينما كان يقتحمها المرة تلو المرة.

لم يلتحق جون بالجيش. وظلت مارتا تلبي رغبات عشيقها، بيير خلال النهار، وجون أثناء الليل.

مانويل

أظهر مانويل نمطاً خاصاً من المتعة جعل عائلته تتبرأ منه، وعاش كبوهيمي في (موتبارنيس). عندما لا تستحوذ عليه متطلباته الإيروسية، يكون هو منجماً، طاهياً استثنائياً، مُحدثاً عظيماً ورفيق مقهى ممتازاً. إنما أياً من هذه المهن ما كانت لتحوّل باله عن هاجسه. عاجلاً أم آجلاً توّجب على مانويل أن يفتح سرواله ويظهر عضوه الهائل نوعاً ما.

كلما كان عدد الناس أكبر فذلك أفضل. كلما كانت المجموعة منتقاة فذلك أحسن. إذا حل وسط الرسامين، ينتظر هو إلى أن يغدو الجميع سكرانين قليلاً فرحين، وحينذاك يعرّي نفسه تماماً. وجهه المتنسك، عيناه الحالمتان والشاعريتان وجسمه الهزيل الشبيه بجسم كاهن، هذه الصفات كانت متنافرة جداً مع سلوكه الذي أجفل الجميع. إذا صدوا عنه فلن يشعر بالسعادة. إذا تطلعوا إليه أية مدة زمنية مهما كانت يقع هو في حالة نشوة، يغدو وجهه منتشياً، وفي الحال يتدحرج على الأرض في بُحران من الذروة الجنسية.

كانت النساء ينزعن إلى الهرب منه. كان يتوجب عليه أن يناشدهن كي يبقين وكان يلجأ إلى كل ضروب الحيل. كان يتوضع

كموديل ويتطلع إلى العمل في استوديوهات النساء. إلا أن الحالة التي كان يصل إليها حين يقف هناك تحت عيون الطالبات تجعل الرجال يرمونه في الشارع.

إذا دُعي إلى حفلة، يحاول أولاً أن يختلي بإمرأةٍ في حجرة أو على سطح شرفة. عندئذ يخلع سرواله. إذا كانت المرأة مولعة بذلك يقع هو في حالة انتشاء. أما إذا لم تكن، فإنه يركض وراءها، بإنتصابه، ويعود إلى الحفلة ويقف هناك، أملاً في إثارة حب الاستطلاع. لم يكنْ جميل المنظر، بل متنافراً بدرجة كبيرة. بما أن قضيبه لايبدو منتمياً للوجه والجسم الورعين الصارمين، كان يكتسب بروزاً أكبر ـ استقلالاً، إذا جاز التعبير.

في الختام وجد زوجة وكيل أدبي فقير كانت تموت من الجوع والعمل الشاق، توصل معها إلى الاتفاق الآتي. يأتي صباحاً ويقوم بكل الأعمال المنزلية لها، يغسل الأطباق، يكنس الأستوديو الخاص بها، ينجز المهمات التي تكلفه بها، في حالة إنجاز كل هذه الأمور يكون بوسعه أن يظهر نفسه. في هذه الحالة كان يطلب كل انتباهها. كان يريدها أن تراقبه وهو يرخي حزامه، يفتح أزرار سرواله، يسحبه إلى الأسفل. لم يكنْ يرتدي سروالاً داخلياً. يخرج عضو ذكورته ويهزه كما يهز شخص شيئاً ذات قيمة. كان ينبغي لها أن تقف قربه وتراقب كل إيماءة من إيماءاته. يجب عليها أن تنظر إلى قضيبه مثلما تنظر إلى طعام تشتهيه.

أظهرت المرأة فن إشباعه كلياً. تصبح منهمكة في عضوه، يغدو الأخير شغلها الشاغل، "إنه قضيب جميل هذا الذي تملكه، أكبر عضو

رأيته في مونتبارنيس إنه ناعم جداً وصلب. إنه جميل."

حينما نطقت هذه الكلمات، استمر مانويل في هز قضيبه كقدر ذهب تحت عينيها، واللعاب يستحلب في فمه. هو نفسه أعجب به. بينما كانا منحنيين فوقه كي يبديا إعجابهما به تصبح سعادته قوية جداً بحيث يغمض عينيه ويسيطر عليه ارتعاش كلي من الرأس إلى القدم، وهو ما يزال يحمل قضيبه ويهزه تحت أنظارهم. بعدئذ يتحول الارتعاش إلى تموج فيهوي أرضاً ويدحرج نفسه كالكرة بينما هو يصل الذروة، غالباً يرش منيه على كل وجهه.

في أحيان كثيرة يقف عند النواصي المظلمة من الشوارع. عارياً تحت معطفه، وإذا مرتْ امرأة ما يفتح معطفه ويهز قضيبه لها. غير أن هذا كان أمراً خطيراً وكانت الشرطة تعاقب على هذا التصرف عقوبةً قاسيةً نوعاً ما. وفي أحيان أكثر كان يحب أن يدخل مقصورةً خاليةً من مقصورات قطار ما، يفك زرين، ويجلس مستريحاً كما لو أنه سكران أو نعسان، قضيبه يظهر قليلاً من الفتحة. بوسع الركاب أن يدخلوا في محطات أخرى. إذا كان موفور الحظ فلربما تجلس امرأة قبالته وتتطلع إليه. حينما يبدو سكرانَ، عادةً لا يحاول أحد أن يوقظه. في بعض الأحيان يوقظه أحد الرجال بغضب ويخبره أن يزرر نفسه. النساء لا يبدين إحتجاجهن. إذا جاءتْ امرأة مع طالبات مدرسة صغيرات السن، فعندئذ يكون هو في الجنة. يحصل على انتصاب، وفي النهاية يصبح الموقف لايطاق أبداً، تغادر المرأة وبناتها الصغيرات المقصورة.

ذات يوم وجد مانويل توأمه في هذا الطراز من المتعة. اتخذ مجلسه في إحدى المقصورات، وحيداً، وتظاهر بالنوم حين دخلت امرأة

وجلستْ قبالته. كانت بالأحرى مومساً ناضجة كما استطاع أن يرى من خلال عينيها المطليتين بصبغ كثيف، وجهها المكسو بطبقة سميكة من مسحوق التجميل، الحلقات الواقعة تحت عينيها، الشعر المجعد بإفراط، الحذاءين الباليين، الثوب والقبعة الجذابين.

لاحظها من خلال عينيه نصف المغمضتين. ألقت نظرةً على سرواله المفتوح جزئياً ونظرت من جديد. هي أيضاً استراحتْ في مقعدها وتظاهرت بالنوم، بساقيها المتباعدتين كثيراً. حين انطلق القطار رفعتْ تنورتها كلياً. لم تكنْ ترتدي شيئاً تحتها.

بسطت ساقيها فاتحةً إياهما وكشفت نفسها بينما هي تتطلع إلى قضيب مانويل، الذي كان يتصلب ويظهر عبر السروال الذي في خاتمة المطاف برز كلياً. كانا يجلسان أمام أحدهما الآخر، ينظران. ان مانويل يخشى أن تتحرك المرأة وتحاول القبض على عضوه، الأمر الذي لم يكنْ يريده على الإطلاق. لكن لا، كانت مدمنة على السعادة الخاملة نفسها. كانت تعرف أنه يتطلع إلى فرجها، تحت الشعر الكثيف شديد السواد، وفي النهاية فتحا عيونهما وابتسما لأحدهما الآخر. كان يدخل حالته المنتشية، إلا أنه كان يملك الوقت كي يلاحظ أنها نفسها كانت في حالة سعادة. كان بميسوره أن يرى الرطوبة اللامعة تظهر في مدخل فرجها. تحركت بصورة غير محسوسة تقريباً إلى الأمام والخلف كما لو أنها تهزهز نفسها كي تنام. بدأ جسمه يرتعش بسعادة شهوانية. وبعدها استمنتْ بيدها أمامه، باسمةً طوال الوقت.

تزوج مانويل هذه المرأة، التي لم تحاول أبداً أن تمتلكه بالطريقة التي تفعلها النساء الأخريات.

ليندا

وقفت ليندا أمام مرآتها فاحصةً نفسها بإنتقاد في وضح النهار. تجاوزتْ الآن سن الثلاثين، صارتْ مهتمة بعمرها، مع أن لاشيء فيها نمَّ عن أي نقص في جمالها. كانت رشيقة، يافعة المظهر. يمكنها أن تخدع الجميع خداعاً بارعاً إلا نفسها. بنظرها فقد لحمها بعض متانته، بعض تلك النعومة المرمرية التي نالتْ إعجابها في مرات كثيرة جداً في مرآتها الخاصة.

كانت محبوبة جداً. في أي هيئة أو زي كانت محبوبة أكثر من أي وقت مضى، لأنها الآن جذبتْ كل الشبان الذين كانوا يفهمون أنه من امرأةٍ كهذه سوف يتعلمون حقيقةً أسرار ممارسة الحب، والذين لم يكونوا يشعرون بأي إنجذاب إلى الفتيات الصغيرات في أعمارهم، اللواتي كن خجولات، بريئات، عديمات الخبرة، ومازالت عوائلهن تمتلكهن.

زوج ليندا، رجل وسيم في الأربعين، أحبها بحماسة عاشق على مدى أعوام عدة. أغمض عينيه عن معجبيها الشبان. كان يؤمن أنها لم تأخذهم على محمل الجد، وذلك أن ولعها ناجم عن عدم إمتلاكها الأولاد وعن الحاجة إلى أن تسبغ مشاعر الحماية خاصتها على الناس الذين كانوا يبدأون العيش. هو نفسه عُرِف عنه كونه غاوي نساء من كل الطبقات والشخصيات.

تذكرتْ أنها في ليلة عرسها كان أندريه عاشقاً مدنفاً يهيم بها وجداً، يعبد كل جزء من أجزاء جسمها بصورةٍ منفصلة، كما لو كانت عملاً فنياً، لامساً إياها، معجباً بها، مبدياً تعليقاته حول أذنيها، قدميها، عنقها، شعرها، أنفها، خديها، وفخذيها، بينما هو يلاطفها جميعاً. كلماته وصوته، لمسته، فتحت لحمها كالزهرة كي تستقبل الحرارة والضوء.

درّبها كي تكون أداة كاملة جنسياً، كي تهتز لأي شكل من المداعبات. ذات مرة علمها أن تنيم بقية جسمها، إذا صح التعبير، وتركز كل مشاعرها الإيروسية في فمها. كانت آنئذ أشبه بامرأة نصف مخدرة، مستلقية هناك، جسدها ساكن وواهن، وأصبح فمها، شفتاها، عضواً جنسياً آخر.

كان لـ أندريه ولع خاص بالفم. في الشارع كان ينظر إلى أفواه النساء. بالنسبة له كان الفم دالاً على الجنس. يضيق شفة ما، قلة سمكها، لايدل على شيء ممتلئ أو شهواني. الفم المكتنز يعد بعضو أنوثة مفتوح، سخي. كان الفم الرطب يعذبه.

الفم المفتوح، الفم المنفرج كما لو أنه يستعد لقبلةٍ، كان يلاحقه بعناد في الشارع إلى أن يستطيع امتلاك المرأة ويثبت ثانيةً قناعته المتعلقة بالقدرات الإلهامية للفم.

أغراه فم ليندا من أول وهلة. كان له تعبير منحرف، نصف حزين. كان ثمة شيء ما في الطريقة التي تحركه فيها، تنشر شفتيها بصورة شهوانية، واعدةً الشخص الذي يندفع بسرعة حول المحبوبة كالعاصفة. حين رأى ليندا أول مرة، كانت امتلكته من خلال هذا الفم، كما لو أنه

ضاجعها. وهكذا كان الأمر ليلة زفافهما. استحوذ عليه فمها. على فمها رمى نفسه، مقبلاً إياه إلى أن اشتعل، إلى أن أُستهلك اللسان، إلى أن تورمتْ الشفتان؛ وبعدها حين أثار فمها كلياً، امتلكها هكذا، جاثياً فوقها، وركاه القويان ضغطا على ثدييها.

لم يعاملها كزوجة أبداً. كان يتودد إليها المرة تلو المرة، بالهدايا، الأزاهير، بالسعادات الجديدة. أخذها لتناول الغداء في (الكابينات الخصوصية) بباريس، أخذها إلى المطاعم الضخمة، حيث كان جميع الندل يعتقدون أنها عشيقته.

اختار أكثر الأطعمة والخمور إثارةً لها. جعلها تسكر من جراء غزله. مارس الحب مع فمها. جعلها تقول إنها تريده. عندئذ كان يسألها: "وكيف تريدينني؟ أي جزء منكِ يريدني هذه الليلة؟"

كانت تجيبه غالباً، "فمي يريدك، أُريد أن أشعر بكَ في فمي، في أعمق أعماق فمي." في أوقات أخرى كانت ترد قائلةً، "أنا رطبة في ما بين ساقيَّ."

هكذا كانا يتحاوران عبر مناضد المطاعم، في حجيرات الطعام الخصوصية المعدة خصيصاً للعاشقين. كم كان النُدل متحفظين، عارفين متى يتوجب عليهم أن لا يعودوا. الموسيقى تنبعث من مصدر غير مرئي. كان هناك ديوان. حين يتم تقديم وجبة الطعام، وبعد أن يضغط أندريه ركبتي ليندا بين ركبتيه وبعد القبلات المختلسة، يأخذها إلى الديوان ويطرحها عليه، وهي ما تزال ترتدي ثيابها، كعاشقين ليس لديهما الوقت الكافي لنزع ثيابهما.

يأخذها إلى الأوبرا و إلى المسارح المشهورة بمقصوراتها المظلمة

ويضاجعها بينما هما يتفرجان على مشهد ما. يضاجعها في سيارات الأجرة. في مركبٍ كبير راسٍ أمام (نوتردام) يؤجر (الكابينات) للعاشقين. في الأمكنة كلها عدا البيت، فراش الزوجية، يأخذها بالسيارة إلى قرى نائية قليلاً ويمكث في نزل رومانسي معها.

يستأجر غرفةً لهما في دور البغاء المترفة التي عرفها من قبل. ثم يعاملها كمومس.

يجعلها تخضع لنزواته، يطلب منها أن تضربه بالسوط. يطلب منها أن تزحف على يديها وركبيتها وأن لا تقبّله بل تمرر لسانها على كافة أنحاء جسمه كالحيوان.

هذه الممارسات أثارت شهواتها الحسية إلى درجةٍ ما بحيث كانت تخاف. كانتْ تخشى أن يأتي يوم ما لن يعود فيه أندريه كافياً لها. كانت تعرف أن حسيتها شديدة، أما حسيته فكانت آخر انفجار لرجل أضنى نفسه على حياةٍ من الإسراف والآن يمنحها زهرة هذا الإسراف.

حل يوم ما توجب فيه على أندريه أن يغادر في رحلةٍ أمدها عشرة أيام. كانت ليندا قلقة ومحمومة. هاتفها صديق، صديق أندريه، رسام مشهور آنذاك في باريس، وهو المفضل لدى النساء جميعاً. قال لها: "هل أنتِ ضجرة مع نفسك، ليندا؟ هل ترغبين في الإنضمام إلينا في حفلة خاصة جداً؟ هل تملكين قناعاً؟"

عرفتْ ليندا ما عنى بالضبط. هي وأندريه كانا يضحكان عادةً على حفلات جاك في الـ (بوا). كان ذلك الطراز الأثير لديه من المتعة: في ليلة من ليالي الصيف، يجمع أفراد العِشرة الذين يرتدون الأقنعة، يركبون السيارة متجهين إلى الـ (بوا) مع قناني الشمبانيا، يجدون

منطقة خالية من الشجر في الجزء المشجر من الغابة ويلهون أنفسهم هناك.

أغويتْ. لم تشترك هي في أي من هذه الحفلات. ذلك أن أندريه لم يشأ الإشتراك فيها. قال مازحاً إن مسألة الأقنعة ربما تشوشه وإنه لايريد أن يضاجع المرأة الخاطئة.

قبلت ليندا الدعوة. لبستْ إحدى فساتين المساء الجديدة خاصتها، فستان ساتان ثقيلاً شف عن مفاتن جسمها كقفاز مبلل. لم ترتدي ثياباً داخلية، ولم تلبس أي قطعة من الحلي تميزها عن غيرها من النساء. غيرتْ تسريحة شعرها، من قصة يُرسل فيها الشعر حتى الكتفين حيث يلتف نحو الداخل إلى تسريحة بومتبادور [٣٧]، التي كشفت شكل وجهها وعنقها. بعدها ربطتْ القناع الأسود على وجهها، شبكت الشريط المطاطي بدبوس في شعرها من أجل ضمانة أكثر.

في اللحظة الأخيرة قررتْ أن تبدل لون شعرها وأن تغسله وتصبغه باللون الأزرق المسوّد بدلاً من الأشقر الباهت. ثم رفعته إلى الأعلى من جديد ووجدتْ نفسها تغيرت كثيراً جداً بحيث أجفلها شعرها.

نحو ثمانين فرداً طلب منهم اللقاء عند الأستوديو الضخم للرسام حديث الطراز. كان مُضاءً إضاءةً قليلةً كي يحافظ على هويات الضيوف بصورة أفضل. عندما التم شمل الجميع هناك، انطلقوا بخفة ورشاقة إلى السيارات التي كانت في الانتظار. كان السائقون يعرفون إلى أين هم متجهون. في الجزء الأعمق من الغابات كانت هناك أرض مقطوعة الشجر جميلة ومكسوة بالطحالب. جلسوا هناك، صرفوا السائقين، وبدأوا يحتسون الشمبانيا. ملاطفات عديدة كانت بدأتْ في السيارات

المزدحمة. الأقنعة منحتْ الناس حريةً حولّتْ أكثر الأفراد تهذيباً إلى حيوانات جائعة. تسللتْ الأيدي تحت فساتين المساء الباذخة كي تمس ما أرادتْ أن تمسه، تشابكت الركب، تسارعتْ الأنفاس.

لاحق ليندا رجلان. أولهما بذلك كل ما استطاع كي يثيرها من خلال تقبيل فمها وثدييها، بينما الآخر، بنجاح أكبر، لاطف ساقيها تحت فستانها الطويل، إلى أن أظهرت من خلال رعدة أنها أُستثيرت. بعدها أراد أن ينقلها بالقوة إلى العتمة.

احتج الرجل الأول غير أنه كان مخموراً جداً بحيث لم يستطع المنافسة. نُقلتْ بعيداً عن المجموعة إلى الموقع الذي كانت تلقي فيه الأشجار ظلالاً داكنة وأنزلها على الطحالب. من مكانٍ قريب تناهت صرخات ممانعة، كانت هناك أصوات شبيهة بقباع الخنزير، كانت هناك امرأة تزعق قائلةً: "افعلها، افعلها، لا أستطيع الانتظار أكثر، افعلها، افعلها لي!"

كان اللهو المعربد في أوجه. النساء داعبن احداهن الأخرى. بدأ رجلان يعذبان امرأةً بإثارة رغباتها من دون اعتزام لإشباعها، يعذبانها في سُعر وعندئذ توقفا حصراً كي يتمتعا بالنظر إلى مفاتنها، وفستانها نصف مفكوك، شريط الكتف سقط، أحد الثديين مكشوف، بينما كانت تحاول أن تشبع نفسها بأن تضغط نفسها بفحش على الرجلين، تدعك نفسها بهما، متوسلةً، رافعةً فستانها.

ذُهلتْ ليندا من بهيمية الرجل الذي كان يعتدي عليها. هي التي عرفت فقط المداعبات الشهوانية لزوجها، ألفتْ نفسها الآن في قبضة شيء فعال أكثر بصورةٍ لا حد لها، في قبضة رغبة عنيفة جداً كما لو أنها ستفترسها.

أمسكتْ يداه بها كالمخالب، رفع عضو أنوثتها كي يلاقي قضيبه كما لو أنه لن يبالي إذا ما كسر عظامها في فعلته هذه. استخدم قرن خروف، حقيقةً أشبه بقرن يدخل فيها، اخترقها بقرن لايؤذي لكنه جعلها ترغب بالثأر بالضراوة نفسها. بعد أن أشبع نفسه بالوحشية والعنف اللذين أذهلاها، همس قائلاً: "الآن أريدك أن تشبعي نفسكِ، بصورة كاملة، هل تسمعينني؟ مثلما لم تفعلي من قبل." أمسك بقضيبه المنتصب كرمز خشب بدائي، أخرجه لها كي تستخدمه كما تشاء.

حثها على أن تطلق العنان لشهيتها العنيفة جداً له. نادراً ما كان واعية وهي تعض لحمه. نطق لاهثاً في أذنيها، "استمري، استمري، أعرفكن أنتن النساء، أنتن حقيقة لا تجعلن أنفسكن تمتلكن الرجل كما ترغبن."

من أعماقٍ مجهولةٍ من جسدها، جاءت حمى وحشية لم تصرف نفسها، لم تستطع أن تنال كفايةً من فمه، لسانه، قضيبه الذي في داخلها، حمى لم تكنْ مكتفية بالذروة. شعرتْ بأسنانه مدفونةً في كتفها، مثلما كانت أسنانها تعض عنقه، وبعدها استلقتْ للوراء كي تنعم بالراحة وفقدتْ الوعي.

حين استفاقت، كانت راقدة على سرير حديد في حجرة رثة. كان ثمة رجل نائم بجنبها. كانت عارية، وهو كذلك، لكنه نصف مغطى بملاءة السرير. ميزتْ الجسم الذي سحقها الليلة الماضية في الـ (بوا). كان جسماً رياضياً، جسماً ضخماً أسمر، عضلي. كان الرأس وسيماً، قوياً، بشعر هائج. حين نظرتْ إليه بإعجاب، فتح هو عينيه وابتسم.

"لم أستطعْ أن أجعلك ترجعين مع الآخرين، فلربما لن أراكِ ثانيةً."

"كيف أتيتَ بي إلى هنا؟"

"سرقتك."

"أين نحن الآن؟"

"في فندق بائس جداً، حيث أسكن."

"إذاً أنتَ لستَ...."

"لستُ صديق الآخرين، إذا كان هذا ما تعنين. أنا ببساطة عامل. ذات ليلة كنتُ عائداً على دراجتي من العمل. رأيت إحدى حفلاتكم. خلعتُ ثيابي وانضممتُ إليها. بدا أن النساء تمتعن معي. لم يُكتشف أمري. حين ضاجعتهن، هربتُ. ليلة أمس كنتُ ماراً من هناك ثانيةً وسمعتُ الأصوات. وجدتُ أن ذلك الرجل كان يقبلك، وحملتك بعيداً. الآن أتيتُ بكِ إلى هنا. ربما يسبب لكِ هذا بعض المتاعب، لكنني لا أستيطع أن أتخلى عنك. أنتِ امرأة حقيقية، الأخريات ضعيفات إذا ما قورن بك. أنت تملكين ناراً."

"ينبغي لي أن أغادر"، قالت ليندا.

"لكنني أريد أن تعديني أنك سوف ترجعين إليّ."

جلس في فراشه ونظر إليها. جماله الجسدي وهبه جلالاً. واهتزتْ لدى اقترابه. بدأ يقبلها وشعرتْ بالكسل من جديد. وضعتْ يدها على قضيبه الصلب. أفراح الليلة الماضية مازالت تسري عبر أوصال جسمها. سمحتْ له أن يمتلكها من جديد كما لو أنها أرادتْ أن تتأكد من أنها لم تكنْ تحلم. لا، هذا الرجل الذي يستطيع أن يجعل قضيبه يشعل الحرائق عبر أنحاء جسدها ويقبلها كما لو أن قبلته هي القبلة الأخيرة، هذا الرجل كان حقيقياً.

وهكذا عادتْ إليه ليندا. كان الموضع الذي شعرتْ فيه بأنها حيوية جداً. لكنها بعد سنة فقدته. وقع في غرام امرأة أخرى وتزوجها. اعتادتْ عليه ليندا كثيراً بحيث أن أي رجل غيره الآن بدا لها رقيقاً جداً، مهذباً جداً، باهتاً جداً، ضعيفاً. وسط الرجال الذين عرفتهم، ما من أحد سواه امتلك تلك القوة والحماسة الوحشيتين. بحثت عن عشيقها المفقود مراراً، في الحانات الصغيرة، في المواقع الضائعة من باريس. التقتْ الملاكمين المحترفين، نجوم السيرك، الرياضيين. مع كل واحد منهم حاولتْ أن تعثر على العناقات نفسها. لكنهم أخفقوا في إثارتها.

حين أضاعتْ ليندا العامل لأنه أراد أن يمتلك امرأةً خاصةً به، امرأةً تأتي إلى بيته، امرأةً تتولى العناية به، وثقتْ بحلاقها. الحلاق الباريسي يلعب دوراً جوهرياً في حياة المرأة الفرنسية. لم يكن يحلق شعرها حسب، هي التي كان صعبة الإرضاء بصورة خاصة في ما يتعلق به، بل كان وسيطاً من الطبقات الراقية. كان أفضل ناقدٍ لها وكاهن الاعتراف في قضاياها الغرامية.

الساعتان اللتان تمضياهما في غسل الشعر، تجعيده وتجفيفه هما وقت وافر لإفشاء الأسرار. عزلة (الكابينة) الصغيرة تحمي الأسرار.

حين وصلتْ ليندا أول مرة إلى باريس قادمةً من المدينة الصغيرة الواقعة في جنوب فرنسا حيث ولدت والتقت هي وزوجها، لم تكن آنذاك تجاوزتْ العشرين من عمرها. كانت سيئة الهندام، خجولة، بريئة. كان لها شعر غزير لم تكنْ تعرف كيف ترتبه. لم تكنْ تستخدم مساحيق التجميل. وهي تتنزه في (غو سان أونوريه) مبديةً إعجابها بواجهات المخازن، أمستْ واعيةً تماماً بعيوبها. أمستْ تعي ماذا كانت تعني

الأناقة الباريسية الشهيرة، تلك الحساسية المفرطة المتعلقة بالتفصيل التي تجعل من أي امرأة عملاً فنياً. كان هدفها (أي الحساسية) هو إبراز ميزاتها الجسدية. صُنعت بصورة ملائمة بفعل مهارة الخياطين. ما لم يقدر أي بلد آخر على تقليده هو الصفة الإيروسية للثياب الفرنسية، فن جعل الجسد يعبر عن مفاتنه كلها من خلال الثياب.

في فرنسا يعرفون القيمة الإيروسية للساتان الأسود السميك، واهباً الصفة الوامضة لجسدٍ عارٍ ندي. إنهم يعرفون كيف يرسمون الخطوط المحيطية للصدر، كيف يجعلون طيات الثوب تتبع حركات الجسم. إنهم يعرفون سر الخمارات (بكسر الخاء)، سر الدانتيلا فوق الجلد، سر الثياب الداخلية المثيرة، سر ثوب مشقوق بجرأة.

الخطوط الخارجية لفردة حذاء، كون القفاز أملس، هذان يمنحان المرأة الباريسية أناقةً، جرأةً، تبز كثيراً إغواء النساء الأخريات. قرون من الغنج أنتجت نوعاً من الكمال لا يتضح فقط في النساء الثريات بل في فتيات المخازن الصغيرة. وحلاق الشعر هو كاهن هذه العبادة من أجل الكمال. هو يدرب النساء اللواتي يأتين من المقاطعات. يهذب النساء المبتذلات؛ يجعل النساء الباهتات مبتهجات؛ يعطيهن جميعاً شخصيات جديدة.

كانت ليندا محظوظة بدرجة كافية كي تقع في يدي ميشيل، الذي كان (صالونه) قرب الشانزليزيه. كان ميشيل رجلاً في الأربعين، رشيقاً، أنيقاً، وأنثوياً نسبياً. كان يتحدث بدماثة، له سلوك (صالوني) جميل، قبّل يدها كأرستقراطي، احتفظ بشاربه مدبباً ومصقولاً. كلامه لامع الذكاء وحيوي.

كان فيلسوف ومبدع النساء. حين دخلتْ ليندا، رفع رأسه إلى الأعلى كرسامٍ يهم بالبدء في عمل فني.

بعد شهور قلائل انبثقت ليندا كنتاج صقيل. أصبح ميشيل، فضلاً عن ذلك، كاهن الاعتراف خاصتها ومديرها. لم يكنْ في أحوال كثيرة حلاقاً للنساء الثريات. لايبالي بالقول إنه بدأ مسيرته في حي فقير جداً كان والده حلاقاً فيه. هناك كان شعر المرأة يتلف بسبب الجوع، من جراء أنواع الصابون الرخيصة، الإهمال، الاستخدام الفظ لليدين.

"جاف كشعر مستعار"، قال. "عطر زهيد جداً. كان ثمة فتاة صغيرة ـ لم أنسها أبداً. كانت تعمل لحساب خياط للسيدات. كان لها شغف بالعطور إلا أنها لم تستطع الحصول على أية منها البتة. اعتدتُ أن أحفظ بقايا قناني ماء التبرج لها. كلما منحتُ امرأةً شطفاً بالعطر، أتأكد من أن ثمة شيئاً متروكاً في القنينة. وحين أتت جيزيل وددتُ أن أسكبه بين ثدييها. كانت في منتهى الابتهاج بحيث أنها لم تلاحظ كيف استمتعتُ بذلك. آخذ ياقة ثوبها بين إبهامي وسبابتي، أصحبها إلى الخارج قليلاً، وأسقط العطر في الأسفل، مختلساً نظرةً إلى نهديها الغضين. كانت لها طريقة شهوانية في التحرك بعدها، في إغماض عينيها وتنشق العطر وإيجاد متعة بالغة فيه. كانت تصرخ غالباً، [أو، ميشيل، بللتني كثيراً هذه المرة.] وتدعك ثوبها على نهديها كي تجفف نفسها.

"ذات مرة لم أستطع مقاومتها أكثر. أسقطتُ العطر على عنقها، وحين ردتْ رأسها إلى الوراء وأغمضتْ عينيها، تسللتْ يدي مباشرةً إلى نهديها. حسن، جيزيل لم تعدْ ثانيةً.

"غير أن هذه كانت فقط بداية مسيرتي كمعطر نساء. بدأتُ آخذ المهمة بجد. حفظتُ العطر في مرذاذ واستمتعتُ برشه على أثداء زبوناتي. لم يرفضن ذلك أبداً. تعلمتُ أن أمنحهن تنظيفاً قليلاً بالفرشاة بعد أن يصبحن جاهزات. تلك مهمة ممتعة جداً، أعني نفض الغبار عن معطف امرأة جميلة الشكل.

"وبعض شعر النساء يضعني في حالة لا أستطيع أن أصفها لك. ربما يزعجك الوصف. إنما ثمة نساء يعبق شعرهن بروائح حميمة جداً، كالمسك، بحيث تجعل الرجل، أي رجل - حسناً، لا أستطيع أن أبقي نفسي في أحيان كثيرة تحت السيطرة. أنتِ تعرفين كيف تكون النساء عاجزات حين يستلقين مستريحات كي يُغسل شعرهن، أو عندما يكن تحت المجفف، أو حين ينلن تسريحة ثابتة."

يتفحص ميشيل زبونته ويخاطبها قائلاً: "يمكنكِ أن تكسبي بسهولة خمسة عشر ألف فرنكفي الشهر"، وهو ثمن شقة سكنية في الشانزليزيه، سيارة، ملابس جميلة، وصديق يكون سخياً. أو ربما تصبح هي امرأةً من الطراز الأول، خليلة عضو مجلس الشيوخ أو كاتب أو ممثل من ممثلي يومنا هذا.

حين يساعد المرأة، أي امرأة، في بلوغ المركز الإجتماعي الذي يناسبها، يحفظ سرها. لم يكن يتكلم عن حياة أي يناسبها، يحفظ سرها. لم يكن يتكلم عن حياة أي امرئٍ إلا في مصطلحات متنكرة. كان يعرف امرأةً متزوجة منذ عشرة أعوام من رئيس شركة أمريكية ضخمة. كانت ما تزال تملك بطاقة المومس خاصتها وكانت معروفة من قبل الشرطة والمستشفيات حيث تذهب المومسات إلى هناك بغية إجراء

لفحوصات الطبية أسبوعياً. حتى اليوم، لم تستطع أن تصبح معتادة بكل معنى الكلمة على مركزها الاجتماعي الجديد وفي بعض الأحيان كان تنسى أنها تملك النقود في جيبها كي تعطي (البقشيش) للرجال الذين كانوا يسهرون عليها خلال رحلتها عبر المحيط. بدلاً من (البقشيش) أخرجتْ بطاقةً صغيرةً دُون منها عنوانها.

كان ميشيل هو الذي نصح ليندا أن لا تكون غيورة، ذلك أنها يجب أن تتذكر أن عدد النساء في العالم أكثر من الرجال، بخاصة في فرنسا، وأن النساء يجب عليهن أن يكن سخيات مع زوجها - فكري فقط كم عدد النساء اللواتي تُركن من دون معرفة الحب. قال هذا بجد. فكر بالغيرة كنوع من البخل. النساء السخيات حقاً هن فقط المومسات، الممثلات، اللواتي لا يكبحن أجسادهن. في رأيه، أكثر النساء خسةً هي الباحثة عن الذهب (٣٨) الأمريكية التي تعرف كيف تنتزع المال من الرجال من دون أن تمنح نفسها، هذا الأمر يعتبره ميشيل علامةً على الشخصية السيئة.

كان يعتقد أن كل امرأة يجب أن تكون في مرةٍ من المرات مومساً. كان يعتقد أن النساء جميعاً، في قرارات نفوسهن، يرغبن بأن يكن بغايا مرةً واحدةً في حياتهن وهذا شيء نافع لهن. هذه هي أفضل وسيلة كي تستبقي منها المرأة احساساً بكونها أنثى.

حين فقدتْ ليندا عاملها، لذا، كان من الطبيعي بالنسبة لها أن تستشير ميشيل. نصحها أن تحترف العهر. بتلك الطريقة، قال، ستكون لها القناعة بأن تبرهن لنفسها أنها كانت مرغوبة كلياً بمعزل تام عن مسألة الحب، ولعلها تعثر على رجل يعاملها بالقسوة الضرورية. في

عالمها الخاص كانت جد مبجلة، موقرة، مُدللة، كي تعرف قيمتها الحقيقية كأنثى، كي تتم معاملتها بالوحشية التي كانت تحبها.

أدركتْ ليندا أن هذه ستكون أفضل وسيلة كي تكتشف ما إذا كانت تشيخ، تفقد نفوذها وسحرها. لذا أخذت العنوان الذي أعطاها إياه ميشيل، دخلت في جوف سيارة أجرة أقلتها إلى مكانٍ في شارع (بوا) الشجر، منزل خاص ذي مظهر متكلف الجلال من منازل العزلة والأرستقراطية. هناك تم استقبالها من دون أسئلة.

" أأنتِ من عائلة طيبة؟" هذا هو كل ما أرادوا أن يتأكدوا منه. كان هذا المنزل مخصصاً للنساء اللواتي من عائلة طيبة. في التو تهاتف وكيلة البيت زبوناً: "لدينا قادمة جديدة، امرأة رفيعة التهذيب."

أدخلتْ ليندا إلى مخدع سيدة رحب ذي أثاث عاجي، ستائر من الجوخ المقصب. كانت خلعتْ قبعتها ونقابها أمام المرآة الكبيرة المؤطرة بالذهب ترتب شعرها، حين فُتح الباب.

كان الرجل الذي دخل بشع المظهر تقريباً. كان قصيراً وبديناً، برأس ضخم جداً بالنسبة لجسمه، ملامحه أشبه بملامح طفل مفرط النمو، جد لين وغامض ورقيق بالنسبة إلى عمره وحجمه. سار بخفة شديدة نحوها وقبّل يدها بصورة رسمية. قال، "عزيزتي، كم هو مدهش أن تكوني قادرةً على الهرب من بيتك وزوجك."

همتْ ليندا بالإحتجاج حين وعتْ برغبة الرجل في التظاهر. في الحال وقعتْ في الدور إلا أنها ارتجفتْ في قرارة نفسها لدى التفكير بأنها تستسلم لهذا الرجل. كانت عيناها استدارتا صوب الباب، وساءلتْ نفسها ما إذا كان يمكنها أن تفر. لمح نظرتها وقال بسرعة شديدة: "لا

حاجة للخوف. ما أسأله عنك لا يبعث على الخوف مطلقاً. أنا مقر بالجميل لك كونكِ خاطرتِ بسمعتكِ كي تلتقي بي هنا، كونكِ تركتِ زوجك من أجلي. أنا أسأل القليل القليل، وجودك هنا يجعلني في غاية السعادة. لم أرَ امرأةً تفوقك جمالاً وأكثر أرستقراطيةً منك. أحب عطرك، وفستانكِ، ذوقكِ في اختيار المجوهرات. دعيني أرى قدميكِ. يا للحذاءين الجميلين. كم هما أنيقان، ويا له من كاحل رقيق هذا الذي تملكينه. آه، ليس كثيراً جداً أن تأتي امرأة بارعة الجمال لرؤيتي لم أكن موفور الحظ مع النساء."

الآن لاح لها أنه بدا أكثر فأكثر شبيهاً بطفل، كل شيء فيه، عدم براعة إيماءاته، ليونة يديه. حين أشعل سيجارةً ودخن، شعرتْ أن هذه حتماً كانت سيجارته الأولى، بسبب طريقته غير البارعة في استخدام يديه في إشعال السيجارة، وبسبب الفضول الذي راقب به الدخان المتصاعد منها.

"لا أستطيع البقاء مدةً طويلةً جداً"، قالت، سيطرتْ عليها الحاجة إلى الفرار. لم يكنْ هذا ما توقعته البتة.

"لن أستبقيكِ مدةً طويلةً جداً. هلا سمحتِ لي أن أرى منديلك؟" قدمتْ له منديلاً رقيقاً، معطراً. تنشقه بسيماء السعادة البالغة. بعدئذ أردف قائلاً: "ليس لي نية في امتلاكك كما توقعت أن أفعل. لستُ مولعاً بامتلاكك كما يفعل الرجال الآخرون. كل ما أطلبه منكِ هو أن تمرري هذا المنديل بين ساقيك ومن ثم تعطينني إياه، هذا كل مبتغاي."

أدركت أن هذا سيكون أسهل بكثير مما خشيت منه. فعلتْ ذلك عن طيب خاطر. راقبها حينما إنحنتْ، رفعت تنورتها، أرختْ سروال

الدانتيلا ومررتْ المنديل بتؤدة بين ساقيها. مال بعدئذ ووضع يده على المنديل لمجرد أن يزيد الضغط وكي تمرره من جديد.

كان يرتجف من رأسه إلى قدمه. كانت عيناه مفتوحتين على وسعهما. أدركتْ ليندا أنه في حالة اهتياج عظيم. حين أخذ المنديل بعيداً نظر إليه ملياً كما لو كان امرأة، جوهرة ثمينة.

كان مستغرقاً جداً بحيث لم يستطعْ أن يتكلم. سار إلى السرير، وضع المنديل على ملاءة السرير ومن ثم رمى نفسه فوقه فاتحاً أزرار سرواله بينما هو يقع على الفراش. دفع ودعك. بعد لحظة جلس على الفراش، لف المنديل حول قضيبه وبعدها استمر يهتز هزاً عنيفاً، في النهاية وصل الذروة التي جعلته يصرخ من جراء السعادة. نسي ليندا نهائياً. كان في حالة نشوة.تبلل المنديل بقذفه استلقى ليستريح لاهثاً.

غادرته ليندا. بينما كانت تتمشى عبر أروقة المنزل التقتْ المرأة التي استقبلتها. ذُهلتْ المرأة كونها أصرت على الرغبة في المغادرة حالاً.

"أعطيتكِ واحداً من أكثر زبائننا تهذيباً"، قالت، "كائن عديم الضرر."

بعد هذه الحادثة جلستْ ليندا في الـ (بوا) ذات يوم تراقب عرض أزياء الربيع في صباح يوم أحد. كانت تشرب الألوان والأناقة والعطور حين وعتْ بعطر خاص قريب منها. أدارتْ رأسها. إلى يمينها جلس رجل وسيم في نحو الأربعين، أنيق الملبس، شعره الأسود الصقيل ممشط بعناية إلى الوراء. هل كان هذا العطر ينبعث من شعره؟ هذا ذكر ليندا برحلتها البحرية إلى (فاس)، بالجمال الهائل للرجال العرب هناك. كان له تأثير فعال عليها. تطلعتْ إلى الرجل. إلتفت وابتسم لها، بسمة بيضاء مشرقة لأسنان كبيرة قوية مع سنين لبنيتين أصغر حجماً، ملتويتين

قليلاً، الأمر الذي منحه سيماءً لئيمةً.

قالتْ ليندا، "أنتَ تستخدم عطراً شممتُه في فاس."

"هذا صحيح"، قال الرجل. "كنتُ في فاس. اشتريتُ هذا من السوق هناك. عندي ولع بالعطور. لكن منذ أن عثرتُ على هذا النوع لم أستخدم سواه."

"هو يعبق برائحة أشبه برائحة خشب ثمين جداً"، قالت ليندا "يجب أن تكون رائحة الرجال أشبه برائحة الخشب الثمين. حلمتُ دوماً في الوصول أخيراً إلى بلدٍ من بلدان أمريكا الجنوبية حيث توجد غابات كاملة من الأخشاب الثمينة التي تطلق روائح عجيبة. ذات مرة شغفتُ حباً بالبتشول، وهو عطر موغل في القدم. لم يعدْ الناس يستخدمونه. جاء هذا العطر من الهند. الشالات الهندية التي كانت تلبسها جداتنا كانت مشبعة دوماً بالبتشول. أحب أن أتنزه بمحاذاة أرصفة تحميل السفن أو تفريغها، أيضاً، وأن أستنشق التوابل في المستودعات. هل تفعل ذلك؟"

"أفعل. ألاحق النساء أحياناً، فقط بسبب عطرهن، رائحتهن."

"وددتُ أن أمكث في فاس وأتزوج عربياً."

"لم لم تفعلي؟"

"لأنني وقعتُ في هوى عربي ذات يوم. زرته مرات عدة. كان أكثر الرجال الذين رأيتهم في حياتي وسامةً. كانت له بشرة داكنة وعينان هائلتان بلون الكهرمان الأسود، تعبير ذو عاطفة وحماسة بحيث دفعتني بقوة عن قدميّ. كان له صوت راعد وأرق سلوك. كلما تحدث إلى إنسان ما، كان يقف على قدميه، حتى في الشارع، ممسكين بكلتا يديهما،

برقة، كما لو أراد أن يمس البشر جميعاً بالليونة والرقة الكبيرة ذاتها. أغويت كلياً لكن...."

"ماذا جرى؟"

"ذات يوم، حين كان الطقس مفرط الحرارة، جلسنا نشرب شاي النعناع في حديقته وخلع هو عمامته. كان رأسه حليقاً كلياً. ذلك من تقاليد العرب. يبدو أن كل رؤوسهم حليقة تماماً. ذلك الأمر شفاني نوعاً من افتتاني به."

ضحك الغريب.

بتزامن كامل، هبا واقفين وشرعا يسيران معاً. كانت ليندا تأثرتْ كثيراً بالعطر، الآتي من شعر الرجل، كما يمكن أن تتأثر بفعل قدح من النبيذ. شعرتْ بأن ساقيها غير ثابتتين، رأسها ضبابي. ثدياها انتفخا وسقطا مع الأنفاس العميقة التي أخذتها. راقب الغريب تنهد ثدييها كما لو كان يراقب البحر يبسط أمواجه عند قدميه.

عند حافة الـ (بوا) توقف. "أنا أسكن هنا في الأعالي"، قال، مشيراً بخيزرانته إلى شقة سكنية ذات شرفات عديدة. "هل ترغبين بأن تشربي معي مُشهياً على سطيحتي؟" قبلتْ ليندا الدعوة. بدا لها، هي التي كانت محرومة من العطر الذي سحرها، إنها سوف تختنق.

جلسا على سطيحته، يشربان بهدوء. مالت ليندا للوراء بكسل. استمر الغريب يراقب نهديها. بعدها أغمض عينيه. لم يقمْ أي منهما بحركة. كلاهما جعل يحلم.

كان هو أول من تحرك. حالما قبّل ليندا أُعيدت هي إلى فاس، إلى حديقة العربي طويل القامة. تذكرت أحاسيسها في ذلك اليوم، الرغبة

بأن تُلف بـ (كاب) العربي الأبيض، التوق إلى صوته القوي وعينيه المشتعلتين. كانت بسمة الغريب مشرقة، كبسمة العربي. كان الغريب (هو) العربي، العربي ذو الشعر الأسود السميك، المعطر كمدينة فاس. رجلان يمارسان الحب معها. أبقتْ عينيها مغمضتين. كان العربي ينضو عنها ثيابها. العربي يمسها بيديه الناريتين. أمواج من العطر وسعتْ جسدها، فتحته، جهزتها للإستسلام. كانت أعصابها مهيئة لذروة جنسية، كانت متوترة، سريعة الإستجابة.

فتحت عينيها إلى النصف ورأتْ الأسنان الباهرة التي توشك أن تنغرز في لحمها ومن ثم مسها عضو ذكورته ودخلها. كان أشبه بشيء مشحون كهربائياً، كل دفعة. قوية ترسل تيارات كهربائية عبر أوصال جسدها.

باعد ساقيها كما لو أنه أراد أن يقطع إحداهما عن الأخرى. سقط شعره على وجهها. وهي تشمه، شعرتْ بالذروة تأتي ونادتْ عليه أن يزيد دفعاته القوية كي يصلا الذروة معاً. في لحظة الذروة صرخ في زئير نمر، كان صوتاً مروعاً يعبر عن الفرح، النشوة والمتعة الشديدة من النوع الذي لم تسمع مثيلاً له من قبل. كان صراخه مثلما تخيلتْ أن يكون صراخ العربي، صراخ حيوان من حيوانات الغابة، القانع بفريسته، الذي يزأر من جراء السعادة القصوى. فتحت عينيها، كان وجهها مغطى بشعره الأسود. أدخلته في فمها.

تشابك جسداهما كلياً. سروالها الداخلي سُحب بسرعة شديدة إلى الأسفل بحيث نزل امتداد ساقيها واستقر حول كاحليها، وبصورة ما أدخل قدمه في أحد نصفي السروال. نظرا إلى ساقيهما تلتصقان معاً

بوساطة هذه القطة الصغيرة من الشيفون الأسود، وقهقها.

عادتْ مرات كثيرة إلى شقته السكنية. كانت رغبتها تبدأ قبل كل لقاء بوقت طويل، بينما هي تتزي له. في كل ساعات اليوم ينبعث عطره من مصدر مبهم ويسكنها. غالباً حين تهم بعبور شارع ما، تتذكر عطره بصورةٍ حيوية جداً بحيث أن الاهتياج العظيم بين ساقيها يحملها على الوقوف هناك، عاجزة، موسَّعة. شيء منه ملتصق بجسمها ويسبب لها الإضطراب ليلاً حين تنام وحدها. لم تكنْ تُستثار بسهولة كبيرة من قبل. كانت تحتاج في أحيان كثيرة إلى الوقت والمداعبات، أما بالنسبة للعربي، فحين تدعوه إليها، بدا كما لو أنها كانت مهيئة إيروسياً دوماً، بدرجة كبيرة بحيث كانت مستثارة قبل لمسه لها بوقت طويل، وما كانت تخشاه هو أن تصل الذروة في أول لمسة من إصبعه لعضو أنوثتها.

حدث ذلك مرةً. وصلتْ إلى شقته السكنية ندية ومرتعشة. شفتا عضو أنوثتها كانتا متيبستين كما لو تمت مداعبتها، حلمتاها صلبتين، جسدها كله يرتجف، وبينما كان يقبلها شعر بإهتياجها العظيم ومرر يده مباشرةً نحو عضو أنوثتها. كان الشعور شديداً جداً بحيث وصلتْ الذروة.

وذات يوم، بعد مرور ما يقرب من شهرين على علاقتهما الغرامية، مضتْ إليه وحين ضمها بين ذراعيه، لم تشعر بالرغبة. لم يبدُ أنه الرجل نفسه. حين وقفتْ أمامه لاحظتْ ببرود أناقته ومألوفيته. لاح كأي رجل فرنسي أنيق يستطيع أن يراه المرء متنزهاً في الشانزليزيه، أو عند ليالي حفلات الافتتاح، أو عند سباقات الخيل.

ولكن ما الذي غيّره في نظرها؟ لماذا لم تحس بهذا السُكر العظيم

الذي كانت تحسه بصورة اعتيادية في أثناء وجوده؟ الآن ثمة شيء مألوف فيه. شديد الشبه بأي رجل آخر. يختلف اختلافاً تاماً عن العربي. بدتْ بسمته أقل إشراقاً، صوته أقل حيوية. بغتةً ارتمتْ بين ذراعيه وحاولتْ أن تستنشق شعره. صرخت، "عطركَ، أنتَ لا تضع عطراً!"

"نفد العطر"، قال الفرنسي العربي. "ولم أستطع الحصول على أي سطر يشبهه. ولكن لماذا يجب أن يزعجكِ هذا الأمر بهذه الشاكلة؟"

حاولتْ ليندا أن تستعيد المزاج الذي رماها فيه. شعرتْ بأن جسمها بارد. تظاهرتْ. أغمضتْ عينيها وبدأتْ تتخيل. كانت في فاس ثانيةً، جالسة في حديقة العربي جالس إلى جنبها، على أريكة واطئة، لينة. كان أراح ظهرها على الأريكة وقبلها بينما كانت نافورة الماء الصغيرة تغني في أذنيها، والعطر المألوف يشتعل في حامل بخور جنبها. لكن، لا. انقطعتْ الفانتازيا. ليس ثمة بخور. كان المكان يعبق برائحة أشبه بشقة سكنية. كان الرجل الذي بجوارها غريباً. كان محروماً من سحره الذي جعلها تشتهيه. لم تمضِ لرؤيته ثانيةً.

مع أن ليندا لم تستسغْ مغامرة المنديل، بعد شهور قلائل من عدم انتقالها من دنياها الخاصة أمستْ متململة من جديد.

كانت مسكونةً بالذكريات، بالقصص التي سمعتها، بالشعور أنه في كل الأمكنة المحيطة بها كان الرجال والنساء يستمتعون بالملذات الحسية. كانت تخشى من كونها الآن كفتْ عن الإستمتاع بزوجها، وأن جسمها كان يموت.

تذكرتْ أنها أُستثيرت جنسياً في حادثةٍ جرتْ في عمر مبكر جداً.

إبتاعتْ لها أمها سروالاً داخلياً صغيراً جداً عليها وضيقاً جداً بين الساقين. السروال أثار جلدها، وفي الليل حينما داهمها النعاس خدشتْ نفسها. حين نامتْ، أصبح الخدش أرق وبعدها أصبحتْ واعية بأنه إحساس سار. استمرتْ في مداعبة جلدها ووجدتْ أنه حينما تقترب أصابعها من الموضع الصغير في الوسط، تتزايد السعادة. بأصابعها تحسستْ عضواً بدا أنه تصلب لدى لمسها، وهناك عثرتْ على إحساس أعظم.

بعد أيام قلائل أُرسلتْ إلى الاعتراف. جلس الكاهن إلى كرسيه وجعلوها تجثو عند قدميه. كان من الدومينيكان ويرتدي حبلاً طويلاً ذا شرابة تدلتْ عند جانبه الأيمن. حين مالتْ ليندا على ركبتيه، شعرتْ بهذه الشرابة إزاءها. كان للقس صوت دافئ جهوري غلّفها، ومال إلى الأسفل كي يتحدث إليها. حين انتهتْ من الخطايا الاعتيادية - الغضب، الأكاذيب وهلم جرا - توقفتْ. ملاحظاً ترددها، بدأ يهمس بنبرةٍ خفيضةٍ جداً، "هل حدث أن رأيتِ أحلاماً غير طاهرة؟"

"أحلاماً ماذا، أيها الأب؟" سألت.

الشرابة الصلبة التي شعرت بها عند الموضع الحساس بين ساقيها أثارتها كمداعبات أصابعها في الليالي الماضية. حاولت أن تقترب منها. أرادتْ أن تسمع صوت القس، دافئاً، موحياً، سائلةً إياها عن الأحلام غير الطاهرة. قال، "هل حدث أن حلمتِ بأن أحدهم يقبلك، أو أنك تقبلين أحداً؟"

"لا، أيها الأب."

شعرتْ الآن أن الشرابة كانت تؤثر فيها بصورة لا نهائية أكثر من

أصابعها، لأنها، بصورة غامضة أو غيرها، كانت جزءاً من صوت القس الدافئ وكلماته، مثل "القبلات". ضغطتْ عليه بصورة أقوى ونظرت إليه.

شعر أنها تملك شيئاً تريد أن تعترف به، وسأل، "هل حدث أن داعبتِ نفسك؟"

"أداعب نفسي كيف؟"

كاد القس أن يصرف النظر عن السؤال ظاناً أن حدثه كان خطأ، إلا أن التعبير البادي على وجهها أكد شكوكه.

"هل حدث لكِ قبلاً أن داعبتِ نفسكِ بيديك؟"

في هذه اللحظة بعينها كانت ليندا تروم كثيراً أن تكون قادرةً على القيام بحركة إحتكاك ومرة أخرى تصل تلك السعادة المفرطة، الغامرة التي اكتشفتها قبل بضع ليالٍ خلتْ. إلا أنها خشيت من أن القس ربما يعي الأمر ويردها فتفقد الإحساس كلياً. قررتْ أن تثير انتباهه، وبدأت بالقول: "أيها الأب، هذا حقيقي، عندي شيء مروِّع كي أعترف به. خدشتُ نفسي ذات ليلة وبعدها داعبتُ نفسي، و -"

"طفلتي، طفلتي"، قال القس، "ينبغي لكِ أن تتوقفي حالاً عن ذلك. هو شيء غير طاهر. سوف يحطم حياتك."

"لماذا هو غير طاهر؟" سألت ليندا، ضاغطةً على الشرَّابة. كان إهتياجها يتفاقم. انحنى القس قريباً جداً منها بحيث كادتْ شفتاه أن تلامسا جبينها. كانت في حالة دوار. قال، "تلك هي المداعبات التي بوسع زوجك وحده أن يمنحها لكِ. إذا قمتِ بها وأسأتِ إستخدامها، سوف تصبحين ضعيفة، ولن يغرم بك أحد. كم مرة قمتِ بذلك؟"

"على مدى ثلاث ليال، أيها الأب. كانت لي أحلام أيضاً."

"أي نوع من الأحلام؟"

"كانت لي أحلام تتعلق بشخص ما يمسني هناك."

كل كلمة قالتها ضاعفت إهتياجها، وبدعوى الذنب والعار رمتْ نفسها على ركبتي القس وطأطأت رأسها كما لو أنها ستبكي، إنما لأن لمسة الشرابة جلبت الذروة الجنسية وكانت هي تهتز. القس، ظاناً أنه الذنب والعار، أخذها بين ذراعيه، رفعها من وضع الركوع خاصتها وواساها.

مارسيل

أقبل مارسيل إلى المركب البيت، عيناه الزرقاوان مليئتان بالمفاجأة والدهشة، مليئتان بالانعكاسات شأنهما شأن النهر. عينان جائعتان، شرهتان، صريحتان. فوق النظرة البريئة، المستغرقة سقط حاجبان وحشيان، همجيان كحاجبي قاطن الأدغال. الهمجية تم تخفيفها بوساطة الجبين المضيء وحريرية الشعر. كان الجلد رقيقاً أيضاً، الأنف والفم سريعا التأثر، شفافان، إنما ثانيةً اليدان الريفيتان، كالحاجبين، أكدتا قوته.

في كلامه يهيمن الجنون، اضطراه للتحليل، كل شيء يحدث له، كل شيء يقع في يديه، كل ساعة من ساعات اليوم، يتم التعليق عليه (وعليها) بصورة دائمة، يُمزق (وتُمزق) إرباً إرباً. لم يكنْ بميسوره أن يقبّل، يشتهي، يمتلك، يتمتع، من دون فحص مباشر. كان يخطط لتحركاته وتنقلاته سلفاً بمساعدة علم التنجيم؛ كان عادةً يلتقي بما هو عجيب، كانت له موهبة في استحضاره. لكن ما إن يحدث له الأمر العجائبي حتى يقبض عليه بعنفِ رجلٍ لم يكنْ متيقناً من أنه يراه، يحياه؛ والذي كان يهفو كي يجعل منه حقيقياً.

أحببت ذاته غير المنيعة، الحساسة والسامية، قبيل أن يتكلم، حين

بدا أشبه بحيوان رقيق جداً، أو بكائن حسي جداً، عندما تكون علته غير محسوسة. بدا آنئذ من دون جروح، متمشياً هنا وهناك بحقيبة ثقيلة مليئة بالاكتشافات، الملاحظات، البرامج، الكتب الجديدة، الطلاسم، العطور الجديدة، الصور الفوتوغرافية. بدا وقتذاك عائماً كالمركب البيت من دون مراسٍ. تجول، تسكع، استكشف، زار مصحات المجانين، وزع خرائط البروج [٣٩]، جمع المعرفة المعدة لفئة قليلة، جمع النباتات، الأحجار.

"ثمة كمال في أي شيء يتعذر امتلاكه" ، قال. "أراه في شظايا المرمر المقطوع. أراه في قطع الخشب التالفة. ثمة كمال في جسم المرأة التي يتعذر امتلاكها، معرفتها كلياً، حتى في الجماع."

كان يرتدي ربطة العنق المتدلية لبوهيمي مائة عام خلت، قبعة رجل أباتشي، السروال المخطط لبورجوازي فرنسي. أو كان يرتدي سترة سوداء كسترة راهب، ربطة عنق فراشية الشكل لممثل عادي من المقاطعات، أو لفاع قواد، ملفوف حول الحنجرة، لفاعاً أصفر أو أحمر كدم الثور. أو كان يرتدي بذلةً أعطاها له رجل أعمال، مع ربطة عنق تباهى بها قاطع الطريق الباريسي، أو قبعة اعتمرها يوم الأحد أبٌ لأحد عشر طفلاً. ظهر بالقميص الأسود لمتآمر، بالقميص ذي المربعات لريفي من (بورغون)، في بذلة عامل من الكورديوري [٤٠] الأزرق ذات سروال عريض منتفخ كالكيس. في بعض الأحيان يجعل لحيته تنمو ويبدو شبيهاً بالمسيح. في أوقاتٍ أخرى كان يحلق ذقنه ويبدو شبيهاً بعازف كمان هنغاري من معرض متنقل.

لا أعرف بأي زي جاء لرؤيتي. إذا كانت له هوية، فهي هوية

التغيير، في أن يكون أي شيء؛ هوية ممثل كانت له دراما مستمرة.

قال لي، "سآتي ذات يوم."

هو الآن راقد على الفراش يرنو إلى السقف المصبوغ للمركب البيت. تحسس غطاء السرير بيديه. أرسل بصره عبر النافذة إلى النهر.

"أود المجيء إلى هنا، إلى المركب الكبير"، قال. "إنه يهدهدني. النهر أشبه بالدواء. ما أعانيه يبدو غير حقيقي حين آتي إلى هنا."

كان المطر يهطل على سقف المركب البيت. في الساعة الخامسة يكون لباريس دوماً تيار كهربائي من الإيروسية في الهواء. ألأن هذه هي الساعة التي يلتقي فيها العشاق، الخامسة حتى السابعة بحسب الروايات الفرنسية؟ هم لا يلتقون ليلاً، على ما يبدو، ذلك أن كل النساء متزوجات وهن طليقات في "وقت الشاي" فقط، العذر الكبير. عند الخامسة شعرتُ في أحيان كثيرة بارتعاشات الحسية، مشاركاً باريس الحسية. ما إن يتضاءل النور، حتى يبدو لي أن كل امرأةٍ أراها كانت تسرع للقاء حبيبها، كل رجل يركض للقاء عشيقته.

حين يغادرني، يقبلني مارسيل على خدي. كانت لحيته تلامسني كالمداعبة. هذه القبلة على الخد التي قُصد منها أن تكون قبلة أخ كانت مشحونة بالقوة.

تناولنا الغداء معاً. اقترحتُ أن نذهب للرقص. مضيا إلى (بال نيغر). شُلّ مارسيل في الحال. كان يخشى الرقص. كان يتوجس خيفةً من لمسي. حاولتُ أن أغريه كي يرقص، لكنه لم يشأ أن يرقص. كان غير بارع في الرقص. كان خائفاً. حين أمسك بي بين ذراعيه أخيراً كان يرتعش، وكنتُ أستمتع بالدمار الذي سببته. شعرتُ بالسعادة لكوني

قريبة منه. سُعدتُ بالرشاقة الطويلة لجسده.

خاطبته قائلةً، "هل أنتَ حزين؟ هل تريد المغادرة؟"

"لستُ حزيناً، لكنني معاق. يبدو أن ماضي حياتي كله يوقفني. لا أستطيع أن أحرر نفسي. هذه الموسيقى وحشية جداً. أشعر كما لو أنني أستطيع أن أستنشق ولكن لا أستطيع أن أزفر. أنا مرتبك، غير طبيعي."

لم أطلب منه أن يراقصني بعد الآن. رقصتُ مع زنجي.

حين غادرنا بعدئذ في الليل معتدل البرودة، كان مارسيل يتحدث عن المشاكل، المخاوف، الشلل الذي بداخله. أحسستُ، أن المعجزة لم تحدثْ بعد. سوف أحرره بواسطة معجزة، ليس بوساطة الكلمات، ليس بصورة مباشرة، ليس بوساطة الكلمات التي أستخدمها من أجل المرضى. أعرف ما يكابده. كابدته أنا أيضاً. لكنني أعرف مارسيل الحر. أريد مارسيل حراً.

غير أنه حين جاء إلى المركب البيت وشاهد هانز هناك، حين رأى غوستافو يصل عند منتصف الليل ويبقى بعد مغادرته، أصبح مارسيل غيوراً. رأيتُ عينيه الزرقاوين تصبحان داكنتين. حين قبلني متمنياً لي ليلةً هانئة، نظر إلى غوستافو بغضب.

قال لي، "تعالي معي إلى الخارج هنيهةً."

غادرتُ المركب البيت وسرتُ معه على امتداد أرصفة الميناء المظلمة. ما إن كنا وحدنا، حتى مال عليّ وشرع يقبلني بعاطفة مشبوبة، بغضب، فمه المكتنز، الكبير يشرب فمي. قدمتُ فمي ثانيةً.

"متى تأتين لرؤيتي؟" سأل.

"غداً، مارسيل، غداً، سآتي لرؤيتك."

حين وصلتُ إلى مكانه كان كسا نفسه ببذلة (الابلاند) خاصته كي يباغتني. كانت أشبه بلباس روسي وكان يعتمر قبعه فرو وينتعل جزمتين سوداوين عاليتين من اللباد، كانتا تصلان تقريباً إلى وركيه.

كانت حجرته أشبه بوكر مسافر، مليئة بأشياء من كافة أرجاء العالم. كانت الجدران مغطاة بسجاجيد حمر، السرير مغطى بفراء الحيوانات. كان المكان حبيس الهواء، حميماً، شهوانياً، كحجرات حلم الأفيون. الفراء، الجدران عميقة الاحمرار، الأشياء، أشبه بأصنام قس إفريقي - كل شيء كان إيروسياً بضراوة. وددتُ أن أستلقي عاريةً على الفراء، كي يمتلكني هناك مضطجعةً على هذه الرائحة الحيوانية، يداعبني الفراء.

وقفتُ هناك في الغرفة الحمراء، وجردني مارسيل من ثيابي. أمسك خصري العاري بيديه. بلهفةٍ استكشف جسدي بيديه. تحسس الامتلاء القوي لوركيّ.

"أول مرة، امرأة حقيقية"، قال. "كثيرات جداً أتين إلى هنا، إنما أول مرة تأتي إلى هنا امرأة حقيقية، امرأة أستطيع أن أعبدها."

بينما كنتُ أستلقي على السرير بدا لي أن رائحة وملمس الفراء وبهيمية مارسيل كانت اتحدتْ. الغيرة حطمتْ جبنه. كان أشبه بحيوان، جائع لكل إحساس، لكل طريقة من طرق التعرف إليَّ. قبلني بلهفة، عضَّ شفتيَّ، رقد في فراء الحيوانات، مقبلاً ثديي، متحسساً ساقيَّ، عضو أنوثتي، مؤخرتي. عندئذ في نصف الضوء تحرك فوقي، أقحم قضيبه في فمي. شعرتُ بأسناني تقبض عليه بينما كان يدفعه إلى

الداخل وإلى الخارج، لكنه أحب ذلك. كان يراقبني ويداعبني، مرتْ يداه فوق أنحاء جسمي كله، أصابعه في الأمكنة كلها تسعى إلى معرفتي معرفةً تامة، تسعى للإمساك بي.

رميتُ ساقيٍّ فوق كتفه، عالياً، كي يستطيع أن يقتحمني ويرى عضوه في الوقت نفسه. كان يريد أن يرى كل شيء. كان يريد أن يرى كيف كان القضيب يدخل ويخرج متلألئاً ومتيناً، ضخماً. رفعتُ نفسي مستندةً على قبضتيٍّ كي أقدم له فرجي أكثر فأكثر لإقتحاماته. ثم قلبني واستقر فوقي كالكلب، دافعاً قضيبه فيٍّ من الخلف، يداه تحيطان ثدييٍّ ككوبين، مداعباً إياي ودافعاً قضيبه في الوقت ذاته. لم يتعبْ. لم يشأ أن يصل الذروة. كنتُ أنتظر أن أصل الذروة معه، لكنه أرجأها وأرجأها. أراد أن يتمهل، كي يتحسس جسدي إلى الأبد، كي يكون مستثاراً بصورةٍ لا حد لها. أصحبتُ مرهقةً وهتفتُ، "أبلغ الذروة الآن، مارسيل، أبلغ الذروة الآن." بدأ عندئذ يدفع بضراوة، وتحرك معي إلى داخل الذروة الهائجة المتصاعدة، وبعدها صرختُ، ووصل ذروته في الوقت نفسه تقريباً. استلقينا كي ننعم بالراحة بين الفراء، متحررين.

استلقينا في نصف العتمة، محاطين بأشكال غريبة - زلاجات، جزم، ملاعق من روسيا، كريستالات، أصداف بحرية. كانت هناك صور صينية إيروسية على الجدران. إنما كل شيء، حتى قطعة من الحمم من كراكاتوا (٤١)، حتى قنينة الرمل من البحر الميت، كان له صفة الإيحاء الإيروسي.

"أنتِ تملكين الإيقاع المناسب لي"، قال مارسيل. "النساء عادة يكن سريعات جداً بالنسبة لي. أغدو في حالة رعب في ما يتعلق بهذا الأمر.

ينلن سعـادتهن وعندئذ أخـاف من الإسـتـمـرار. هن لايعطينني الوقت الكافي كي أشعر بهن، كي أعـرفـهن، كي أصل إليـهن، وأغدو مـجنوناً بعد أن يتـخلين عن التفكير في عريهن وكيف أنني لم أنل سعـادتي. أما أنتِ فبطيئة. أنت على غراري."

حين ارتديتُ ثيـابي وقـفنا عند الموقـد، نتـكلم. دس مـارسـيل يده تحت تنورتي وشرع يداعبني من جديد و فـجـأة أصابنا العمـى من جراء الرغبة وقـفت هناك وعيناي مغمضتـان، متحسسةً يده، وهي تتـحرك فوق لحـمي. أمـسك مؤخـرتي بمسكتـه الريـفـيـة الصلبـة، وفكرتُ أننا سـوف نتدحرج على الفراش ثانيةً، لكنه عوضاً عن ذلك قال: "ارفعي ثوبك".

إستندتُ على الجدار، رفعتُ جسـدي إليـه. وضع رأسه بين سـاقيَّ، قـابضاً على مؤخرتي بيديه، لاعقاً فرجي بلسـانه، جعل يمص ويلعق إلى أن غدوتُ رطبةً من جديد. ثم أخرج قضيبه وامتلكني هناك على الجدار. كان قضيبه صلباً ومنتـصباً كالمثقاب، يدفع، يدفع، يقتحمني بينما كنتُ مبللة تماماً وذائبةً في عاطفته.

أسـتمـتعُ بممـارسة الحب مع غوسـتـافـو أكـثر من اسـتـمـتـاعي مع مارسيل، لأنه لايعرف أيُّ نوع من الجبن مهما كان، ليس له مخاوف، ولا توتر عصبي. كان يقع في حلم، ننومُ أحدنا الآخر بالمداعبات. ألمسُ عنقه وأمرر أصابعي عبر شعره الأسـود. أداعب بطنه، سـاقيـه، وركيـه. حين ألمسُ ظهره من العنق إلى المؤخرة يبدأ جسده بالارتعـاش من جراء اللذة. كان كالمرأة يحب الملاطفات عضو ذكورته يتحرك حركة ضئيلة. لا أمـسه إلى أن يبدأ بالقفـز. عندئذ يلهث هو من جراء اللذة. آخذه كله بيـدي، أمـسك به بقـوة، أعـصـره صـعـوداً ونزولاً. أو بطـريقـة أخـرى ألمس طرفـه

بلساني، وبعدئذ يحركه هو في داخل وخارج فمي. غالباً يصل الذروة وقضيبه في فمي وأبتلع الحيا من. في أوقات أخرى هو الذي يبدأ المداعبات. رطوبتي تحدث بيسر، أصابعه دافئة وعارفة جداً. غالباً أكون مهتاجة جداً بحيث أشعر بالذروة بمجرد لمسة من إصبعه. حين يتحسسني وأنا أنبض وأخفق، يشعر بالتهيج. لم يكنْ ينتظر انتهاء الذروة الجنسية، كان يدفع قضيبه إلى الداخل كما لو أنه يريد أن يشعر بآخر تقلصاته. ملأني قضيبه تماماً، كان مصنوعاً لي فقط، كي يندس فيَّ بسهولة. أطبقتُ شفتيَّ الداخليتين حول قضيبه ومصصته إلى الداخل. أحياناً يكون القضيب أكبر مما هو عليه في أوقات أخرى ويبدو مشحوناً بالتيار الكهربائي، وعندئذ تكون اللذة عميقة، متطاولة. الذروة الجنسية لا تنتهي أبداً.

النساء يطاردنه في أحيان كثيرة، غير أنه كالمرأة ويحتاج إلى أن يؤمن في قرارة نفسه بالحب. مع أن امرأةً جميلةً يمكن أن تثيره، إذا لم يشعر بنوعٍ معين من الحب، يكون عقيماً.

إنه لأمر غريب كيف تنعكس شخصية المرء في فعله الجنسي. إذا كان المرء عصبياً، جباناً، قلقاً، خائفاً فإن فعله الجنسي كذلك. إذا كان المرء مسترخياً، يكون الفعل الجنسي ممتعاً. قضيب هانز لايلين أبداً، لذا كان يتمهل في مطارحته الغرام، فيه رسوخ وقوة. كان ينصب نفسه في داخل لذته مثلما ينصب نفسه في داخل اللحظة الحالية، كي يستمتع بهدوء، بصورةٍ كاملة، حتى آخر قطرة. كان مارسيل قلقاً أكثر، متململاً أكثر. أشعر أنه حتى حين يكون قضيبه صلباً يكون متلهفاً لإظهار قوته وأنه يسرع، خوفاً من عدم استمرار قوته الجنسية.

له، روسي وسيم جداً. كان مارسيل شاحباً، كان بوسعه أن يرى أنني أحببتُ الروسي. أخبره ما كنا نفعله. تطلع إلي الروسي وابتسم. لم أكن أحتاج إلى أن أثيره. حين سار نحوي كان مستثاراً بوساطة الجزمتين السوداوين والعري. لم أسلّم نفسي للروسي حسب بل همستُ له: "دع الممارسة تطول، أرجوك دعها تطول."

كان مارسيل يتعذب. كنتُ أستمتع بالروسي، الذي كان ضخم البدن وقوياً والذي كان بوسعه أن يبقى مدةً طويلةً من الزمن. بينما كان مارسيل يراقبنا، أخرج قضيبه من سرواله، وكان منتصباً. حين شعرتُ بالذروة تأتي في انسجام مع ذروة الروسي، أراد مارسيل أن يضع عضو ذكورته في فمي لكنني ما كنتُ لأدعه يفعل ذلك. قلتُ، "عليكَ أن تحفظه لما بعد. لي أشياء أخرى أريد أن أطلبها منك. لن أجعلك تبلغ الذروة!" كان الروسي ينال لذته. بعد الذروة أبقى عضوه في الداخل وأراد المزيد، لكنني ابتعدتُ عنه. قال، "أتمنى أن تسمحي لي بالتفرج."

رفض مارسيل. جعلناه ينصرف. شكرني، بصورة ساخرة وبحماسة. كان يريد البقاء معنا.

ارتمى مارسيل عند قدميّ. "كان ذلك قاسياً. أنتِ تعرفين أنني مغرم بك. كان ذلك في غاية القسوة."

"لكنه جعلك شهوانياً، أليس كذلك، جعلك شهوانياً."

"أجل، لكنه آذاني أيضاً، ما كنتُ لأفعل هذا لك."

"لم أطلب منكَ أن تكون قاسياً معي، أليس كَذلك؟ حين يكون الناس قساةً معي يجعلني هذا باردةً جنسياً، لكنكَ أردتَ ذلك، أثارك."

"ماذا تريدين الآن؟"

"أريد أن تضاجعني بينما أنا أتطلع من النافذة"، قلتُ، "بينما يتطلع الناس إليّ أريدك أن تمتلكني من الخلف، ولا أريد أحداً أن يرى ما نفعله. أحب سرية الأمر."

وقفتُ عند النافذة. كان بوسع الناس أن ينظروا إلى مافي الغرفة من المساكن الأخرى، وامتلكني مارسيل بينما كنتُ واقفة هناك. لم أظهر أيَّ علامةٍ من علامات الإهتياج، غير أنني كنتُ أستمتع به. كان يلهث ولم يكدْ يسيطر على نفسه، بينما كنتُ أردد قائلةً، "بهدوء، مارسيل، افعلها بهدوء بحيث لن يعرف أحد من البشر." شاهدنا الناسُ، إلا أنهم كانوا يظنون أننا نقف فقط هناك نتطلع إلى الشارع. غير أننا كنا نستمتع بالذروة الجنسية، كما يفعل العشاق في المداخل وتحت الجسور ليلاً في أرجاء باريس كلها.

تعبنا. أغلقنا النافذة. نعمنا بالراحة مدةً قصيرةً من الزمن. رحنا نتحدث في الظلام، حالمين ومستذكرين وقائع حياتينا.

"قبل بضع ساعات خلتْ، مارسيل، دخلتُ النفق في ساعة الصخب، الأمر الذي قلما أفعله. أمواج الناس دفعتني، ضغطتني، ووقفتُ هناك. بغتةً تذكرتُ مغامرةً من مغامرات النفق أخبرتني بها (ألرون) حين كان مقتنعة أن هانز إغتنم فرصة الإزدحام كي يداعب امرأةً. في اللحظة عينها، شعرتُ بيد تمس ثوبي برفق شديد، كما لو أن ذلك جرى بمحض المصادفة. كان معطفي مفتوحاً، ثوبي خفيفاً، وكانت هذه اليد تمس مساً خفيفاً عبر فستاني عند قمة فرجي. لم أبتعدْ. الرجل الذي أمامي كان فارع الطول بحيث أنني لم أستطع أن أرى وجهه. لم

أشأ أن أرفع بصري. لم أكنْ متيقنةً من أنه هو، لم أردْ أن أعرف من كان هو. داعبتْ اليد الفستان، بعدها برفقٍ شديد ضاعفتْ ضغطها، متلمسةً الفرج. قمتُ بحركة طفيفة جداً كي أرفع الفرج نحو الأصابع. أمستْ الأصابع أقوى، ملاحقةً شكل الحافتين بخفة، برفق. شعرتُ بموجةٍ من السعادة. حينما دفعنا تمايل النفق معاً ضغطتُ على اليد كلها، وقام هو بإيماءةٍ أشجع، ماسكاً بحافتي الفرج. أمسيتُ الآن مسعورةً من جراء السعادة، شعرتُ بدنو الذروة الجنسية، دعكتُ باليد، بصورة غير محسوسة. بدا أن اليد شعرتْ ما شعرتُ به وتابعتْ ملاطفتها إلى أن بلغتُ الذروة. الذروة هزتْ أوصال بدني كلها. توقف النفق واندفع نهر الناس إلى الخارج. تلاشى الرجل عن الأنظار."

أعلنت الحرب. النساء يبكين في الشوارع. في الليلة الأولى بعينها كان هناك تعتيم. رأينا تدريبات في هذه المسألة، إلا أن التعتيم الحقيقي كان شيئاً مختلفاً تماماً.

كانت التدريبات مرحة. كانت باريس الآن خطيرة. الشوارع مظلمة تماماً.هنا وهناك ثمة ضوء حراسة أزرق أو أخضر أو أحمر صغير جداً، صغير وضعيف، كأضواء الأيقونات الصغيرة في الكنائس الروسية. النوافذ كلها مكسوة بقماش أسود. شبابيك المقهى مغطاة أو مصبوغة بلون أزرق داكن. كانت ليلةً من ليالي أيلول (سبتمبر) الرائعة. بسبب العتمة بدتْ الليلة رائقةً أكثر. كان ثمة شيء غريب جداً في الجو - ترقب، قلق.

سرتُ بحذر في شارع غاسباي المشجر شاعرةً بأني وحيدة وعازمة على الذهاب إلى (القبة) وأن أتحدث إلى أحدٍ ما. في النهاية وصلتُ

إليه. كان شديد الإزدحام، نصف مليء بالجنود، نصف مليء بالمومسات والموديلات العاديات، إلا أن فنانين عديدين ذهبوا. معظمهم دُعي إلى وطنه، كل واحد إلى بلده. لم يبقَ أمريكي، ولم يعدْ هناك إسبان، لم يعدْ هناك لاجئون ألمان يجلسون هنا وهناك. كان هناك ثانيةً جو فرنسي. قعدتُ وانضمتْ إليّ في الحال جيزيل، وهي شابة تكلمتُ معها مرات قلائل. كانتْ فرحةً برؤيتي. قالتْ إنها لم تستطعْ البقاء في المنزل. دُعي أخوها إلى الحرب، وكان البيت كئيباً قابضاً للنفس. ثم جاء صديق آخر، اسمه روجيه، جلس إلى طاولتنا. في الحال أصبحنا خمسة. جئنا كلنا إلى المقهى كي نكون مع الناس. جميعنا شعرنا بالوحدة. الظلمة عزلتْ المرء، جعلتْ الخروج أمراً عسيراً. أُجبر المرء على البقاء في الداخل - كي لا يكون وحيداً. كلنا أردنا هذا. جلسنا هناك نستمتع بالأضواء، بالمشروبات. كان الجنود نابضين بالحيوية، كان الجميع ودودين. الحواجز كلها أُزيلتْ. الناس لم ينتظروا أن يُقدم أحدهم إلى الآخر. كان الجميع في خطر متساوٍ وتقاسموا الحاجة ذاتها إلى الرفقة والعاطفة والدفء.

من ثم قلتُ لـ روجيه، "لنذهب إلى الخارج." أردتُ أن أكون في الشوارع المظلمة ثانيةً. سرنا بتؤدة، بحذر. وصلنا إلى مطعم عربي أحببته ودخلنا. كان الناس يجلسون حول الطاولات الواطئة جداً. امرأة عربية بدينة كانت ترقص. الرجال يناولونها النقود فتضعها في ثدييها وتواصل الرقص. هذه الليلة كان المطعم يغص بالجنود، وكانوا سكروا بفعل الخمر العربي الثقيل. كانت الراقصة ثملة، أيضاً. لم تكنْ ترتدي ثياباً كثيرة، بل مجرد تنورات ضبابية، شفافة وحزاماً، إلا أن التنورة الآن انفتحتْ مشقوقةً وعندما أدتْ رقصة البطن خاصتها، أظهرتْ شعر

العانة وهو يرقص، اللحم الضخم حوله يرتعش.

أحد الضباط وهبها قطعة نقد من فئة عشرة فرنكات وخاطبها قائلاً، "التقطيها بفرجك." لم تنزعج فاطمة البتة. سارتْ إلى طاولته، ووضعتْ قطعة الفرنكات الخمسة على حافتها، باعدتْ بين ساقيها قليلاً وهزت ردفيها كما فعلتْ أثناء الرقص، بحيث أن حافتي فرجها مستا قطعة النقد. في البداية لم تستطعْ أن تلتقطها. بينما كانت تحاول ذلك، أطلقتْ صوت امتصاص، فضحك الجنود واستثارهم المشهد. في الختام تيبستْ شفتا فرجها بصورة كافية حول قطعة النقد والتقطتها.

استمر الرقص. ثمة غلام عربي يعزف على (الفلوت) كان يراقبني بتركيز. كان روجيه يجلس لصقي ذائباً بفعل الراقصة، يبتسم برقة. استمرتْ عينا الغلام بالاشتعال بينما هو يخترقني بنظراته. كانت أشبه بقبلة، بحرقٍ على جسدِ إمرئٍ ما. كان الجميع ثملين يغنون يقهقهون. حين نهضتُ، نهض الغلام العربي أيضاً. لم أكنْ متيقنةً مما كنتُ أفعله. عند المدخل ثمة مكان ضيق مقفل مظلم للمعاطف والقبعات. الفتاة التي تتولى الاهتمام به كانت جالسةً مع الجنود. دخلتُ هناك.

فهم العربي. انتظرتُ بين المعاطف. نشر العربي أحدها على الأرض وسحبني إلى الأسفل. في الضوء الضعيف كان بوسعي أن أراه يخرج قضيباً هائلاً، ناعماً، جميلاً. كان في غاية الجمال بحيث أردته في فمي، لكنه ما كان ليسمح لي أن أمتلكه. وضعه حالاً في داخل فرجي. كان صلباً جداً وحاراً جداً. كنتُ أخشى أن يمسكوننا وأردته أن يسرع. كنتُ مستثارة جداً بحيث بلغتُ الذروة تواً وهو ذا الآن يواصل الإقتحام، والتحرك بعنف لم يكن يتعب.

خرج جندي نصف ثمل وأراد معطفه. لم نتحركْ. التقط معطفه من دون أن يخطو في المكان الضيق حيث كنا مضطجعين. مضى في حال سبيله. كان العربي بطيئاً في بلوغ ذروته. كانت له قوة شديدة في قضيبه وفي يديه وفي لسانه. كل شيء فيه قوي. شعرتُ بقضيبه يكبر ويزداد حرارة إلى أن دعكت الحفات كثيراً جداً بالرحم بحيث شعرت به خشناً، كان ذلك أشبه بالكشط. تحرك إلى الداخل والخارج في الإيقاع الهادئ نفسه، من دون إستعاجل. استلقيتُ مستريحةً ولم أعد أفكر أين كنا نحن. فكرتُ فقط بقضيبه الصلب يتحرك بهدوء، يتحرك بصورة مفرطة إلى الداخل والخارج. من دون أي تحذير أو تغيير في الإيقاع، وصل الذروة، كانتْ كإنفجار نافورة. لم يخرج قضيبه. بقي صلباً. أراد أن أبلغ الذروة ثانيةً. غير أن الناس كانوا يغادرون المطعم. لحسن الحظ كانت المعاطف سقطتْ فوقنا وأخفتنا عن الأنظار. كنا في خيمة من طراز خاص. لم أشأ أن أتحرك. قال العربي، "هل سأراكِ ثانيةً؟ أنتِ جد لينة وجميلة هل سأراكِ ثانيةً؟"

كان روجيه يفتش عني. نهضتُ ورتبتُ حالي. اختفى العربي عن الأنظار. المزيد من الناس أخذوا يغادرون. كان هناك حظر التجوال في الساعة الحادية عشرة ليلاً. ظن الناس أنني كنتُ أقوم بمسؤولية الحفاظ على المعاطف. لم أعدْ ثملة. عثر عليَّ روجيه. أراد أن يأخذني إلى بيته. قال، "رأيتُ الغلام العربي يتطلع إليك. عليكِ أن تكوني حذرة."

كنا أنا ومارسيل نتمشى خلال الظلام، في داخل المقاهي وخارجها، مزيحين جانباً الستائر السود الثقيلة حين ندخل، الأمر الذي يجعلنا كلينا نشعر كما لو أننا نلج جحيماً، مدينةً من مدن العفاريت. سوداء، كسروال

داخلي أسود لعاهرة باريسية، كالجوارب السود الطويلة لراقصات الكانكان (٤٢)، كأربطة جوارب النساء العريضة سوداء اللون التي أبدعت خصيصاً لإشباع نزوات الرجال شديدة الإنحراف، كالمشدات الصغيرة الضيقة السود التي تبرز الثديين وتدفعهما عالياً صوب شفاه الرجال، كالجزمات السود لمشاهد الجَلد في الروايات الفرنسية. كان مارسيل يرتجف من جراء شهوانيتها. سألته، "أتعتقد أن ثمةَ أمكنة تجعل المرء يشعر كما لو أنه يمارس الحب؟"

"مؤكد أنني أعتقد"، قال مارسيل. "في الأقل، أنني أشعر بذلك. مثلما شعرتِ كأنكِ تمارسين الحب على سطح فراشي الفرو. أشعر في أحيان كثيرة كأنني أمارس الحب حيثما تكون هناك سجاجيد وستائر وأقمشة على الجدران، حيث المكان يشبه الرحم. أشعر في أحيان كثيرة كأنني أمارس الحب عندما تكون هناك كمية كبيرة من اللون الأحمر. وكذلك عندما تكون هناك مرايا. إلا أن الغرفة التي أثارتني أكثر من الحجرات كلها قاطبةً هي التي رأيتها يوماً قرب جادة (كليشي). كما تعرفين، في زاوية هذه الجادة ثمة عاهرة ذائعة الصيت ذات ساق خشبية لها معجبون كثيرون. كنتُ مفتوناً بها في أحيان كثيرة لأنني شعرتُ أنني لا أستطع أن أرغم نفسي على مضاجعتها. كنتُ متأكداً أنني ما إن أرى الساق الخشبية حتى يشلني الرعب.

"كانت شابة مرحة جداً، باسمة الثغر، طيبة القلب. صبغت شعرها باللون الأشقر. إلا أن أهدابها كانت عميقة السواد وكثيفة كأهداب رجل. كان لها الشيء القليل من الشعر الناعم على شفتها العليا. لابد أنها كانت فتاةً جنوبية داكنة البشرة مشعرة قبل أن تصبغ شعرها. ساقها

الوحيدة السليمة كانت راسخة، قوية، وجسمها في منتهى الحسن. إلا أنني لم أجرؤ على طرح الأسئلة عليها. حين نظرتُ إليها تذكرتُ رسماً لـ كوربيه (١٢) رأيته من قبل. كان رسماً كلفه به رجل ثري من سنوات طوال خلت، الذي طلب منه أن يرسم امرأةً في أثناء الفعل الجنسي. كوربيه، الذي كان فناناً واقعياً عظيماً، رسم فرج امرأة ولاشيء سواه. ترك الرأس، الذراعين، الساقين. رسم جذعاً، مع فرج مُصمم تصميماً دقيقاً، في التواءات اللذة، يقبض على قضيب خرج من أجمة من الشعر شديد السواد. هذا هو كل ما فعله. شعرتُ أنه مع هذه المومس سيكون الأمر نفسه، المرء يفكر فقط في الفرج، لايحاول أن يخفض بصره إلى الساقين أو إلى أي شيء آخر. وربما يكون ذلك مثيراً. بينما كنتُ واقفاً في الزاوية أفكر مع نفسي، أقبلتْ إليّ مومس أخرى، في شرخ الصبا. المومس الشابة نادرة في باريس. تكلمتْ مع زميلتها ذات الساق الخشبية. بدأتْ السماء تمطر كانت المومس الشابة تتحدث قائلةً، "كنتُ أسير في المطر مدة ساعتين. فردتا حذائي تلفتا. وما من زبون واحد." أشفقتُ عليها. قلتُ"هل ستحتسين القهوة معي؟" قبلتْ الدعوة بغبطة. قالت، "ماذا تعمل؟ أأنت رسام؟"

"[لستُ رساماً]، قلتُ، [لكنني تذكرتُ رسماً شاهدته من قبل.]

١["ثمة رسوم مدهشة في مقهى وبليه]، قالت. [وأنظر إلى هذا الرسم.]استلتْ من محفظة اليد خاصتها ما بدا أنه منديل رقيق. فتحته. رُسمت عليه مؤخرة ضخمة لإمرأةٍ، في وضع ما يظهر فيه فرجها كلياً، وقضيب ضخم بالدرجة نفسها. سحبتْ المنديل، الذي كان مطاطياً، وبداكما لو أن المؤخرة كانت تتحرك، وكذلك القضيب. ثم قلبته، وها

العالم كلها يمكن أن تختفي عن الأنظار في ما يتعلق بكل ما عنيتُ به. هو ذا أنا الآن، في أفــضـل مكـان في العـــالم كله، رحم، دافئ ولين وأغلقني عن كل شيء آخر، حامياً إياي، مخفياً أياي.

"تمنيتُ أن أعـيش هناك مع هذه الفـتـاة، من دون أن أخـرج ثـانيـةً. الأمـر الذي فـعلتـه على مـدى يومين. على مـدى نهـارين وليلتين بقـينا مضطجعين هناك في سريرها وداعبنا أحدنا الآخر ونمنا وداعبنا من جديد ونمنا ثانيـةً، إلى أن بدا ذلك أشبـه بالحلم. كل مرة أفيق فـيهـا من النوم يكون قضيبي في جوفها، الرطب، المظلم، المفتوح، وعندئذ أتحرك وبعدها أبقى ساكناً، إلى أن أصابنا جوع شديد.

"من ثم خـرجتُ، اشـتـريتُ خـمـراً ولحـماً بـارداً وعـدتُ إلى الفـراش ثانيةً. ليس ثمة نور نهار. لم نكنْ نعرف كم كان الوقت نهاراً، أو ما إذا كـان ليـلاً. كنا مـضطجـعين فـقط هنـاك، نشـعـر بجـسـدينا، كل جـسـد في داخل الآخر بصورة مستمرة تقريباً، نتحدث في أُذني أحدنا الآخر. إيفون تقول شيئاً ما يجعلني أضحك. أقول لهـا، [إيفون، لا تجعلينني أضحك كثيراً جداً وإلا انزلق قضيبي إلى الخارج.]قضيبي ينزلق خارجها عندما كنتُ أضحك وعليّ أن أعيده من جديد.

"إيفون، هل سئمتِ من هذا ؟]سألتُ.

"[آ،لا]، قالت إيفون، [هذه المرة الوحيدة التي متعتُ فيها نفسي. عندما يكون الزبائن في أحيان كثيرة في عجلة من أمرهم، كما تعرف، كـان ذلك يجرح مشـاعـري بشكلٍ من الأشكال، لذا كنتُ أدعهم ينالون وطرهم، إلا أنني لا أستـمتع بـالأمر. فـضلاً عن ذلك، أنها مهنة سيئة. أنها تجعلك كبيرة السن وتتعب بسرعة كبيرة إذا فعلتَ. وكنتُ أشعر في

أحيان كثيرة أنهم لا يعيرونني اهتماماً كافياً، يجعلني هذا أنسحب إلى ذاتي، بعيداً عنهم، إلى موضعٍ ما في أغوار نفسي. هل فهمتني؟ "]

ثم سألني مارسيل ما إذا كان عاشقاً جيداً في أول مرة ضاجعني فيها في غرفته.

"كنتَ عاشقاً جيداً، مارسيل. أحببتُ الطريقة التي أمسكتَ بها مؤخرتي بيديك. أمسكتَ بها بقوة كما لو أنكَ كنت تأكلها. أحببتُ الطريقة التي أخذتَ فيها فرجي بين يديك. كانت تلك الطريقة التي أخذته فيها ، بصورة حازمة، بذلك القدر الكبير من الذكورة. إنها لمسة صغيرة من لمسات إنسان الكهف تلك التي تملكها."

"لماذا لا تخبر النساءُ الرجالَ بهذا الشأن؟ لماذا تجعل النساء من هذا كله سراً ولغزاً؟ إنهن يعتقدن أنه يدمر لغزهن، غير أن هذا غير حقيقي. وها أنتِ ذي تعترفين وتقولين ما تشعرين به. إنه شيء مدهش."

"أنا مؤمنة بقوله. ثمة ألغاز كافية وهذه لن تساعد إستمتاعنا بأحدنا الآخر. هي ذي الحرب الآن وأناس كثيرون سوف يصبحون في عداد الأموات، من دون أن يعرفوا شيئاً، لأن ألسنتهم معقودة بشأن الجنس. إنه شيء مضحك."

"إنني أتذكر سان تروبيز"، قال مارسيل. "الصيف المدهش جداً الذي لم نعش مثيلاً له من قبل..."

بينما كان يقول هذا، رأيتُ المكان بحيوية. مستعمرة فنانين يمضي إليها أفراد المجتمع الراقي وممثلون وممثلات، أناس ذوو (يخوت) أرسيت هناك. المقاهي الصغيرة على الواجهة المائية، المرح، الامتلاء بالحيوية، الارتخاء. الجميع في أزياء الساحل. الجميع يتآخون ـ أناس (اليخت) مع

الفنانين، الفنانون مع ساعي البريد الشاب، مع رجل الشرطة الشاب، مع صيادي السمك الشبان، مع رجال الجنوب الشبان وداكني البشرة.

كان ثمة رقص على فناء مرصوف تحت السماء. أقبلتْ فرقة الجاز من المارتينيك وكانت أكثر حرارةً من ليلة الصيف. وجلسنا مارسيل وأنا في زاوية ما ذات مساء حين أعلنوا أنهم سوف يطفئون الأضواء كلها مدة خمس دقائق، ثم عشر، ثم خمس عشرة دقيقة وسط كل رقصة.

هتف رجل ، "اختاروا شركاءكم بعناية من أجل ربع ساعة حب. اختاروا شراءكم بعناية."

كان ثمة اهتياج كبير ونشاط صاخب على مدى لحظة. ثم بدأتْ الرقصة، وفي النهاية اختفت الأضواء. عدد قليل من النساء زعقن بهستيرية. قال صوت رجل، "تلك إساءة، لن أطيقها." صرخ شخص آخر، "أشعلوا الأضواء."

تواصلتْ الرقصة في الظلام. كان المرء يشعر أن الأجساد في حرارة.

كان مارسيل في نشوة، ممسكاً بي كما لو أنه يكسرني، منحنياً فوقي، ركبتاه بين ركبتيّ، قضيبه منتصب. في غضون خمس دقائق كان للناس وقت يكفي فقط للحصول على احتكاك قليل. حين أُشعلتْ الأضواء بدا الجميع مضطربين. وجوه قلائل بدتْ وكأنها مصابة بالسكتة القلبية، وجوه أخرى بدت شاحبة. كان شعر مارسيل أشعث. سروال قصير كتان لإمرأة ما كان مجعداً. سروال كتان لرجل ما كان متغضناً. كان الجو مثيراً، حيوانياً، مكهرباً. في الوقت ذاته كان هناك مظهر خارجي من التهذيب ينبغي المحافظة عليه، شكل، أناقة. بعض الناس، ممن

صُعقوا، كانوا يغادرون المكان. بعضهم انتظروا كما لو كانوا ينتظرون عاصفةً ما. آخرون انتظروا بضياء في عيونهم.

"أتعتقد أن أحدهم سيزعق، يتحول إلى حيوان، يفقد السيطرة على نفسه؟"

سألتُ:

"ربما"، قال مارسيل.

بدأتْ الرقصة الثانية. اختفتْ الأضواء. قال صوت قائد الفرقة الموسيقية، "هذا ربع ساعة حب. سادتي سيداتي، نلتم الآن عشر دقائق، وبعدها ستنالون خمس عشرة."

كانت هناك صرخات صغيرة مكبوتة وسط الجمهور، النساء أظهرن احتجاجاً. أنا ومارسيل تشبثنا بأحدنا الآخر كراقصي (تانغو)، وفي كل لحظة من لحظات الرقصة حسبتُ أنني سأطلق العنان للذروة الجنسية. بعدها أُشعلت الأضواء، الفوضى والإحساس عمّا بصورة أكثر في المكان.

"سيتحول هذا إلى طقس لهو معربد"، قال مارسيل.

جلس الناس بعيون مبهورة، كما لو أن ذلك بسبب الأضواء. بُهرتْ العيون من جراء الاهتياج العظيم للدم، للأعصاب.

لا يستطيع المرء بعد الآن أن يدرك الاختلاف بين المومسات، ونساء المجتمع الراقي، والبوهيميات، وفتيات المدينة. كانت نساءً لمدينة جميلات، يملكن الجمال المثير للجنون. النساء كلهن كن ملفوعات بأشعة الشمس وتاهيتيات، مكسوات بالمحارات والأزاهير.في ضغط الرقصة تكسرتْ بعض المحارات وسقطت على بلاط الرقص.

قال مارسيل، "لا أظن أنني أستطيع أن أؤدي الرقصة التالية. سوف أغتصبك." كانت يده تندس في سروالي القصير وتتلمسني. كانت عيناه مشتعلتين.

أجساد. سيقان، سيقان كثيرة، كلها سمراء وصقيلة، بعضها مكسوة بالشعر كسيقان الثيران. رجل ما له صدر كثيف الشعر وكان يرتدي قميصاً مشبكاً كي يظهره على الملأ. بدا أشبه بقرد. كانت ذراعاه طويلتين وطوقتا شريكته في الرقص كما لو أنه سيلتهمها.

هي ذي الرقصة الأخيرة. أُطفئت الأضواء. أطلقت امرأةٌ صحية طائر صغير. امرأة أخرى بدأتْ تدافع عن نفسها.

سقط رأس مارسيل على كتفيٌ وراح يعض كتفيّ، بقوة. ضغطنا أحدنا على الآخر وتحركنا إزاء أحدنا الآخر. أغمضتُ عينيٌ. كنتُ أترنح من جراء اللذة. جرفتني موجة من الرغبة، أقبلتُ من كل الراقصين والراقصات، من الليل، من الموسيقى. حسبتُ أنني سأبلغ الذروة آنئذ. تابع مارسيل عضه لي، وخشيتُ من أننا سنسقط أرضاً. إنما وقتئذ أنقذنا السُكر، السُكر أبقانا معلقين فوق الفعل الجنسي، مستمتعين بكل ما يقع خلف الفعل.

حين أشعلتْ الأضواء كان الجميع ثملين، يتأرجحون من جراء الإهتياج العصبي. قال مارسيل، "إنهم يحبون هذا أكثر من الشيء الواقعي. معظمهم يفضلون هذا. إنهم يجعلونه يستمر مدةً طويلة جداً. لكنني لا أحتمل المزيد منه. دعيهم يقعدون هناك ويستمتعون بالطريقة التي يشعرون بها أنهم يحبون أن يكونوا مُدَغدغين، هم يؤثرون أن يقعدون هناك بإنتصاباتهم والنساء مفتوحات ورطبات بكل معنى

الكلمة، لكنني أريد أن أنتهي من الأمر حالاً، لا أستطيع أن أنتظر. لنذهب إلى الساحل."

عند الساحل هدأتنا البرودة المعتدلة. اضطجعنا على الرمل، مايزال يتناهى إلى أسماعنا إيقاع الجاز من البعيد، كضربات قلب مكتومة، كضربات قضيب داخل امرأة، وبينما كانت الأمواج تتدحرج عند أقدامنا، الأمواج التي بداخلنا طوتنا المرة تلو المرة إلى أن بلغنا الذروة معاً، متدحرجين في الرمل، على إيقاع ضربات الجاز نفسها.

تذكر مارسيل هذا، أيضاً. قال، "يا له من صيف رائع. أعتقد أن الجميع عرفوا أنها ستكون القطرة الأخيرة للمتعة."

المترجم

* من مواليد الكوت (محافظة واسط) ـ العراق ١٩٥٥ .

* بدأ مسيرته الأدبية في منتصف عقد السبعينيات من القرن الماضي.

* له في التأليف:

١- الهولندي الطائر ـ قصص قصيرة ـ دمشق ٢٠٠٠

٢- موسيقى وحشية ـ قصص قصيرة (مخطوطة)

٣- خميلة الأجنة ـ رواية (مخطوطة)

٤- أرابيسك ـ رواية قصيرة (مخطوطة)

* له في الترجمة:

١-حفلة القنبلة ـ رواية ـ غراهام غرين ـ بغداد ، ١٩٨٩

٢- طبل من صفيح ـ رواية ـ غونتعر غراس ـ بغداد ٢٠٠٠

٣- قط وفأر ـ رواية ـ غونتر غراس ـ بغداد ٢٠٠١ .

٤- قل لي كم مضى على رحيل القطار ـ رواية ـ جيمس بولدوين (مخطوطة).

٥- جبل السحر ـ رواية ـ توماس مان (مخطوطة) .

٦- الآثم المقدس ـ رواية ـ توماس مان (مخطوطة).

٧- خيول مرقطة وقصص أخرى ـ قصص قصيرة لكتاب إنجليز

وأمريكان (مخطوطة).

٨- مرايا نقدية - دارسات أدبية ونقدية لعدد من الكتاب (مخطوطة).

٩- الأدب الأفريقي باللغة الإنجليزية - دراسات ومختارات (مخطوطة).

١٠- سيرة ذاتية مبكرة - يفجيني يفتوشنكو (مخطوطة).

١١- هرمان هيسه: دراسات في فنه الروائي - دار نشر كوليز (مخطوطة)

عنوانه الإلكتروني Draliabdulamir@yahoo.com

الموبايل: ٠٧٨٠١٢٠١١٧١.

الهوامش

(١)- نسبة إلى دانتي الجيري (١٢٦٥-١٣٢١م) ؛ أعظم شعراء إيطاليا ومن رجالات الأدب العالمي . خلد اسمه بملحمته الشعرية "الكوميديا الإلهية" ، وصف فيها طبقات الجحيم والمطهر والفردوس في سفرة وهمية قام بها بقيادة فرجيليوس وحبيبته بياتريس . م .

(٢)- نسبة إلى رابليه (فرانسوا) (١٤٩٤-١٥٥٣) ؛ أديب فرنسي . مزج الجد بالمزح في كتبه وأشهرها "حياة غارغانتوا" و "أعمال بانتاغرويل " . م .

(٣)- بحث في اللغة السنسكريتية عن قواعد الحب (القرن الرابع . القرن السابع الميلادي) . يعد واحداً من أعظم الأعمال الهندية الكلاسيكية المتعلقة بفن الحب والجماع . بالإنجليزية The Kama Sutra of Vatsyayana. م .

(٤)- كرافت إيبنغ : Krafft - Ebing البارون ريتشارد فون (١٨٤٠-١٩٠٢) ، طبيب الأمراض العصبية ، ألماني الجنسية ، ورائد في علم النفس . أشهر أعماله "الاضطراب العقلي . الجنسي " Psychopathia Sexualis. م .

(٥)-باندورا : Pandora في الأساطير الإغريقية هي أول امرأة خلقها هيفاستوس ليعاقب الرجل لقبوله النار التي سرقتْ من السماء والتي أعطيت له ضد مشيئة زيوس . عندما هبطتْ باندورا من السماء جلبتْ معها علبة تحتوي على الويلات التي تنزل بالبشرية . لم تكنْ تعرف محتويات العلبة . فتحتْ العلبة بالرغم من تحذيرات زيوس ، فانتشرتْ الشرور والآثام في الأرض . م .

(٦)- أوتريو (Vtrillo موريس) (١٨٨٣-١٩٥٥) ؛ رسام فرنسي اشتهر برسومه لحي مونمارتر في باريس . م .

(٧)-الداني :Great Dane كلب قوي ناعم الشعر قصيره . م .

(٨) - الأباشي : Apache شعب هندي أحمر في الجنوب الغربي من الولايات المتحدة الأمريكية . م .

(٩)- الكاب :Cape رداء خارجي بلا كمين يطرح على الكتفين . م .

(١٠)- بالينية :Balinese نسبة إلى بالي ، وهي جزيرة أندنوسية شرقي جزيرة جاوه يفصلها عنها مضيق بالي . م .

(١١)- أمبول : Ampule وعاء زجاجي صغير مختوم يحتوي على جرعة واحدة من محلول يحقن في الوريد أو تحت الجلد . م .

(١٢)- الأنكا : Inca إسم سلالة ملكتْ في البيرو من القرن الثالث عشر حتى الاحتلال الإسباني . كانت لهم إمبراطورية مزدهرة وحضارة غنية . م .

(١٣)- الفكونة (Vicuna بالإسبانية) ؛ حيوان جنوب أمريكي شبيه بالجمل . م .

(١٤)- ميورقة (Mallorca بالإسبانية) ؛ جزيرة في غرب البحر المتوسط . عاصمتها بالما . إحدى الجزر البالورية الثلاث Balearic Islands ، التي احتلها الفينقيون ، الرومان ، الوند اليون Vandals والمسلمون على التوالي . تم التخلي عنها إلى بريطانيا العام ١٧١٣، ثم أعيدت إلى إسبانيا العام ١٨٠٢، هذه الجزر جبلية وذوات مناخ مشمس معتدل . م .

(١٥)- الفتشية :Fetishism إنحراف يتمثل في تركيز الشهوة الجنسية على جزء من الجسد ، كالقدم مثلاً أو على حذاء أو جورب أو خصلة شعر أو ثوب تحتي - م .

(١٦)- المبذل (Negligee بالفرنسية) ؛ ثوب نسوي طويل فضفاض - م .

(١٧)- خلاسية :Mulatto مولودة من أبوين أحدهما أبيض والآخر زنجي - م .

(١٨)- فونية : Faunish نسبة إلى فون Faun أحد آلهة الحقول والقطعان عند الرومان - م .

(١٩)- المدقة :Pistil عضو التأنيث في النبات - م .

(٢٠) - رواسب كلسية :(Stalactite) المقصود هنا الرواسب الكلسية المدلاة من سقوف المغارات ؛ تسمى أيضاً الحليمات العليا - م .

(٢١)- وسيط : Medium شخص يُزعم أنه صلة وصل بين العالم الأرضي وعالم الأرواح (في التنويم المغناطيسي) - م .

(٢٢)- الافتضاح :Exhibitionism انحراف يتمثل بنزوع إلى إظهار العورة - م .

(٢٣)- فاقوم :eymine حيوان من فصيلة بنات عرس - م .

(٢٤)-اللوحة الرأسية :headboard لوحة خشبية تشكل مقدم سرير أو نحوه - م .

(٢٥)-البلور الصخري : Rock crystal كوارتز شفاف عديم اللون - م .

(٢٦)- الفيرموت :Vermouth ضرب من الخمر - م .

(٢٧)-الباب المسحور :Trap door باب أفقي في أرضية أو سقف - م .

(٢٨)-الشنشيلة : Chinchilla حيوان جنوب أمريكي من القوارض شبيه بالسنجاب - م .

(٢٩)- يبدو أن ثمة جملة سقطت سهواً . وعلى الأرجح الكتاب المقصود يعنى بالحب والجنس - م .

(٣٠)-ديانا :Diana الاهة القمر والحيوان الضارية والصيد في الميثولوجيا الرومانية - م .

(٣١)-وردت في النص الكلمة الفرنسية Pendentif التي تعني جوهرة معلقة بسلسلة العنق - م .

(٣٢)- كاترين العظيمة :(Catherine the great (1729-1796 امبراطورة روسيا (١٧٦٢-١٧٩٦) - م .

(٣٣) الجزدان الإسكتلندي :sporran جزدان ضخم يصنع من الفراء ويدلى من مقدم الحزام - م .

(٣٤) : Grunted أطلق صوتاً كصوت الخنزير - م .

(٣٥)-النغميات جمع نغمية :Tonality وهي صفة اللحن المتوقفة على سلمية الموسيقى - م .

(٣٦) حورية الماء : Naiid حورية تزعم الأساطير اليونانية والرومانية أنها تقيم في البحيرات والأنهار والينابيع وتمنحها الحياة والبقاء - م .

(٣٧)-تسريحة بومبادور Pompadour بالفرنسية ؛ تسريحة للنساء يرفع فيها الشعر عالياً فوق الجبين - م .

(٣٨)- الباحثة عن الذهب : Gold digger امرأة تستغل جمالها لإنتزاع الأموال أو الهدايا من الرجال - م .

(٣٩)- خريطة البروج : Horoscope رسم للسماء كان المنجمون يستعملونه لكشف الطوالع - م .

(٤٠)- الكورديوري :Corduory قماش قطني متين مضلع مخملي الزغب - م .

(٤١)-كراكاتوا :Krakatoa جزيرة بركانية صغيرة تقع بين سومطرة وجاوة في أندونسيا ، دُمرتْ تقريباً في انفجار بركاني - م .

(٤٢)- الكانكان :Cancan رقصة غير محتشمة (فرنسية الأصل) - م .

(٤٣)-كوربيه ، Courbet غوستاف (١٨١٩-١٨٧٧) ؛ رسام فرنسي واقعي اختص بالبورتريهات ، المناظر الطبيعية ، ومشاهد الحياة اليومية - م .

المحتويات

أنابيس نن: الكاتبة والإنسانة	5
مقدمة	8
ملحق	18
المغامر الهنغاري	20
ماتيلدا	30
المدرسة الداخلية	47
الخاتم	51
ميورقة	56
فنانون وموديلات	61
ليليت	92
ماريان	101
المرأة ذات الخمار	115
إيلينا	125
الباسكي وبيجو	214
بيير	268
مانويل	298
ليندا	302
مارسيل	326

DELTA OF VENUS

EROTICA BY ANAÏS NIN